

الفقه: العقائد

آية الله العظمى
الْأَمْرُ الْمُسِيدُ مَكَّةُ الْحُسَيْنِ الْمَرْيَمِ
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى

م ۱۴۲۰ ه ۱۴۲۰

مركز الرسول الأعظم عليه السلام للتحقيق والنشر
بيروت . لبنان ص.ب: ٥٩٥١ / ١٣ شوران

الفقه

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

الفقه: المقدمة

(كتاب العقائد)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
إياك نعبد وإياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على
أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد .. فهذا مختصر في العقائد، حسب ما يستفاد من الكتاب والسنة، جعلناه
مقدمة للفقه بعنوان المدخل، وربما أمكن فرضه منه باعتبار بعض ما يتضمن من الفروع
الفقهية العامة.

قم المقدسة

محمد الشهرازي

العقائد والأدلة الأربعة

مسألة: الأدلة التي يمكن الاعتماد عليها بالنسبة إلى المبدأ والمعاد هي الأدلة الأربعة أيضاً . كما في الفقه .. الكتاب والسنة والإجماع والعقل . والمبدأ والمعاد ما لا يدخلان بجميع خصوصياتهما تحت إدراك العقل، لأنه لا يدركهما من هذه الحقيقة إلا بجملة ضبابياً .

فالعقل يدلّ على أن للكون مبدئاً ، وأنّ الشيء المخلوق لا يمكن أن يكون أزلياً، إذ حين ذاك يلزم أن يكون القديم اثنين، وهو خلف، كما ذُكر في برهان التمانع في الكلام . والإنسان والحيوان والشجر والحجر والبجرات والذرّات كلها مخلوقات جدد، وهي مستندة إلى خالق قديم واحد.. لا شريك له ولا مثيل ..

كما أنّ المعاد في الجملة ^(١) عقلي، حيث لا يعقل أن تكون هذه الأجهزة العظيمة - بمقادماتها ومقوماتها - خلقت لأجل خمسين أو مائة سنة مثلاً..

بالإضافة إلى ما يقتضيه قانون العدل الإلهي، فإنّ المجرمين قد لا يجاذون في الدنيا .. وهكذا المحسنون لا يثابون في الدنيا . عادة . فاللازم أن يكون هناك عالم آخر يجزى فيه الحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وإنّ كان الإله غير عادل.. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، والدليل على عدالة الله سبحانه وتعالى دليلٌ على المعاد أيضاً.

أما الإجماع ^(٢) فهو مستند إلى الأدلة العقلية والنقلية فليس هو دليلاً مستقلاً، وإنما الدليل المستقل المفصل ^(٣) للمبدأ والمعاد هو الكتاب والسنة فقط ولذا نكتفي في هذا الكتاب بذكر

^(١) أي أصله مع قطع النظر عن الخصوصيات.

^(٢) راجع للتفصيل عن الإجماع وحجيته وأقسامه: (الأصول) و(الوصول إلى كفاية الأصول) و(الوسائل إلى الرسائل) للإمام المؤلف.

^(٣) أي ما بين تفصيلاً خصوصيات المبدأ والمعاد وما إلى ذلك.

المبدأ والمعاد وما يتعلّق بهما بحسبهما^(٤).

الوجود المجرّد

مسألة: ثم إنّه لم يدلّ دليل على وجود المجرّد ما عدا الله سبحانه وتعالى، بل الأدلة على خلاف ذلك، كما ألمعنا إليه في بعض كتبنا الكلامية^(٥).

وحيث أنّ الله عزوجل أراد أن يجعل هذا العالم عام الأسباب والمسبّبات، جعل المادة الأولية لهذا العالم الماء وهو غير مجرد، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ﴾^(٦) وكما في بعض الروايات^(٧).

أما ما دلّ على أن العقل هو أُولى ما خلقه الله، فالظاهر أنّ المراد: النسبة لالحقيقة، فهو أيضاً مخلوق من الماء.

هذا وقد ورد في روايات كثيرة : إن أُولى ما خلقه الله نور محمد وآلـهـ الأطهـارـ (عليـهـمـ أـفـضـلـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـاـمـ)، والـجـمـعـ بـيـنـهـمـ وـاضـحـ.

وإذا كان الماء الذي هو اصل للأشياء غير مجرد فكذلك ما خلق منه.

وفي الكافي بسنده عن داود الرقي قال: (سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٨) - إلى أن قال - فقال (ع) : إنّ الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر، فلما أراد الله أن يخلق الخلق

^(٤) وقد تطرق الإمام المؤلف إلى تفصيل الأدلة العقلية في مبحثي المبدأ والمعاد في (القول السديد في شرح التجريد) و(شرح منظومة السبزواري) ..

^(٥) وقد اشار الإمام المؤلف الى ذلك مستدلاً بالكتاب والسنّة، في البحث عن الملائكة والروح، كما سيأتي.

^(٦) سورة الأنبياء: ٣٠.

^(٧) وسيأتي بعد قليل.

^(٨) سورة هود: ٧.

نشرهم بين يديه، فقال لهم: من رَّيْكُمْ؟ فأَوْلَ من نطق رسول الله (ص) وأمير المؤمنين والأئمَّة
(ع) فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين^(٩).

ومراد بـ (تحميم الدين) الشريعة والقوانين التي سوف يجعلها الله سبحانه وتعالى ديناً
لعباده.

وقد يكون المراد بـ (تحميم العلم) النور الذي يرى الإنسان به الأشياء على ما عليها،
فقولنا: فلان يعلم، يراد بذلك أنه يدرك الأشياء على حقيقتها.

ومراد من (بين يديه) أي بحيث يمكن التخاطب، كما أن الإنسان الذي يخاطب غيره
يكون غالباً مخاطبه بالفتح. بين يديه، فهذا من تشبيه المعمول بالمحسوس.

ثم إنك قد عرفت أن المادة الواحدة التي هي منشأ كل الأشياء بأمر الله سبحانه وتعالى
محاطة بالحدود الحقيقة وحتى أن الزمان لو كان شيئاً يكون من تلك المادة..

وعدم فهمنا لكنه الزمان أو عدم فهم كيفية كون ذلك الزمان من تلك المادة لا يوجب
عدم تصديق ما في الروايات من أن منشأ الكون تلك المادة.

وهكذا لو قيل: إن الموت والظلمات أيضاً مخلوقان، كما هو ظاهر بعض الآيات
والروايات مثل قوله سبحانه وتعالى: **﴿خلق الموت والحياة﴾**^(١٠) قوله عزوجل: **﴿وجعل
الظلمات والنور﴾**^(١١).

وكيف كان، فيدل على أن المادة واحدة جملة من الروايات، مثل:

رواية الكافي بسنده إلى محمد بن عطية قال: جاء رجل إلى أبي جعفر (ع) من أهل
الشام من علمائهم فقال: يا أبا جعفر جئت أسألك عن مسألة قد أعيت علي أن أجده
أحداً يفسّرها، وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من الناس فقال كل صنف منهم شيئاً غير
الذي قال الصنف الآخر.

فقال له أبو جعفر (ع): ما ذاك؟

قال: فإني أسألك عن أول ما خلق الله من خلقه، فان بعض من سأله قال: القدر،

^(٩) الكافي: ج ١ ص ١٣٢ ح ٧.

^(١٠) سورة الملك: ٢.

^(١١) سورة الأنعام: ١.

وقال بعضهم: القلم، وقال بعضهم: الروح.
[أقول: لعل المراد بالقدر الـكـمـ].

فقال أبو جعفر (ع): ما قالوا شيئاً، أخبرك إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً، ولا أحد كان قبل عزّه، وذلك قوله ﴿سـبـحـانـ رـبـكـ رـبـ الـعـزـةـ عـمـاـ يـصـفـونـ﴾^(١٢) وكان الخالق قبل المخلوق، ولو كان أول ما خلق من خلقه شيء من الشيء إذا لم يكن له انقطاع أبداً [أي: إن المادة لم تكن أزلية، ولو كان خلق الله الأشياء من تلك المادة الأزلية فرضاً] ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ليس هو يتقدمه [وعلى هذا الفرض غير الصحيح فلم يكن القديم واحداً وإنما كان القديم اثنين: الله وتلك المادة، وهذا غير معقول كما ثبت في برهان التمانع] ولكنـهـ كـانـ إـذـ لـاـ شـيـءـ غـيـرـهـ، وـخـلـقـ الشـيـءـ الـذـيـ جـمـيعـ الـأـشـيـاءـ مـنـهـ وـهـوـ الـمـاءـ الـذـيـ خـلـقـ الـأـشـيـاءـ مـنـهـ، فـجـعـلـ نـسـبـ كـلـ شـيـءـ إـلـىـ الـمـاءـ [أـيـ أـنـ كـلـ شـيـءـ يـرـجـعـ إـلـىـ الـمـاءـ فـكـأـنـ الـمـاءـ نـسـبـ كـلـ شـيـءـ وـأـصـلـهـ].

ولم يجعل للماء نسبةً يضاف إليه [أي لم يكن الماء من شيء سابق وإنما الله سبحانه وتعالى خلق الماء ابتداء من لاشيء فلا مادة أزلية هناك ولا قديم إلا الله].

وخلق الريح من الماء، ثم سلط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زيد على قدر ما شاء أن يتثور، فخلق من ذلك الزيد أرضاً يضاء نقية ليس فيها صدع ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط ولا شحرة ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار من الماء... الحديث^(١٣).

أقول: ثم طواها: بمعنى انه لم يكن ذلك الزيد مثل ما ورد في قوله تعالى: ﴿فـأـمـاـ الزـيـدـ فـيـذـهـبـ جـفـاءـ﴾^(١٤) فلم يكن الزيد في هذه الرواية: الزائد الناقص المنحرف بل الزيد المطوي المسطح....

وقد ورد شبه هذه الرواية في أول (نـحـجـ الـبـلـاغـةـ) في خطبة له (ع) في خلق العالم، قال (ع):

^(١٢) سورة الصافات: ١٨٠.

^(١٣) الكافي: ج ٨ ص ٩٤ ح ٦٧.

^(١٤) سورة الرعد: ١٧.

(انشأ الخلق إنشاءً وابتدأه إبتداءً بلا رؤية أحالها ولا تجربة استفادتها ولا حركة أحدها ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها ولأم بين مختلفاتها وغرز غرائزها وألزمها أشباحها عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائتها عارفاً بقرائتها وأحنائتها ثم أنشأ (سبحانه) فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكائق الهواء فأجري فيها ماءً متلاطمًا تياره متراكمًا زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فأمرها برد وسلطها على شدّه وقرنها إلى حده الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم أنشأ سبحانه ريحًا اعتقم مهبها وأدام مربحاً وأعصف بجرها وأبعد منشها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء تردد أوله إلى آخره وساجيه إلى مائه حتى عبّ عبابه ورمى بالزبد رcame فرفعه في هواء منافق وجّو منافق) ^(١٥) إلى آخر الخطبة.

وفي رواية العلل بسنده إلى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال: سأله عن أول ما خلق الله (عز وجل)؟، قال: إنّ أول ما خلق الله (عز وجل) ما خلق منه كلّ شيء، قلت: جعلت فداك وما هو؟ قال: الماء، إنّ الله تبارك وتعالى خلق الماء بحرین أحدهما عذب والآخر ملح فلما خلقهما نظر إلى العذب، فقال: يا بحر، فقال: ليك وسعديك، قال: فيك برّكي ورحمتي ومنك أخلق أهل طاعتي وجنتي، ثم نظر إلى الآخر، فقال: يا بحر، فلم يجب، فأعاد عليه ثلاث مرات يا بحر، فلم يجب!! فقال: عليك لعنتي ومنك أخلق أهل معصيتي ومن أسكنته ناري، ثم أمرهما فامتزجا، قال: فمن ثم يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن) ^(١٦).

^(١٥) نهج البلاغة: الخطبة ١، الفقرات ٩-١٥.

^(١٦) علل الشرائع: ص ٨٣ و ٨٤ ب ٧٧ ح ٦.

خلق العذب والأجاج

أقول: فلماه الواحد جعله الله قسمين، قسمًا أجاجًا وقسمًا عذبًا، وهنا سؤال عن فلسفة ذلك؟

فإنما جعل الله الخلق كذلك قسمين حتى يعطي كل ذي حق حقه فان كان الكل عذبا لم يكن الله أعطى غير العذب حقه من الخلق، وهذا ما يسمى بقابلية القابل.

لا يقال: وكيف لم يجب الأجاج نداءه تعالى؟.

لأنه يقال: إن الله سبحانه وتعالى خلق في طبيعته الطغيان كما خلق في طبيعة النار الإحرق.

لا يقال: إذا كانت طينة الكافر طاغية فلماذا يعاقب؟.

لأنه يقال: الطينة لا تناهى جعل الإرادة والاختيار فيه حيث يتمكن بسبب الإرادة من الطاعة، في المؤمن وكذلك في الكافر، فهو من باب المقتضي لا العلة التامة، فمقتضي الطاعة في المؤمن ومقتضي المعصية في الكافر لا غير، والمقتضي غير الإرادة، فان بالإرادة يسعد الإنسان أو يشقى.. هذا بالإضافة إلى الاختلاف في القابل كما هو مذكور في الحكمة.

وبذلك يظهر أن الأشياء في اصلها واحدة وإنما تختلف بالأعراض، وقد ذكر الإمام الرضا (ع) في جواب عمران الصابي قائلاً للإمام (ع) : أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق؟، فقال (ع): (سألت فافهم، أما الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض ولا يزال كذلك، ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة (إلى أن قال) وأعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير، وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدار وليس في كل واحد منهمما لون ولا وزن ولا ذوق فجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدركتين بنفسهما)^(١٧) الخبر.

والظاهر أن المراد بالتقدير الأعراض من الكم والكيف وما أشبه ذلك مما هي ملائم للمادة، والمراد من المقدار نفس المادة ذات الأبعاد الثلاثة، وقد ذكرنا انه لادليل على تحرّد

^(١٧) عيون أخبار الرضا(ع): ج ١ ص ١٦٩ و ١٧٦.

شيء سوى الله سبحانه وتعالى، فكل شيء له أبعاد وله كميات وكيفيات وغير ذلك مما ذكره الحكماء في باب الجواهر والأعراض.

سؤال وجواب

يقى سؤال أخير: وهو انه ألم يكن من الأفضل أن لا يخلق الله سبحانه ما يصير إلى النار باختياره حتى لا يتأنم بها، من باب السالبة بانتفاء الموضوع، وان كان الشيء المخلوق المنحرف بلسان الاقتضاء يريد الخلق؟

والجواب: إن جمال الخلقة وتنوعها يقتضي الخلق، والمتأنم بالاستحقاق يتأنم، والأول عقلاً أولى من الثاني، ولا يتأنم المتأنم بالنار ونحوها إلا بمقدار ما فعل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَجِزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١٨) فيكون حال خلق هؤلاء كالحاكم الذي يبني المدرسة ويطلب إليها كل تلميذ وهو يعلم أن بعضهم يسقطون في الامتحان ويكون السقوط موجباً لألمهم، فهل من الأفضل ترك طلابهم إلى المدرسة أو الطلب وتألمهم بعد السقوط؟

^(١٨) سورة الطور: ١٦.

بحث في العقاب

مسألة: العقاب لا يكون إلا بقدر العمل لا أكثر من ذلك، وقد يكون العقاب موزعاً على حالات الإنسان في النار ونحوه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١٩).

وقال تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاقَ﴾^(٢٠) وما أشبه ذلك.

أما في المخللات بين الحس بالعقاب فلا يكون لهم حس ولا ألم، وربما تشير إلى ذلك آيات من القرآن الحكيم، كقوله سبحانه: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُون﴾^(٢١).

وقوله تعالى: ﴿وَتُرَى النَّاسُ سَكَارِ﴾^(٢٢).

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ لَمْ حَشِرْتَنِي أَعْمَى﴾^(٢٣).

ومن الواضح أن الأعمى لا يحس بالعقاب من جهة عينه، والأصم لا يحس بالعقاب من جهة سمعه، والسكاري لا يحسون بالعقاب لسکرهم وعدم تأثيرهم بسبب المؤلمات، فتأمل.

فقد يكون الجمع بين هذه الطائفة من الآيات التي ذكرنا منها ثلاثة وبين الطائفة التي تقول إنهم خالدون^(٤) وما أشبه ذلك بما ذكرناه من كون الجزاء بقدر العمل موزعاً على الأزمنة المختلفة، وقد أشرنا إلى تفصيل هذا المطلب في كتاب (التفسير الموضوعي للقرآن

^(١٩) سورة الطور: ١٦.

^(٢٠) سورة النبأ: ٢٦.

^(٢١) سورة الأنبياء: ١٠٠.

^(٢٢) سورة الحج: ٢.

^(٢٣) سورة طه: ١٢٥.

^(٤) إشارة إلى أمثل قوله تعالى: ﴿بَلِّي مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَاحْاطَتْ بِهِ خَطِيئَتِهِ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ سورة البقرة: ٨١، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكَبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ الأعراف: ٣٦.

دنيا الأسباب والمسبّبات

مسألة: ثم لا يخفى أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل هذه الدنيا دنيا الأسباب والمسبّبات قال تعالى: ﴿ ثم أتبع سبباً ﴾^(٢٦) كما في الحديث الشريف: (أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها)^(٢٧) .

كما جعل عز وجل هذا القانون بين الدنيا والآخرة أيضاً، فالتسبيحة مثلاً تصبح شجرة هناك، والتحميدة تصبح خادماً أو حوريةً أو ما أشبه ذلك، كما ورد في (بحار الأنوار) وغيره من متواتر الروايات^(٢٨)، وهذا سنة الله التي أجرأها بقدرته واحتياره.

(٢٥) وهذا التفسير لا زال مخطوطاً، وسيطبع إن شاء الله تعالى في عشر مجلدات.

(٢٦) سورة الكهف: ٨٩ و٩٢ .

(٢٧) راجع بحار الأنوار: ج ٢ ص ٩٠ ب ١٤ ح ١٤، وفيه: (أبى الله ان يجري الاشياء الا بالأسباب، فجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه وجهمه من جهمه، ذلك رسول الله (ص) ونحن).

(٢٨) راجع بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٨٦ ب ٢٣ ح ١٥٤ وفيه: (عن الصادق عن آبائه ١ قال قال رسول الله (ص) : من قال سبحانه الله غرس الله له بما شجرة في الجنة، ومن قال: الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال: لا إله إلا الله غرس الله له بما شجرة في الجنة، ومن قال الله أكبر غرس الله له بما شجرة في الجنة، فقال رجل من قريش يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير، قال: نعم ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها وذلك ان الله عز وجل يقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطِيعُوا الله وأطِيعُوا الرسول ولا تبْطِلُوا أَعْمَالَكُم ﴾ سورة محمد: ٣٣ . وورد أيضاً في الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٦٠٧ المجلس ٨٨ ح ١٦ . وفي شواب الأعمال: ص ١١ ثواب من قال: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر).

تبديل السنن

ومن المعلوم أن له سبحانه تبديلها بأخرى كما في القرآن والأحاديث من شهادة الأيدي والأرجل والجلود والأمكنة وغيرها.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتَكَلَّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشَهَّدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢٩).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَنِذْ تَحْدُثُ أَخْبَارُهَا﴾^(٣٠).

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (ما من يوم يأتي على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا بن آدم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل في حيراً واعمل في حيراً أشهد لك به يوم القيمة فإنك لن تراني بعدها أبداً)^(٣١) أي في الدنيا، أما في يوم القيمة فإنها تأتي وتشهد، كما ورد في هذا الحديث وغيره.

وكذلك الأبنية والأراضي والجمادات والنباتات والحيوانات كلها تشهد^(٣٢) وهي لا تعقل ولكنها تدرك، نعم لو قلنا بتعقلها في الجملة فليس عقل هذه الأمور مثل عقل الإنسان، وقد

(٢٩) سورة بيس: ٦٥.

(٣٠) سورة الززلة: ٤.

(٣١) الكافي: ج ٢ ص ٥٢٣ ح ٨٠.

(٣٢) راجع كتاب (فضل الكوفة ومساجدها) محمد بن جعفر المشهدى الحائرى، من أعلام القرن السادس المجرى، تحقيق محمد سعيد الطريحي، ص ٣٢ وفيه: (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص): يا ابن مسعود، لمن أسرى بي إلى السماء أراني جبرئيل مسجد كوفان فقلت: يا جبرئيل ما هذا؟ قال: مسجد مبارك كثير الخير عظيم البركة احتاره الله لأهله وهو يشفع لهم يوم القيمة) الحديث.

وأيضاً في نفس الكتاب: ص ٣٦ قال: (عن معاذ بن جبل عن النبي (ص) قال: لكانى بمسجد كوفان يأتي يوم القيمة محروماً يشهد له من صلى فيه ركعتين).

قال سبحانه: ﴿وَانِّي لَمْ يَسْبِحْ بِحَمْدِهِ وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُم﴾^(٣٣).
وليس المراد التسبيح التكوي니 فان ذلك مفروغ عنه وإنما المراد التسبيح التشرعي بأسانتها الخاصة..

وفي القرآن الحكيم: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾^(٣٤).
وقال سبحانه: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٣٥).

خلق الأرواح

مسألة: يظهر من بعض الروايات أنه بعد تقسيم الماء إلى قسمين: عذب وأجاج، خلق الله تعالى أرواح المؤمنين من عليين^(٣٦) أي الطبقات العالية معنوياً، وأرواح الكفار من سجيني أي الطبقات السافلة معنوياً، وقد خلق الأرواح قبل الأجساد كما في الحديث بآلفي عام^(٣٧).

(٣٣) سورة الإسراء: ٤٤.

(٣٤) سورة النازعات: ١٤.

(٣٥) سورة فصلت: ١١.

(٣٦) عن أبي عبد الله (ع) قال: (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنَا مِنْ عَلَيْنِ وَجَعَلَ أَرْوَاحَ شَيْعَتْنَا مَا جَعَلَنَا مِنْهُ وَمِنْ ثُمَّ تَحْنَّ أَرْوَاحَهُمْ إِلَيْنَا وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، وَخَلَقَ عَدُونَا مِنْ سَجِينٍ وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شَيْعَتْهُمْ مَا خَلَقَهُمْ مِنْهُ وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ وَمِنْ ثُمَّ تَحْوَى أَرْوَاحَهُمْ إِلَيْهِمْ) بصائر الدرجات: ص ٢٠ ح ٢.

(٣٧) راجع بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٥٠ ب ١٠ ح ٤٣ وفيه: (كَانَ أَبُو جَعْفَرَ (ع) يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخْذَ مِيثَاقَ شَيْعَتْنَا بِالْوَلَايَةِ لَنَا وَهُمْ ذُرِّ يَوْمَ أَخْذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الدُّرُّ بِالْإِقْرَارِ لَهُ بِالرِّبُوبِيَّةِ وَلِمُحَمَّدِ بِالنِّسْوَةِ وَعَرَضَ عَلَى مُحَمَّدٍ (ص) أَمْتَهُ فِي الظُّلُمَّ وَهُمْ أَظْلَلُهُ وَخَلَقُهُمْ مِنْ الطِّينَةِ الَّتِي خَلَقَ مِنْهَا آدَمَ وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شَيْعَتْنَا قَبْلَ أَبْدَانَهُمْ بِآلْفِيْ عَامٍ وَعَرَضُهُمْ عَلَيْهِ وَعَرَفُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع) وَنَحْنُ نَعْرَفُهُمْ فِي لِحْنِ الْقَوْلِ).

وما في بعض الروايات من لفظ (الأظللة) ولفظ (الأشباح) وما أشبه ذلك^(٣٨) فالظاهر انه يراد بها الأرواح لأنها بالنسبة إلى الأجسام كالظل، وكذلك كالشبح، وذلك لأنّ (الروح) يناسب هذين اللفظين، فالظل هو الهواء الفاقد للضياء لا الصورة المحسنة الخالية عن المادة، والروح قد يكون من هذا القبيل، ففي رواية أبي جعفر (ع): (إنّ الروح متحرك كالريح وإن الروح مجانس للريح)^(٣٩).

وفي رواية الإمام الصادق (ع): (الروح جسم رقيق قد البس قالباً كثيفاً – إلى أن قال: – الروح بمنزلة الريح في الزق)^(٤٠).

وعن الإمام الصادق (ع) قال: (إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظللة قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح اختلف وما تناكر منها اختلف)^(٤١).

وفي رواية أخرى عنه (ع): (قال الراوي ما تقول في الأرواح؟ قال: إنها جنود مجنة فما تعارف منها اختلف وما تناكر منها اختلف، قال: فقلت: إنّا نقول ذلك، قال (ع): فانه كذلك، إن الله عزوجل أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظللة قبل الميلاد، وهو قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخْذَ رِبَّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظَهُورِهِمْ ذَرِيتُهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾^(٤٢) قال: فمن أقرّ له يؤمّن به جاءت الألفة ها هنا ومن أنكره يومئذٍ جاء خلافه ها هنا)^(٤٣).

بمعنى أن الأرواح المقرّة اختلفت والأرواح المنكرة اختلفت عن الأرواح المقرّة، بينما وكل منهما اختلف مع ما يجانسه، فالأرواح المنكرة اختلفت بعضها مع بعض أيضاً.

(٣٨) كلفظ (القلوب) راجع علل الشرائع: ص ٨٢ ح ٢ وفيه: (عن علي بن الحسين (ع) قال: إن الله عزوجل خلق النبيين من طينة عליين وأبدانهم وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وخلق أبدانهم من دون ذلك وخلق الكافرين من طينة سجينين وقلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين فمن هذا الذي يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ومن هنا يصيب المؤمن السيئة ويصيب الكافر الحسنة فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه).

(٣٩) راجع معاني الأخبار: ص ١٧ ح ١٢ وفيه: (إن الروح متحرك كالريح وإنما سمي روحًا لأنّه اشتقت اسمه من الريح وإنما أخرجه على لفظة الروح لأنّ الروح مجانس للريح).

(٤٠) الاحتجاج: ص ٣٤٩ و ٣٥٠.

(٤١) علل الشرائع: ص ٨٤ ب ٧٩ ح ١.

(٤٢) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٤٣) علل الشرائع: ص ٨٤ ب ٧٩ ح ٢.

وعن الإمام الباقر عن أبيه عن جده (عليهم الصلاة والسلام) أن رسول الله (ص) قال لعلي (ع): (أنت الذي احتج الله بك في ابتداء الخلق حيث أقامهم أشباحاً، فقال لهم: ألسنت بربكم؟ قالوا بلى، قال: محمد رسولى، قالوا بلى، قال: وعلي أمير المؤمنين، فأبى الخلق جميعاً إلا استكباراً وعتواً عن ولاتك إلا نفر قليل وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين) كذا في بحار الأنوار^(٤٤).

والمراد بـ (أبى الخلق): المسلمين المعاصرون لرسول الله (ص) وإن فالواضح أن المسلمين بعد ذلك اعترف نصفهم أو أكثرهم بالإمام (ع) كما أنّ في زمان الإمام المهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وهو زمان طويل جداً كلهم يعترفون بالإمام (ع).

كما أن قوله (ص): (قالوا بلى) يراد به بالنسبة إلى المؤمنين، وكذلك (ومحمد رسولى، قالوا بلى) يراد به بالنسبة إلى المسلمين برسول الله (ص) .. فانه في روایاتكم (ع) يلاحظ الزمان والمكان والشرائط والخصوصيات، كتكلّم أحدهنا مع الآخر حيث يلاحظ هذه الخصوصيات، فكيف يمثل رسول الله (ص) والأئمة الطاهرين (ع) الذين هم سادة البلوغاء، قال تعالى: ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾^(٤٥).

وقال (ص): (إننا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم)^(٤٦).

وفي رواية أخرى عن حذيفة قال: قال رسول الله (ص): (ما تكاملت النبوة لنبي في الأنظمة حتى عرضت عليه ولاية أهل بيته ومشلوا له فأقرروا بطاعتكم وولايتهم)^(٤٧).
والنسبة بين الروايتين واضحة، ولو فرض غير ذلك فيما ذكرناه في الرواية السابقة يظهر الجمجم بين هذه الرواية وما سبق.

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قالا: (إن الله خلق الخلق وهي أظلّة، فأرسل رسوله محمداً (ص) فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه، ثم بعثه في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن به في الأنظمة وتجده من جحد به يومئذ، فقال سبحانه: ﴿فَمَا كَانُوا

^(٤٤) بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ١٢٧ ب ٣ ح ٣١.

^(٤٥) سورة إبراهيم: ٤.

^(٤٦) الأمامي للشيخ الصدوق: ص ٤١٨ المجلس ٦٥ ح ٦.

^(٤٧) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٨١ ب ٦ ح ٢٧.

لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ {٤٨} {٤٩} .

بطون الآيات

أقول: والظاهر أن تفسير الآية بذلك من بطون الآية، فإن للآيات بطوناً مصاديق، والمراد بالمصاديق أن الآية بظاهرها كلي ينطبق على مصدق ومصدق، والمراد بالبطون أن الظاهر من الآية شيء والباطن شيء آخر وهكذا..، كما مثلنا لتقريبه في بعض كتبنا بالأمور المادية والحسية، فالظاهر تفاح والباطن ماء التفاح حيث يعصر فيه ماء التفاح ليس مصداقاً للتفاح وإنما بطنه، وإذا صنعنا من ماء التفاح معجوناً يكون المعجون بطن البطن، وإذا صنعنا من المعجون قرصاً فهو بطن البطن وهكذا.

وفي رواية الكافي: عن الإمام الباقر (ع): (يا جابر، إن الله أول ما خلق خلق محمدًا وعترته المهدية المهتدية فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور، أبدان نورانية بلا أرواح وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس فيه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حلماء علماء برة أصفياء يعبدون الله بالصلوة والصوم والسجدة والتسبيح والتهليل ويصلون الصلوات وبخعون ويصومون) ^(٥٠).

ففيما يقال: إنهم (ع) لم يكن لهم أرواح متعددة كما في هذا العالم وإنما كان لهم روح واحدة توجههم وهو روح القدس والله العالم.

ولعل قول رسول الله (ص): (أنا وعلي من شجرة واحدة) ^(٥١) إشارة إلى ذلك.

^(٤٨) سورة يونس: ٧٤.

^(٤٩) بخار الأنوار: ج ٥ ص ٢٥٩ ب ١٠ ح ٦٤.

^(٥٠) الكافي: ج ١ ص ٤٤٢ الحديث ١٠.

^(٥١) بخار الأنوار: ج ٣٨ ص ٣٠٩ ب ٦٧ ح ٩، كشف الغمة: ج ١ ص ٢٩٥.

بين الروح والبدن

مسألة: لا يخفى أن كلا من الروح والبدن مادي، لكن الروح رقيق وكذلك العقل والنفس وما أشبه ذلك مع اختلاف بينها^(٥٢).

بينما البدن مادة كثيفة، والله سبحانه وتعالى جعل لكل روح بدنًا متناسباً مع ذلك الروح، فبدن السجينين كروحهم وكذلك بالنسبة إلى العلّيين، فالروح المخلوقة من السجين والملح الأجاج له بدن من سجين، وكذلك بالنسبة إلى الروح والبدن المرتبطين بالعلّيين، وهذا من باب السنخية كما هو مذكور في الحكمة.

وقد فسر الإمام البارق (ع) قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ لِأَسْقِنَاهُمْ مَاءً غَدْقًا﴾^(٥٣) بقوله (ع): (يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان على الطريقة، يعني على الولاية في الأصل عند الأطلة حين أخذ الله ميثاق بني آدم ﴿أَسْقِنَاهُمْ مَاءً غَدْقًا﴾ يعني لكننا وضعنا أظلتهم في الماء الفرات العذب)^(٥٤).

وفي حديث آخر عن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ لِأَسْقِنَاهُمْ مَاءً غَدْقًا﴾^(٥٥) قال: يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده (ع) وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونفيهم لأسقيناهم ماء غدقا، يقول

^(٥٢) قال السيد الشير في حق اليقين ج ٢ ص ٧٥: (ان النفس جسم نوراني من العالم السماوي، وتعلقها بهذا البدن مثل السراج في البيت يصل نورها وينفذ في جميع اجزاء البدن، والموت عبارة عن خروجها عن هذا البدن، ومفارقتها ايها، وجسمها في نهاية اللطافة والشفافية كاجسام الملائكة وسائل الأجساد السماوية تبقى محفوظة بقدرة الله تعالى).

^(٥٣) سورة الجن: ١٦.

^(٥٤) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٣٤ ب ١٠ ح ٩.

^(٥٥) سورة الجن: ١٦.

لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية علي والأوصياء^(٥٦).

عالم الذر

مسألة: ثم انه لما خلقت الأرواح قبل الأبدان بآلفي عام أو أكثر جعلت الأبدان كالذر وامتحنهم الله سبحانه وتعالى في ذلك العالم، فقد ورد في رواية علي بن معمر عن أبيه قال: سألت أبي عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل: **﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾**^(٥٧) قال: (إن الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذر الأول فأقامهم صفوفاً قدماه، بعث الله محمداً (ص) فآمن به قوم وأنكره قوم، فقال الله: **﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾**، يعني به محمداً (ص) حيث دعاهم إلى الله عز وجل في الذر الأول)^(٥٨).

أقول: فالامتحان هناك كان بالنسبة إلى الألوهية، وبالنسبة إلى النبوة، وبالنسبة إلى الولاية، ولعله كان أيضاً بالنسبة إلى المعاد.

وظاهر بعض الروايات أن الدنيا مبنية على ذلك العالم . ولو بنحو المقتضي . حيث إن الله تبارك وتعالى ابتلى الخلق في بدء الخليقة في عالم الذر قبل ابتلائهم في هذه الدنيا. وفي روايات متعددة إشارة إلى هذا الامتحان هناك في عام الذر، فقد ورد في زيارة السيدة فاطمة الزهراء (ع): (يا متحنة، امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك، فوحدك لما امتحنك صابرة)^(٥٩).

كيفية الامتحان

أما كيف كان الامتحان؟

فالروايات مختلفة فيه، ولعله كانت هناك امتحانات متعددة، كما أن البشر في الدنيا

^(٥٦) الكافي: ج ١ ص ٢٢٠ ح ١.

^(٥٧) سورة النجم: ٥٦.

^(٥٨) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٣٤ ب ١٠ ح ٧.

^(٥٩) التهذيب: ج ٦ ص ٩ ب ١٦ ح ١٢.

يمتحن بامتحانات مختلفة: امتحان بالإيمان وبالصوم والصلوة وبالخمس والزكاة وبالحج والجهاد وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ولنبلوتكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾^(٦٠).

ففي رواية زرارة عن أبي جعفر (ع) قال: (لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف اثنان، فقال: إن الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءً عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي، وقال: كن ماءً ملحاً أحاججاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً ويلد الكافر مؤمناً، ثم أخذ طين آدم من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فإذا هم في الذر يدبون، فقال لأصحاب اليمين: إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب النار: إلى النار ولا أبيالي، ثم أمر ناراً فأسرعت فقال لأصحاب الشمال ادخلوه فهابوها، وقال لأصحاب اليمين ادخلوه فدخلوها، فقال: كوني برباً وسلاماً، فكانت برباً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا رب أقينا، فقال قد أقتلكم فادخلوا فذهبوا فهابوها، فثم ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء^(٦١).

أقول: معنى (لا يستطيع) أي أنّ أهواهم لا تتركهم هكذا وإنّ فلهم الاختيار والإرادة، وحيث إن له الإرادة يثاب ويعاقب، وإنّ ما لا إرادة له لا ثواب ولا عقاب له، وهذا ما أشرنا إليه سابقاً من الاقتضاء لا العلية التامة، وتفصيل الكلام في علم الكلام.

وفي حديث جابر عن الإمام الباقر عن أمير المؤمنين (ع): (قال الله تبارك وتعالى للملائكة: ﴿إنني خالق بشراً من صلصال من حماً مسنون﴾^(٦٢) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين^(٦٣)) قال: وكان ذلك من الله تعالى في آدم قبل أن يخلقه واحتياجاً منه عليهم، قال: فاغترف ربنا عز وجل غرفة يمينه من الماء العذب الفرات وكلتا يديه يمين).

أقول: والظاهر أن المراد من (اليمين) اليمن لأنّ الله منزه عن الجسم والجسمانيات، فلذا

(٦٠) سورة البقرة: ١٥٥.

(٦١) المحسن: ص ٢٨٢ باب بدء الخلق ح ٤١٢، وبحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٥٢ ب ١٠ ح ٤٨٠.

(٦٢) سورة الحجر: ٢٩٢٨.

قال: (كلنا يديه يمين) أي أنه لا شئوم في الله سبحانه وتعالى كما في الإنسان حيث يمينه أفضل من شماله أو ما أشبهه.

قال (ع): (فصللها في كفه حتى جمدت فقال لها: منك أخلق النبيين والمسلين وعبادي الصالحين والأئمة المهدى والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم القيمة ولا أبي ولا أسل عمّا أفعل وهم يسألون).

أقول: المراد بـ(كفه) أي بقدرته كما لا يخفى، ووجه أن الله لا يسأل عما يفعل: أنه يفعل كل شيء حسب العلم والحكمة والمصلحة، أما الإنسان فيسأل لأنه يفعل بعض الأشياء حسب الحكمة والمصلحة وبعض الأشياء حسب الجهل والمفسدة أو مع الشك أو ما أشبه ذلك، وإنما يسأل النبيون (ع) كما في القرآن الحكيم حيث قال سبحانه: ﴿فَلَنْسَأْلُنَّ الَّذِينَ أُرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَلَنْسَأْلُنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٦٣) لأن الحكم لما جاء يجب أن يكون عاماً، كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين علي (ع) بأنه إنما غسل رسول الله (ص) بعد الموت لأنه تنحّس جسمه الشريف . والعياذ بالله . بل لجريان السنة^(٦٤)، وهذا ما يسمى في العرف الحديث بضرب القانون.

وقال (ع): (ثم اغترف غرفة أخرى من الماء الماخ الأجاج ففصللها في كفه فجمدت، ثم قال لها: منك أخلق الجبارين والفراعنة والعتاة وإنحوان الشياطين والدعاة إلى النار إلى يوم القيمة وأشياعهم ولا أبي ولا أسل عمّا أفعل وهم يسألون، قال: وشرطه في ذلك البداء ولم يشترط في أصحاب اليمين).

أقول: لعل المراد بـ(البداء) في ذلك: أن الأمر لم يخرج من يد الله سبحانه وتعالى، ولم يكن الأمر علة تامة بحيث لا يتمكن من خلافها حتى يكون حال ذلك حال اجتماع النقيضين أو الضدين الحال أو كون الجزء كالكل الحال أو ما أشبه ذلك.

(٦٣) الأعراف: ٦.

(٦٤) راجع تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٤٦٩ ب ٢٣ ح ١٨٦ وفيه: (عن الحسين بن عبيد قال: كتبت إلى الصادق ع: هل اغتسل أمير المؤمنين (ع) حين غسل رسول الله (ص) عند موته؟ فقال: كان رسول الله (ص) طاهراً مطهراً ولكن فعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع ذلك وجرت به السنة). والاستبصار: ج ١ ص ٩٩ ب ٦٠ ح ٣، وبحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٥٤٠ ب ٥٠ ح ٥٠.

قال (ع): (ثم أخلط الماءين جميعاً في كفه فصلصلهما ثم كفهما قدّام عرشه وهم سلالة من طين)^(٦٥) الحديث.

وفي رواية زرارة: (إن رجلاً سأله أباً جعفر (ع) عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخْذَ رِبَّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذَرِيتَهُمْ﴾^(٦٦) فقال . وأبوه (ع) يسمع .: حدثني أبي أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم (ع)، فصبّ عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحاً، ثم صبّ عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينية أخذها فعرّكها عرّكاً شديداً، فخرجوا كالذرّ من يمينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم بردًا وسلامًا، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها)^(٦٧).

وعن ابن أذينة عن أبي عبد الله (ع) قال: (كنا عند فدكنا رجلاً من أصحابنا فقلنا فيه حدة، فقال: من علامة المؤمن ان تكون فيه حدة، قال: فقلنا له: إن عامة أصحابنا فيهم حدة، فقال: إن الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين . وأنتم هم . أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج، فالحدة من ذلك الوهج، وأمر أصحاب الشمال . وهم مخالفوهم . أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثم لهم سمت وهم وقار)^(٦٨).

ولعل المراد بالحدة في مثل هذه الرواية: أن أهل الحق مصرون على حقهم ويرون أن مخالفوهم لا يتكلّمون بمنطق وتعقل وإنما بتهرير وما أشبه ذلك.

وقد يكون من باب قوله تعالى: ﴿أَشْدَادُهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٦٩) .
وأما أهل الباطل فحيث يعلمون . عادة . يطّلّان طریقتهم فیتسّمون بالوقار الظاهري وما أشبه ذلك حتى يخفوا في ذلك الظاهر الملیح الواقع القبيح^(٧٠) ..

^(٦٥) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٧.

^(٦٦) سورة الأعراف: ١٧٢.

^(٦٧) الكافي: ج ٢ ص ٧ ح ٢.

^(٦٨) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٤١ ب ١٠ ح ٢٧.

^(٦٩) سورة الفتح: ٢٩.

^(٧٠) ومثل هذا ما ذكره علماء النفس والاجتماع في سبب اتصاف الأقلّيات عادة ببعض المحسّن وذلك ليخطّوا ضعفهم في الکم بقوّة في الكيف.

فهناك أصل حلقة أولي، وأصل حلقة ثانوي في عالم الذر، وهناك تقدم الأرواح حلقة على الأجساد، وهناك امتحان، وهناك أصول تقتضي الطاعة وأصول تقتضي المعصية، وهناك مكالمة بين الله وبين المخلوقات، وهناك طاعة وعصيان، وهناك.. وهناك.. ما يعلمه الله تبارك وتعالى وكل ذلك لا يوجب حتماً بالنسبة إلى هذا العالم، بأن يكون المطيع هناك مطيناً هنا أو العاصي هناك عاصياً هنا، كما سبقت الإشارة إلى كونها بنحو الاقتضاء لا العلة التامة، لأن الله البداء بمعناه المعروف عند المتكلمين الذي يرجع إلى البداء حيث أن الله سبحانه وتعالى لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لا سابقاً ولا لاحقاً ولا حالاً. وبمجموع ما وردت من الآيات والروايات تعطي ما ذكرناه على نحو التواتر الإجمالي، وإن كان في الخصوصيات بعضها آحاد.

خلق آدم (ع)

وكأنه بعد ذلك كله خلق الله سبحانه جسد آدم (ع) وأودع فيه أجساد الذرية المشتملة على الأرواح السامعة الناطقة، سواء كانوا عصاة أو مطيعين هناك، أو عصاة أو مطيعين هنا. ثم جعل في هذا الجسد الذي خلقه بيده . أي بقدرته . والإضافة تشريفية كما لا يخفى، الروح المخلوقة قبل ذلك بألفي عام أو أكثر، وبعد ذلك أمر الملائكة بالسجود له، فقال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَلَنَا لِلْمَلَائِكَةَ اسْجَدُوا لِآدَم﴾^(٧١).

لكن الله سبحانه وتعالى علم بأنه يتحنه (ع) وأنه يسقط في الامتحان . وان لم يكن ذلك معصية . ليأتي به إلى الدنيا.. دار التكليف، فإنه سبحانه خلقه (ع) للأرض، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٧٢) وبعدما أكل من الشجرة أخرج من الجنة وهبط إلى الأرض، والله سبحانه وتعالى بعد ذلك أخرج ذريته من ظهره تدريجًا كما هو المشاهد، قال أمير المؤمنين (ع): (وأهبطه إلى دار البلية وتناسل الذرية)^(٧٣).

^(٧١) سورة البقرة: ٣٤، سورة الإسراء: ٦١، سورة الكهف: ٥٠، سورة طه: ١١٦ .

^(٧٢) سورة البقرة: ٣٠ .

^(٧٣) نهج البلاغة: الخطبة ١ الفقرة ٣٤ .

هل عصى آدم (ع)؟

مسألة: المشهور بين العلماء أن أكل آدم (ع) من الشجرة كان من باب ترك الأولى لا المعصية ولا ترك المستحب ولا الإتيان بالمكروره، ومثل ترك الأولى مثل الإنسان الذي يجلس في مجلس رعا لا يليق به او جلسة كذلك، فإن عمله ليس حراماً وقد لا يكون مكرورهاً ولا ترك مستحب وإنما هو ترك أولى.

لكنا ذكرنا في بعض كتبنا^(٧٤) أن نسبة ترك الأولى أيضاً إلى الأنبياء والمعصومين (ع) غير ظاهر لنا، بل أعمالهم هذه كانت وفق حكمة خاصة، وذلك مثل كلمات الأئمة (ع) وقبلهم الرسول (ص) في ما قد يظهر منه الاعتراف بالمعصية بينما أنهم (ع) معصومون قطعاً ولا يعملون حتى ترك الأولى أيضاً، فالاعتراف إشارة إلى الأمر التكويني من نقص الممكن ذاتاً، فإن الإنسان يريد بهذا الاعتراف أن يؤدي حق العبودية وأن يكمل ذلك النقص الإمكانى بالقدر الممكن.

مثله مثل من يأتي بالخبز اليابس والماء الماخ لضيف عظيم في حال كونه لا يملك غيرهما، فإنه يعتذر أشد الاعتذار من الضيف مع أن عمله ليس حتى ترك الأولى الفاعلي، وإنما يشير إلى ترك الأولى الفعلى ويعتذر لسد النقص الذي لا يملك المعتذر فيه الكمال، وهكذا عمل الأنبياء واعتذارات الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) في قباله عزوجل.

أما القول بأن اعتذارات المعصومين . من الرسول إلى آخريهم (صلوات الله عليهم أجمعين). كان من باب التعليم فحسب، فهو خلاف الظاهر بل خلاف النص . وان كان يستفاد منه ذلك أيضاً، فإنهم (ع) أسوة.

^(٧٤) راجع موسوعة الفقه: (كتاب البيع): ج ٥ ص ٢٤٧ في تنزيه الرسول (ص) والأئمة، و(من فقه الزهراء): ج ١ المقدمة وص ١٨٧-١٩١ وص ٢٤٩-٢٥٣.

أخذ الميثاق ثانية

مسألة: ثم يظهر من الروايات أيضاً أن الله سبحانه وتعالى أخذ الميثاق من الذرّ الخارج من ظهر آدم (ع) مرة ثانية تأكيداً.

ففي رواية أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر (ع) قال: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ فِي ظُلْلَلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى آدَمَ وَالْمَرَادَ بِهِبُوتِ اللَّهِ: هَبُوتُ أَمْرِهِ، مُثْلُ قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ: 《وَجَاءَ رَبَّكَ وَالْمَلَكَ صَفَّا صَفَّا》) ^(٧٥).

(وهو بواد يقال له «الروحاء» وهو واد بين الطائف ومكة، قال: فمسح على ظهر آدم ثم صرخ بذرته وهم ذرّ، قال: فخرجوا كما يخرج النحل من كورها فاجتمعوا على شفير الوادي، فقال الله لآدم: انظر ماذا ترى؟ فقال آدم: أرى ذرّاً كثيراً على شفير الوادي، فقال الله: يا آدم، هؤلاء ذرتك أخرجتهم من ظهرك لأخذ عليهم الميثاق لي بالريوبية ومحمّد بالنبيّة كما آخذه عليهم في السماء، قال آدم: يا رب وكيف وسعتهم ظهري؟ قال الله: يا آدم بلطف صنيعي ونافذ قدرتي، قال آدم: يا رب، فما تريد منهم في الميثاق؟ قال الله: أن لا يشركوا بي شيئاً، قال آدم: فمن أطاعك منهم يا رب فما جزاؤه؟ قال: أسكنه جنّتي، قال آدم: فمن عصاك فما جزاؤه؟ قال: أسكنه ناري، قال آدم: يا رب لقد عدلت فيهم ولبعضك أكثراً إن لم تعصهم) ^(٧٦).

المتشابهات في الروايات

ومن الواضح أن بعض الألفاظ المتشابهة في الروايات حالها حال بعض الألفاظ المتشابهة في الآيات، والكل لأجل الامتحان حتى يعلم من في قلبه زيف، كما قال سبحانه: (هُوَ

^(٧٥) سورة الفجر: ٢٢.

^(٧٦) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٥٩ ب ١٠ ح ٦٦.

الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أُم الكتب وأخر متشابهات فاما
الذين في قلوبهم زيف فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا
الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴿
ربنا لا تزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾^(٧٧).

وكيف كان، ففي رواية أخرى عن حبيب السجستاني عن الإمام الباهر (ع) قال: (إن
الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم (ع) من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوة لكل
نبي، فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته محمد بن عبد الله (ص)، ثم قال الله حلّ
حلاله لآدم (ع): انظر ماذا ترى؟ قال: فنظر آدم (ع) إلى ذريته وهم ذرّ وقد ملؤوا السماء،
قال آدم (ع): يا رب ما أكثر ذريتي وأمّر ما خلقتهم فما ترید منهم بأخذك الميثاق عليهم؟
قال الله عز وجل: يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ويؤمنون برسلي ويتبعونهم)^(٧٨).

^(٧٧) سورة آل عمران: ٧ و ٨.

^(٧٨) الكافي: ج ٢ ص ٨ ح ٧٣.

كيفية جمع الذرّ

ومن الواضح إمكان جمع الذرّ التي لا تُحصى كثرة في مكان صغير، فقد ثبت في العلم الحديث أن كلّ خلية حية تتكون من ثلاثة أشياء: وشبهوها بسور وأبواب وعمال وفي وسطهم غرفة الأوامر والإدارات، وهذه الغرفة متكونة من ثلاثين ألف طبقة، وهؤلاء العمال هم الذين يأتون بالشيء من خارج السور إلى داخله ثم يحولونه إلى ما يلائم البدن من الأجسام والخواص والألوان وغير ذلك، وتلك الغرف المكونة من ثلاثين ألف طبقة هي محلّ القيادة والأمر، ولكلّ حيّة عقل يناسبها . كعقل الإنسان في الجملة . لكنه صغير إلى غاية الصغر ..

فإذا كان هذا ما اكتشفه العلم الحديث بالنسبة إلى الخلايا الحية فكيف يكون سائر صنع الله سبحانه وتعالى الذي يخلق من الذرة إلى المجرة؟
بل ولعلّ هناك أصغر وأصغر من الذرة ألوف المرات، وأكبر وأكبر من المجرات العادية كذلك، قال عزوجل: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾^(٧٩)
فإنّ قدرة الله سبحانه وتعالى لا تتعلق بالمحال وذلك لنقص المحال في ذاته لأنّه لا ينقص القدرة كماً وكيفاً، كما دلّ على ذلك العقل والنّقل وتفصيل الكلام في علم الكلام ..
فكلّ ما لا يكون محالاً في الصغر والكبير كماً وكيفاً تتناوله قدرته سبحانه وتعالى .
وهناك في كتاب (بحار الأنوار) وفي غيره أيضاً عشرات الروايات التي تبيّن هذه الحقائق، وقد ذكرنا جملة منها في الامتحان الأول والامتحان الثاني بل والامتحان الثالث أيضاً^(٨٠).

^(٧٩) سورة النمل: ٨٨.

^(٨٠) الظاهر ما ذكره الأمام المؤلف في : ص ٢٠ عنوان (خلق الروح) وص ٢٦ عنوان (علم الذر)
وص ٣٥ عنوان (أخذ الميثاق ثانية)

لا مجرّد غير الله

مسألة: إننا ذكرنا في كتبنا الكلامية . وكما سبق أيضاً^(٨١) استحالة تحرّد غير الله سبحانه وتعالى، فما ذكره الحكماء من الأدلة على خلاف ذلك مدخلة مما لا داعي إلى تكرارها هنا، وهناك روايات تدلّ على عدم التجدد، منها:

قول أبي عبد الله (ع) لأبي بصير: (إن الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة تعارف وتسائل)^(٨٢).

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عن أبيه عليه السلام قال: (إن روح آدم (ع) لما أمرت أن تدخل فيه فكرهته، فأمرها أن تدخلها كرهاً وترجع كرهاً)^(٨٣).

وفي رواية أبي ولاد عن الإمام الصادق (ع) قال: (قلت له: جعلت فداك يررون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور حضر حول العرش، فقال: لا، المؤمن أكرم على الله عزّ وجلّ من أن يجعله في حوصلة طير ولكن في أبدان كأبدانهم)^(٨٤).

وفي رواية يونس عن الإمام الصادق (ع) قال: (... فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فيا كلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادر عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا)^(٨٥).

وفي الكافي عن حبة العربي، قال: (خرجت مع أمير المؤمنين (ع) إلى الظهر . أي ظهر الكوفة . فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام، . إلى أن قال: . ثم طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال لي: يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته، قال: قلت يا أمير المؤمنين وإنهم

^(٨١) أنظر أول مسألة من الكتاب: الوجود المجرد.

^(٨٢) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٦٩ ب ٨ ح ١٢١.

^(٨٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٠٨ ب ١ ح ١٥.

^(٨٤) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٤ ح ١.

^(٨٥) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٥ ح ٦.

ل كذلك؟ قال: نعم، ولو كشف لك لرأيهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون، فقلت: أجسام أم أرواح؟ قال: أرواح^(٨٦).

وعن أبي المقدام عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام قال: (والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلا أصعد الله عز وجل روحه إلى السماء فيبارك عليها، فان كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنته وفي ظل عرشه، وإن كان أجلها متاخرًا بعث بها مع أمنته من الملائكة ليريدها إلى الجسد الذي خرجم منه لتسكن فيه)^(٨٧).

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر (ع): (إن العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى السماء، فما رأت الروح في السماء فهو الحق وما رأت في الهواء فهو الأضغاث)^(٨٨).

أقول: الظاهر أن يكون (الهواء) حدّ ما فيه الهواء، إذ ينقطع الهواء إذا ارتفعنا عن الأرض مقداراً.

وفي رواية عن الإمام علي (ع): (إن الله يقول: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾^(٨٩) فالله يتوفى الأنفس كلها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤية الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذّبتها وأخبرتها بالأباطيل فكذبت فيها)^(٩٠).

وفي المناقب: (ما أحب الإمام الرضا (ع) بحضور المؤمن لصبح بن نصر الهندي وعمران الصابي عن مسائلهما، قال عمران: العين نور مركبة أم الروح تبصر الأشياء من منظرها؟ قال (ع): العين شحمة وهو البياض والسوداد، والنظر للروح دليله،- إلى أن قال (ع):- الروح مسكنها في الدماغ وشعاعها منبث في الجسد بمنزلة الشمس دارتها في السماء

^(٨٦) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٣ ح ١.

^(٨٧) الكافي: ج ٨ ص ٢١٢ ب ٨ ح ٢٥٩.

^(٨٨) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٤٥ المجلس ٢٩ ح ١٦.

^(٨٩) سورة الزمر: ٤٢.

^(٩٠) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٩٣ ب ٤٤ ح ٧٠.

وشعاعها مبسط على الأرض)^(٩١).

وفي رواية محمد بن مسلم عن الإمام الباقي (ع): (إن الروح متحرك كالريح، وإنما سمى روحًا لأنها اشتق اسمه من الريح، وإنما أخرجها على لفظة الروح لأن الروح مجانس للريح)^(٩٢).
أقول: ولا إشكال في كون أحدهما يائي والآخر واوي فهو من الاشتقاد الكبير على ما ذكره شرح النظام، خصوصاً أن الياء والواو متقاريان، وهذا بحد في القافية أحياناً وأحياناً ياءً ولا يضر ذلك بالقافية^(٩٣).

وفي رواية محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عن آبائه عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم أجمعين) قال: (لا ينام المسلم وهو جنب، ولا ينام إلا على ظهوره، فإن لم يجد الماء فليتيم بالصعيد، فإن روح المؤمن ترفع إلى الله تبارك وتعالى فيقبلها ويبارك عليها فإن كان أجلها قد حضر جعلها في كنوز رحمته وإن لم يكن أجلها قد حضر بعث بها مع أمنائه من ملائكته فيردها في جسدها)^(٩٤).

أقول: في بعض الروايات إن الإنسان إذا تكاسل عن التطهير بالماء تيمم ولو على لحافه كما ذكره الفقهاء^(٩٥)، وهذا من اليسر الذي قرره الله للإنسان حيث قال سبحانه: ﴿يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٩٦).

وقد ذكرت في التفسير الموضوعي^(٩٧) أن ﴿لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ كان مقدماً رتبة وإنما

^(٩١) المناقب: ج ٤ ص ٣٥٣ فصل في علمه (ع).

^(٩٢) معاني الأخبار: ص ١٧ ح ١٢.

^(٩٣) راجع في علم العروض كتاب (المقدمات): خلاصة العروض، للإمام المؤلف (دام ظله).

^(٩٤) الخصال: ص ٦١٣.

^(٩٥) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٣٥٦ ب ٩ ح ٣٨٥٦ عن أبي عبد الله (ع) قال: (من أوى إلى فراشه ثم ذكر أنه على غير طهر تيمم من دثار ثيابه). وبحار الأنوار: ج ٧٦ ص ١٨٢ ب ٥ ح ٣٩. ومكارم الأخلاق: ص ٢٨٨ (قال الإمام الصادق ع: من تطهر ثم أوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده وإن ذكر أنه على غير وضوء فليتيمم من دثاره كائناً ما كان فإن فعل ذلك لم يزيل في الصلاة وذكر الله عز وجل) وراجع موسوعة (الفقه) ج ١٦ كتاب الطهارة ص ١٨٨.

^(٩٦) سورة البقرة: ١٨٥. وراجع حول قاعدة اليسر كتاب (القواعد الفقهية) للإمام المؤلف ص ١٢٥.

^(٩٧) يقع هذا الكتاب في عشرة مجلدات ولا زال مخطوطاً.

آخر في اللفظ من جهة أن المقام مقام اليسر فهو يقتضيه كما ذكره علماء البلاغة^(٩٨)، وإنما لا مجال حينئذٍ لـ«لا يزيد بكم العسر» إلا التأكيد والتأكيد خلاف الأصل، والله العالم.

وفي الكافي عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (ع): (إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله (ص) ومن شاء الله، فجلس رسول الله عليه وآله وآل بيته عن يمينه والآخر عن يساره، فيقول له رسول الله عليه وآله وآل بيته: أَمَّا مَا كنْتَ ترْجُو فَهُوَ ذَا أَمَالِكَ، وَأَمَّا مَا كنْتَ تَخَافُ مِنْهُ فَقَدْ أَمْنَتْ مِنْهُ ثُمَّ يفتح له باب إلى الجنة فيقول: هذا منزلك من الجنة فان شئت رددناك إلى الدنيا ولك فيها ذهبٌ وفضة، فيقول: لا حاجة لي في الدنيا، فعند ذلك يبيض لونه ويرشح جبينه وتقلص شفتيه وتنتشر منخراته وتذمع عينيه اليسرى، فأي هذه العلامات رأيت فاكتف بها، فإذا خرحت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليه وهي في الجسد فتحتار الآخرة، فتغسله فيمين يغسله وتقبّله فيمين يقلبه، فإذا أدرج في أكفانه ووضع على سريره خرحت روحه تمشي بين أيدي القوم قدماً، وتلقاء أرواح المؤمنين يسلمون عليه ويسّرونها بما أعد الله له جل جلاله من النعيم، فإذا وضع في قبره رد إليه الروح إلى وركيه، ثم يسأل عما يعلم فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله (ص) فيدخل عليه من نورها وضوءها وبردها وطيب ريحها^(٩٩).

^(٩٨) راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (دام ظله).

^(٩٩) الكافي: ج ٣ ص ١٢٩ ح ٢.

مناسبات الأرواح

مسألة: للروح مناسبات خاصة كما ذكرت في الرواية السابقة وكما نشاهد بعضها في حال النوم وربما يشاهدها الذين يحضرون الأرواح، ولذا يلزم أن لا يستبعد هذه الأمور المذكورة في جملة من الروايات والتي منها الرواية المتقدمة، فهي غير بعيدة حتى عن حواسنا في الجملة. أمّا حضور رسول الله (ص) والأئمة الطاهرين (ع) كما قال أمير المؤمنين علي (ع):

يا حار حمدان من يمت يربني من مؤمن أو منافق قبلاً^(١٠٠)

فليس ذلك بغريب، فان الروح القوي يتمكن أن يخلق أجساماً متعددة، كما هو المشاهد بالنسبة إلى قسم من المشعوذين والسحرة حيث يصنعون أجساماً متعددة لكنها زيف، بخلاف أولياء الله تعالى، ولذا ورد في الروايات حضور أمير المؤمنين (ع) على جنازة نفسه. وقد يكون حال ذلك حال ما يشاهد من أمواج التلفاز وأصوات الإذاعة حيث أن المتكلّم يتكلّم كلاماً واحداً ويسمعه أحياناً مائة مليون إنسان أو أكثر، كل واحد بقدر الآخر، وكل مصدق بقدر الصوت الذي أحدثه ذلك الإنسان، وكذلك بالنسبة إلى الصور التلفزيونية.

ومن لاحظ الكتب المرتبطة بالأرواح والأجنة والملائكة مما كتبها العلماء، من الغربيين ومن إليهم، يكون فهم ما ذكر في رواياتنا سهلاً يسيراً، وفي كتاب (الإنسان روح لا جسد) الذي ألفه أحد علماء مصر^(١٠١) في ثلاثة مجلدات، وغيره الكثير من هذه الأمور.

وفي الاحتجاج عن ابن الحكم عن الإمام الصادق (ع) قال في جواب مسألة: (الروح حسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً). إلى أن قال: . أفيتلاشا الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟ قال (ع): بل هو باق إلى وقت يوم ينفع في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى فلا حسّ ولا محسوس، ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها).

^(١٠٠) الأمالي للشيخ المفيد: ص ٧ المجلس الأول. بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٨١ .

^(١٠١) وهو الدكتور علي عبد الراضي.

أقول: في مشاهداتي الشخصية ومسموعاتي عن الثقة قصص كثيرة تدل على بعض هذه الأمور:

مع السيد القمي (ر)

فقد كان المرحوم السيد حسين القمي^(١٠٢) (رحمه الله تعالى) مبتلى بالسرطان في آخر أيام حياته وأغمي عليه قبل موته بساعات في مستشفى بغداد، وقبل أن يتوفاه الله فتح عينيه وأخذ يصرّ بأن يجلسوه قائلاً: إن السيد آت، إن السيد آت، حتى ظنّ بعض من كان قد احتفّ به أنه رحمه الله يتكلّم عن لا وعي، لكنهم بإصراره أجلسوه، فتوجّه نحو باب الغرفة، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ثم أغمض عينيه وفارق روحه الطاهرة الدنيا.

وفي اللحظات الأخيرة

وشبه هذه القصة اتفقت بجدي واسمها (بي بي عصمت)^(١٠٣) قبيل وفاتها حيث كانت مغمي عليها، ثم فتحت عينيها وتوجهت نحو باب الغرفة، وقالت: السلام عليك يا أبا عبد الله، ثم أغمضت عينيها وفارق روحها الدنيا.

من آثار الولاء

وهكذا بالنسبة إلى شخصٍ ثالثٍ كان في كربلاء المقدسة ويخدم في مجالس الإمام الحسين (ع) وكان رجلاً عابداً متديناً، فعند وفاته فتح عينيه فسلم على الإمام الحسين (ع) سلام إنسان حاضر لا سلام غائب، ثم فارقت روحه الدنيا، رحمهم الله جميعاً.

^(١٠٢) آية الله العظمى السيد حسين الطباطبائي القمي (١٢٨٢-١٣٦٦هـ) من مراجع التقليد الكبار المعروفيين بالورع والتقوى.

^(١٠٣) أو المسماة (عصمة الشريعة) – كما في كتاب (والدتي) له دام ظله – وهي العابدة الراحلة، توفيت في العراق حوالي عام ١٣٩٤هـ ودفنت في مقبرة آل الشيرازي الواقعة في الجنوب الغربي من الروضة الحسينية في كربلاء المقدسة، راجع مقدمة كتاب (الفضيلة الإسلامية) ج ٤ للمؤلف.

إلى غير ذلك من القصص الكثيرة^(١٠٤)، ولعل الكثير منا شاهد أمثال ذلك بكثرة.

كيفية رد الروح في القبر

مسألة: أما ما ورد من (رد الروح إلى وركيه)^(١٠٥) التي ذُكرت في الرواية السابقة فلا يُراد بذلك أنه يحيي وإنما يُراد به أن شيئاً من الروح بحث لا ينافي الموت يرجع إلى داخل البدن، وهو مما لا يشاهده الأحياء بالعين العادمة..

كما يرى أن شيئاً من الروح يبقى في داخل البدن حال النوم لكن ليس بالروح الذي في حال اليقظة تماماً.

(١٠٤) كما ونقل الإمام المؤلف دام ظله إحدى الكرامات الحسينية في آخر كتاب (والدتي) قال فيه: (وقد روى لي أحد تلاميذ الميرزا النائيني (قدس سره) انه روي له.. قال: ذهبت أنا وصديق لي إلى كربلاء المقدسة، من النجف الأشرف مشياً على الأقدام، فتمرضت في الطريق، حتى اذا وصلت إلى كربلاء، أغمي علي وفي تلك الحالة كشف عن بصرى، وإذا بي أرى المعصومين الأربع عشر ۱ وقد أحاطوا بي، وقد سلب مني كل شيء يرتبط بالدنيا، حتى ان العلوم الدنيوية انحنت عن خاطري، ولم يبق عندي إلا ما كنت حملته من علوم أهل البيت ۱.. ورأيت في ذلك الحال أن صديقي السيد واقف عند الضريح المقدس، طرف الرأس الشريف ويطلب شفائي من الله سبحانه ويقسم عليه بحق الإمام الحسين ع .. ثم شعرت بأن الله قبل دعاءه بشفاعة الإمام ع، وإذا بي أرى نفسي في مكاني من البيت مشفاً، وليس بي عليه، ففقمت وتوضأت، وذهبت إلى الزيارة.. وفي الإيوان المقدس، التقى بالسيد وهو يخرج عن الحرم الشريف، ولما رأى تعجب تعجبًا بالغاً وقال: إبني تركتك وأنت في حالة الاحتضار.. وجئت لأطلب شفاءك من الإمام ع فكيف أراك هنا؟

فنقلت له قصة المكاشفة.. ففرح فرحاً كبيراً..

ثم قال: الحمد لله الذي شافاني، وأراني ما رأيت لازداد بذلك إيماناً وعقيدة. نعم ان لهم ۱ عند الله عز وجل شأنًا من الشأن..

(١٠٥) أي الميت.

فللروح مراتب ككل شيء في هذه الدنيا مما له مراتب من الماديات والمعنويات، فللشجاعة مراتب تبتدئ بشجاعة إنسان لقتل عقرب أو حية . مثلاً . إلى شجاعة من يقول: (والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت)^(١٠٦) ، والمراد بالعرب كل الشجعان كما هو واضح.

وكذلك في الماديات تبتدئ من الذرة وتنتهي إلى أكبر مجرّة، وقد رأيت أناساً كانوا يتمنّون من إخراج أرواحهم عن أجسادهم بقوّة نفوسهم، فكان الروح يذهب ويأتي ويتكلّم ويأخذ ويعطي والبدن ملقي هناك لا حراك فيه كأنه ميت، وقد تكون الرؤيا خير دليل على ذلك.

^(١٠٦) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥، الفقرة ١٩ .

بين الروح والجسد

مسألة: الروح كالجسد يعرضها السرور والحزن، والخوف والأمن وأنواع المللّات والمكاره. والتنويم المغناطيسي (المهيمنوتيزم) أبطل مقالة الماديين حتى عند أنفسهم حيث زعموا أن كلّ شيء مادة كثيفة وهناك جسم ولا روح بالمعنى الذي نذكره، وإنّما يقولون إنّ الروح عبارة عن بخار الدم.

بين الرّوح والنّفس

مسألة: ثم إنّ الظاهر أنّ الروح غير النفس، كما أنّهما غير العقل، فالروح آلة الحياة، أما النفس فشيء في داخل الإنسان يأمر الإنسان بالحسن والقبيح. وكلّما جاء ذكر الروح في القرآن الحكيم مدحه الله تبارك وتعالى، ولكن عند ذكر النفس جعله بين المدح والذم^(١٠٧)، كقوله سبحانه: ﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا﴾ فأنّهما فجورها وتقواها^(١٠٨).

وأحياناً يطلق أحدهما على الآخر. وكلّها . حسب المستفاد من الآيات والروايات والأدلة العقلية. أمور مادية إلّا أنها تختلف، كما أنّ الذهب والبرليان والتربّاب كلّها أمور مادية لكنّها تختلف في جواهرها. كما أنّ الصفات النفسيّة من الشجاعة والجبن والكرم والبخل والعدالة والظلم وما أشبه ذلك كلّها أمور مادية مخلوقة، وقد دلّ على ذلك روايات جنود العقل وجنود الجهل ما ذكر في بحار الأنوار^(١٠٩) وغيره، وإلّا فلا يعقل أن يكون شيء متأثراً .. ولا مؤثر^(١١٠)، فهو مثل

^(١٠٧) فمثلاً: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكُلُّمُ نَفْسٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ﴾. سورة هود: ١٠٥.

وقال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَنِّي نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لِمَنِ السَّاحِرِينَ﴾. سورة الزمر: ٥٦.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِيَّ﴾ وادخلني جنتي^(١١١). سورة الفجر: ٣٠.٢٧.

^(١١١) سورة الشمس: ٨٧ و٨٦.

^(١٠٩) راجع بحار الأنوار: ج ١ ص ١١١.١٠٩ ب ٤ ح ٧ وفيه: عن سماحة قال كنت عند أبي عبد الله (ع) وعنه جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل فقال أبو عبد الله (ع): إعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا، قال سماحة: فقلت جعلت فداك لا نعرف إلّا ما عرفتنا. فقال أبو عبد الله (ع): إنّ الله جلّ شأنه خلق العقل وهو أول خلقه من

الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي، قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانيا، فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فلم يقبل، فقال له: استكبرت فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً فلما رأى الجهل ما أكرم به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا رب هذا خلق مثلي خلقته وكرمته وقويته وأنا ضده ولا قوة لي به فاعطني من الجن ما أعطيته، فقال: نعم فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال: قد رضيت فأعطيه خمسة وسبعين جنداً فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجنداً:

الخير وهو وزير العقل وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل، والإيمان وضده الكفر، والتصديق وضده الجحود، والرجاء وضده القنوط، والعدل وضده الجور، والرضا وضده السخط، والشك وضده الكفران، والطمع وضده اليأس، والتوكيل وضده الحرص، والرأفة وضده الغررة، والرحمة وضده الغضب، والعلم وضده الجهل، والفهم وضده الحمق، والعفة وضده التهتك، والزهد وضده الرغبة، والرفق وضده الخرق، والرهبة وضده الجرأة، والتواضع وضده التكبر، والتؤدة وضده التسرع، والحلم وضده السفه، والصمت وضده المذر، والاستسلام وضده الاستكبار، والتسليم وضده التجبر، والعفو وضده الحقد، والرقة وضده القسوة، واليقين وضده الشك، والصبر وضده الجزع، والصفح وضده الانتقام، والغنى وضده الفقر، والتفكير وضده السهو، والحفظ وضده النسيان، والتعطف وضده القطيعة، والقنوع وضده الحرص، والمواساة وضده المنع، والمودة وضده العداوة، والوفاء وضدها الغدر، والطاعة وضدها المعصية، والخضوع وضده التطاول، والسلامة وضدها البلاء، والحب وضده البعض، والصدق وضده الكذب، والحق وضده الباطل، والأمانة وضدها الخيانة، والإخلاص وضده الشوب، والشهامة وضدها البلادة، والفهم وضده الغباوة، والمعروفة وضدها الإنكار، والمداراة وضدها المكاشفة، وسلامة الغيب وضدها المماكرة، والكتمان وضده الإفشاء، والصلة وضدها الإضاعة، والصوم وضده الإفطار، والجهاد وضده النكول، والحج وضده نبذ الميثاق، وصون الحديث وضده التمييم، وبر الوالدين وضده العقوق، والحقيقة وضدها الرياء، والمعروف وضده المنكر، والستر وضده التبرج، والتقية وضدها الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية، والمهنة وضدها البغي، والنظافة وضدها القذر، والحياء وضده الخلع، والقصد وضده العداون، والراحة وضدها التعب، والسهولة وضدها الصعوبة، والبركة وضدها الحق، والعافية وضدها البلاء، والقوام وضده المكاثرة، والحكمة وضدها الهوى، والوقار وضده الخفة، والسعادة وضدها الشقاء، والتوبية وضدها الإصرار، والاستغفار وضده الاغترار، والمحافظة وضدها التهاون، والدعاء وضده

أن يكون هناك معلول ولا علة، فحالات الإنسان المختلفة تدلّ على منشأ لها.

أما قول الحاج السبزواري: (النفس في وحدتها كلّ القوى) ^(١١١)

فذلك مما لم يدلّ عليه الدليل، بل الظاهر أنّ الدليل على خلافه، حيث (إن الواحد . غير ذي الإرادة . لا يصدر منه إلاّ واحد، كما لا يصدر إلاّ واحداً) على تفصيل ذكرناه في بعض كتبنا الكلامية وغيرها، مما لا داعي إلى تكراره.

الاستنكاف، والنشاط وضده الكسل، والفرح وضده الحزن، والألفة وضده الفرقة، والسخاء وضده البخل .

فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبي أو وصي نبي أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحددهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل ويتقى من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء ^{وإنما يدرك الفوز بمعرفة العقل وجنوده ومجانبة الجهل وجنوده وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته).} ^{(١١٠) أي له.}

^(١١١) شرح المنظومة، قسم الفلسفة ص ٣١٤، ط ٥ دار العلم، قم. وقام الشعر هو:
و فعلها في فعله قد انطوى

الجهل بحقيقة النفس والروح

مسألة: ثم إنا لا نعرف حقيقة النفس ولا حقيقة الروح، فقوله سبحانه: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١١٢) من باب المصدق، وإنما فكل شيء هكذا، والأشياء . عادة . حقيقتها مجهولة للإنسان كما ذكره السيد الشريف من القدماء، وذكره الكثير من علماء الغرب كمؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول).

وعلم الطب والتشريح وعلم النفس فعلاً وانفعالاً في البدن، مع تقدمها الهائل تقف حائرة أمام البدن المادي.. فكيف بالروح والعقل وصفات النفس التي هي معنويات؟.

فقد قال بعض العلماء: إن الرواية المروية: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(١١٣) تشير إلى العقد السلي لـ الإيجابي.

أي كما أن الإنسان لا يعرف ربه بحقيقة كذلك لا يعرف نفسه بحقيقة، وإنما المعروف لدى الإنسان الآثار لا المؤثر.

^(١١٢) سورة الإسراء: ٨٥.

^(١١٣) متشابه القرآن: ج ١ ص ٤.

القائلون بتجزّد النفس

ثم إنّ الذين^(١١٤) قالوا بتجزّد النفس^(١١٥) من الحكماء ومن إليهم استدلوا لذلك بالكتاب والسنّة والعقل، حيث لا إجماع لهم إطلاقاً^(١١٦).

الاستدلال بالكتاب

أما الكتاب: فقوله سبحانه في آدم (عليه السلام): ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(١١٧) فقالوا: من الواضح أن الله مجرد فالروح مجرد لأنّه منه تعالى. وقوله سبحانه في عيسى (ع): ﴿وَكَلِمَتِهِ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾^(١١٨) على نحو الاستدلال السابق.

وقال تعالى في إبراهيم الخليل (ع): ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ﴾^(١١٩).

وقوله سبحانه: ﴿أَنِي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً﴾^(١٢٠) بتقرّب أنّ الجسم وقواه ليس شيء منها بهذه الصفات الرفيعة من رؤية عالم الملائكة والإيقان والتوجّه بوجه الذات لفاطر السماوات والأرض، فكان ذلك بغيرها وهي النفس

^(١١٤) ففي (حق اليقين) للسيد الشيرازي ج ٢ ص ٧٤: وأكثر الفلاسفة والحكماء على تجزّدها. أي الروح .. وعليه بعض قدماء المعتزلة والغزالى والراغب الأصفهانى، والشيخ المفید منا والشيخ البهائى). ولكن في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (ع): (ان الروح جسم رقيق قد البس قالبا كثيفا). الاحتجاج للطبرسي: ص ٣٤٩ . ٣٥٠.

^(١١٥) رىما يكون المراد من النفس هنا: الاعم من الروح.

^(١١٦) هذا بناء على حجّيته فيها وإلا فالامر أوضح.

^(١١٧) سورة الحجر: ٢٩، سورة ص: ٧٢.

^(١١٨) سورة النساء: ١٧١.

^(١١٩) سورة الأنعام: ٧٥.

^(١٢٠) سورة الأنعام: ٧٩.

المحرّدة، و(الحنفية) أي الطهارة والقدس.

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا هُنَّا خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١٢١)، فخلق الجسم حلق، وخلق المحرّدة حلق آخر.

وقوله تعالى: ﴿سَبَّحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مَا تَنْبَتُ الْأَرْضُ وَمَنْ أَنْفَسْهُمْ وَمَمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٢٢) حيث إن (ما لا يعلمون) إشارة إلى الروح المحرّدة.

وقوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الْطَّيِّبُ﴾^(١٢٣) فان الله المحرّدة لا يصعد إليه إلا المحرّدة، (والكلام الطيب) يكون مجرّدا، والكلام المحرّدة لا ينشأ إلا عن الروح المحرّدة.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١٢٤) حيث إن المحرّدة هو أحسن التقويم وإلا فالجسم لا يكون بالنسبة إليه أحسن منه بينما فوقه شيء أحسن منه.

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطَمَّنَةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾^(١٢٥)

..

قالوا: وجميع الآيات المشيرة إلى المعاد وأحوال العباد في النشأة الثانية دالة على تحرّدة النفس، لاستحالة إعادة المعدوم، كما قال الحاج السبزواري (ره):

إعادة المعدوم مما امتنعا وبعدهم فيه الضرورة ادعى^(١٢٦) ولاستحالة انتقال العرض وما في حكمه من القوى المنطبعة.

إلى غيرها من الآيات.

المناقشة في أدلةِهم

ومن الواضح أن لا دلالة في شيء منها على تحرّدة النفس إطلاقاً، فان قوله تعالى:

(١٢١) سورة (المؤمنون): ١٤.

(١٢٢) سورة يس: ٣٦.

(١٢٣) سورة فاطر: ١٠.

(١٢٤) سورة التين: ٤.

(١٢٥) سورة الفجر: ٢٧_٢٨.

(١٢٦) غرر الفرائد (قسم الفلسفة من المنظومة) للسبزواري.

﴿ونفخت فيه من روحه﴾ أي الروح المشرفة بالانتساب إلىه، فهو مثل (بيت الله)^(١٢٧) و(ناقة الله)^(١٢٨) وما أشبه ذلك، ويمكن أن يراد بكلمة ﴿من روحه﴾: روح خلقته. وكذلك قوله سبحانه: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾ فان الكلمة اختراع من الله وتقدير منه وخلق له.

وقوله تعالى: ﴿نري إبراهيم ملوك السماوات والأرض ول يكون من المؤمنين﴾ فأي تلازم بين رؤية الملوك وبين التجدد؟، كما أنه أي تلازم بين اليقين وبين التجدد؟. وأما: ﴿وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا﴾ فان معناه الإخلاص للذات الربوبية في الأعمال والعبادة، والطهارة والقدس التي فسر بعما الحنيفية بالإضافة إلى أن معنى الحنيفية ليس بذلك - إذ (الحنيف) معناه المنحرف عن الباطل إلى الصحيح الحق^(١٢٩) لا تلازمان التجدد.

أما قوله سبحانه: ﴿أَنْشَأَنَا خَلْقًا آخَر﴾ فان الله تعالى خلق فيه الروح وهو خلق آخر غير خلق الجسم كما هو واضح، ولكن هل معنى ذلك أنه مجرد؟. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لَا يَعْلَمُ﴾.

وهكذا بالنسبة إلى قوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْدُدُ الْكَلْمَ الطَّيِّبَ﴾ فان معنى صدود الكلم الطيب وارتفاعه إلى الله سبحانه وتعالى . مع وضوح أنه عزوجل ليس بجسم وليس له محل في سماء أو أرض أو ما أشبه ذلك . الارتفاع المعنوي، حيث يكون جزء الكلام الطيب الذي يقوله الإنسان الثواب الكثير.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَحَسِنْ تَقْوِيم﴾ فان خلق الإنسان في أحسنه معناه أن الإنسان موضوع كل شيء منه في موضعه من ظاهره وباطنه وروحه وعقله ونفسه وجميع أجزاءه وما أشبه ذلك.

وهكذا الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، فمعناه الرجوع إلى ثوابه وجزائه وإلا لزم أن يكون الله مادياً، تعالى الله عن ذلك.

^(١٢٧) قال تعالى: ﴿إِنْ طَهَرَا بَيْتِي لِلْطَّائِفَيْنِ﴾ سورة البقرة: ١٢٥ .

^(١٢٨) قال تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُم﴾ سورة الأعراف: ٧٣ .

^(١٢٩) المعجم الوسيط: مادة (حنف) أي المائل من شر إلى خير.

وعلى أي حال فلا شيء من هذه الأدلة تدلّ من قريب أو بعيد على تحدّد ما سواه تعالى.

وأضعف من ذلك ما قد يستدلّ بعضهم بآيات لا دلالة لها على المدعى، مثل قوله سبحانه: **﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾**^(١٣٠) بتقريب أن رؤيته الفعل لاتنفك عن رؤية الفاعل، وبما انه لا يمكن رؤيته تعالى فليست في حدّ الجسم ومشاعره حتى يرى رب الأرباب وسبب الأسباب فهي مجردة.

أما عدم دلالة هذه الآية فان الاستدلال كثيرون وصغارهم كلامها مدخلة، فمن أين أن رؤية الفعل لا تنفك عن رؤية الفاعل؟ والبديهة تحكم بخلاف ذلك.

الاستدلال بالسنة

ثم انهم استدلّوا من السنة بروايات لا دلالة فيها بأجمعها، وضعيفه السنّد كثير منها، مثل:

ما رُوي عن رسول الله (ص): (من عرف نفسه فقد عرف ربّه)^(١٣١) بتقريب انّما كلامها مجرّد، فإذا عرف الإنسان مجرّدًا عرف المجرّد الآخر.

وفيه :

أولاً: احتمال أن المراد بهذا الكلام ناحية السلب لا الإيجاب كما أشرنا إليه سابقاً.

وثانياً: إن الإنسان إذا عرف نفسه كيف هي مخلوقة عرف عظمة ربّه؟، فمن الواضح أنه إذا رأى المخلوق دقيقاً متقناً في غاية الدقة والإتقان عرف أن الخالق له: حيّ عالم قادر مدرك.. إلى آخر الصفات الجمالية والجلالية، كما قال :

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

كما استدلّوا بقوله (ص): (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه)^(١٣٢) ..

وقوله (ص) في ما روي: (من رأني فقد رأى الحق)^(١٣٣).

^(١٣٠) سورة البقرة: ٢٦٠.

^(١٣١) متشابه القرآن: ج ١ ص ٤٤.

^(١٣٢) متشابه القرآن: ج ١ ص ٤٤، روضة الوعاظين: ص ٢٠.

وقوله (ص): (أَنَا النَّذِيرُ الْعَرِيَانُ)^(١٣٤).

وقوله (ص): (لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتٌ لَا يَسْعَنِي مَلِكٌ مُقْرَبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)^(١٣٥).

وقوله (ص): (أَبَيْتُ عِنْدَ رَبِّي فَيُطْعَمُنِي وَيُسْقِينِي)^(١٣٦).

فالاستدلال بهذه الأخبار وأمثالها من جهة أنها تدلُّ على شرف النفس وقرها من الله سبحانه وتعالى المجرد، إذا كملت.

وكذا قوله (ص) فيما روي عنه: (رَبُّ ارْبَيِ الْأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ)^(١٣٧) بتقرير أن دعاء النبي (ص) مستجاب والعلم بالأشياء ذات السبب كما هي لا يحصل إلا من جهة العلم بسببها وجعلها المجرد، والمراد بالرؤبة هو العلم الشهودي.

وقوله (ص): (قَلْبُ الْمُؤْمِنِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ)^(١٣٨).

وقوله (ص): (قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصْبَاعِ الرَّحْمَنِ)^(١٣٩).
كذا ذكر هذه الرواية بعضهم ، ولكن ورد في علل الشرائع: (إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصْبَاعِ اللَّهِ)^(١٤٠).

وقوله (ص): (الْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَرْشِ)^(١٤١) حيث إن الأعظمية ليست بالجسمية لوضوح أن الجسم لا قابلية له، ولا لقوّة محصورة في عضو من الأعضاء.

(١٣٣) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٢٣٥ ب ٤٥ ح ١.

(١٣٤) بحار الأنوار: ج ٨١ ص ١٢٩ ب ١٣ ح ٢١.

(١٣٥) بحار الأنوار: ج ٧٩ ص ٢٤٣ ب ٢ ح ١.

(١٣٦) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٩٠ ب ١١ ح ٩٦.

(١٣٧) راجع غوالي اللثالي: ج ٤ ص ١٣٢ ح ٢٢٨ وفيه: قال: (اللَّهُمَّ أَرْنَا الْحَقَائِقَ كَمَا هِيَ).

(١٣٨) بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ٣٩ ب ٤ ح ٦١.

(١٣٩) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٣٩ ب ٤٤ ح ١.

(١٤٠) علل الشرائع: ص ٦٠ ح ٧٥.

(١٤١) راجع بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٧١ ب ١ ح ٣٥ وفيه: عن أبي عبد الله (ع) قال: (الْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حِرْمَةً مِنَ الْكَعْبَةِ). وفيه أيضاً ج ٦٧ ص ٧٢ ب ١ ح ٤١: عنه (ص) قال: (مُثْلُ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ مَلِكٍ مُقْرَبٍ وَانَّ الْمُؤْمِنَ أَعْظَمُ حِرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْ مَلِكٍ مُقْرَبٍ).

وما تقدّم من قوله (ع): (إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بـألفي عام) ^(١٤٢).
 وقول أمير المؤمنين (ع) حين سأله حبر من أخبار اليهود: (هل رأيت ربك حين عبدته؟
 فقال: (وilyك ما كنت أعبد ربّاً لم أره، قال: وكيف رأيته، قال (ع): ويلك لا تدركه العيون في
 مشاهدة الأ بصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان) ^(١٤٣) والرؤية العقلية لا يمكن بالقوة
 الجسمانية، وإنما بالروح، والروح إذا لم يكن مجرّداً لم يكن يقدر على رؤية المجرد وذلك
 للسنخية.

وفي رواية سأله عنه (ع): كيف قلعت باب خير؟ قال: (قلعته بقوّة ريانية لا بقوّة
 جسمانية) ^(١٤٤).

وفي رواية: (الروح ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه) ^(١٤٥).
 وما روي: (بالنور الشارق من سرادق الملائكة لم يلتج ملائكة السماوات من لم يولد
 مرتين).

وما روي عنه (ع) انه قال: (لا يصعد إلى السماء إلاّ من نزل منها) ^(١٤٦).

لا دلالة في هذه الروايات

ومن الواضح أن هذه الروايات لا دلالة فيها إطلاقاً على تحرّد الروح أو النفس،
 فالاستدلال بها على تحرّد الروح أو النفس مثل الاستدلال بها على وحدة الوجود أو وحدة
 الموجود.

حيث أن هذه الروايات بعيدة كل البعد عما ذكره من الاستدلالات، ولذا قال بعض
 العلماء: إن رؤية الأشياء بسبب الروح وقدرته وقوته وعظمته وأعظميته وشرافته وغير ذلك مما
 ذكر، كلها لا تدل على التحرّد، وأية ملازمة بين الأمرين، فهي لا تخلو عن استحسانات أو

^(١٤٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٠٨ ب ٢٤ ح ٧٤.

^(١٤٣) التوحيد: ص ١٠٩ ح ٦ باب ما جاء في الرؤية.

^(١٤٤) راجع بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ١٣٨ ب ٨ ح ٤، وفيه: قال أمير المؤمنين (ع): (ما قلعت باب
 خير بقوّة جسمانية بل بقوّة ريانية).

^(١٤٥) روضة الوعظين: ص ٤٩٢.

^(١٤٦) راجع بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٣٣٣ ب ٢١ ح ٧٤.

ظنون أو ما أشبه ذلك.

ولو أريد الاستدلال بمثل هذه الروايات وبهذه المناسبات البعيدة كلّ البعد عن المدلول أو المدعى لأمكن الاستدلال بعشرات الآيات والروايات من هذا القبيل عليه أو على عكسه. بل لعل هذه الأحاديث أدلّ على عدم التجدد وعلى عدم وحدة الوجود وعلى عدم وحدة الموجود من الاستدلال بها عليها، فإنه بعرفان الإنسان نفسه بالصفات المذكورة من الفقر وال الحاجة والظلمة والإمكان والحدث وما أشبه ذلك يعرف ربه بأضداد كل ذلك مثل الغنى والقدرة، والقيومية والمهيمنية، والقدم والسردية وسائر الصفات الكمالية ولا يدلّ هذا على تحرّد غير الله تعالى.

وليس رجوعهم إليه سبحانه بمعنى فناؤهم فيه وإنفاساً كثيفاً منه وأنهم قطع منه ثم ترجع القطع إلى الأصل، بل بمعنى رجوع العبد إلى مولاه سبحانه راضياً عنه مرضياً له، نظير ما حصل للأنبياء والأئمة (ع) ولنبينا (ص) بصورة خاصة في مقام الوحي والكمالية، فهو من قبيل قوله سبحانه: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾^(١٤٧) فالصالحون يرجعون إلى ثواب الله ونعمه وكراماته.

أما الفجار والفساق والمنافقون فمعنى رجوعهم إليه توقيفهم في موقف الحساب والعقاب وما أعدّ لهم من العذاب والعقاب، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَا لَكُلَّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَنْبئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٤٨).

وقال سبحانه: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾^(١٤٩).

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تَوْفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾^(١٥٠).

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾

^(١٤٧) سورة الفجر: ٢٨.

^(١٤٨) سورة الأنعام: ١٠٨.

^(١٤٩) سورة يونس: ٧٠.

^(١٥٠) سورة البقرة: ٢٨١.

❖ فادخلي في عبادي ❖ وادخلي جنتي ﴿١٥١﴾ .

لا يقال: الإنسان حاضر في محضر الله سبحانه وتعالى دائمًا لأنه لا يغيب عن علمه عزّ وجلّ وقدرته ورؤيته وسمعه وغير ذلك شيء، فلا معنى للرجوع إليه ، إذ الرجوع يستلزم الابتعاد، فلا يقال رجع فلان إلى البلد إلا إذا ابعد عن البلد ثم رجع إليه.

لأنه يقال: هو بمعنى الرجوع إلى الثواب والعقاب، كما أن مجئه من قبله سبحانه وتعالى بمعنى أنه خلقه وجاء به إلى دار الامتحان.

وما أكثر ما يحتاج إلى التأويل من الألفاظ الواردة بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى، لعدم استقامة المعانى للألفاظ المرتبطة بالجسم والجسمانيات بالنسبة إليه تعالى، كما ورد ﴿وجاء ربك﴾ (١٥٢) أي أمره تعالى، و﴿إلى ربها ناظرة﴾ (١٥٣) أي إلى رحمته عزّ وجل.

واشتباه الحشوية والظاهرية ومن أشبههم هو أنهم قاسوا الله تعالى بالأجسام ، ولذا زعموا أنّ الله أيضًا جسم كسائر الأجسام فقالوا بالتحسيم مما دلّ العقل والنقل على استحالته. هذا تمام الكلام في أدلةهم النقلية من الكتاب والسنة.

(١٥١) سورة الفجر: ٢٧-٣٠.

(١٥٢) سورة الفجر: ٢٢.

(١٥٣) سورة القيامة: ٢٣.

الاستدلال بالعقل

أما أدلةهم العقلية فنذكر جملة منها حسب ما ذكروها، وليس هي أدلة برهانية.. بل إنها أشبه بالأدلة الخطابية أو الظنية ظنًاً ضعيفاً جداً.

مثل قولهم: إن كمال النفس وقوه الفكر موجب لجفاف الدم وهزال البدن، فلو كانت النفس جسماً كان كمالها كمالاً للبدن.

ومثل: إن القوى الجسمانية تكلّ وتعي بكثره الأفعال، والنفس لا تكلّ بكثره الادراكات، وليس ذلك إلا لتجزّدها عن أوصاف الجسمانيات بل وعنها أيضاً.

ومثل: إن النفس جمّع صور كل الموجودات المتقابلات من دون تدّافع بينها وموارد الميل المتضادّة والأمور المتناحفة، وليس الجسم كذلك.

ومثل: إن النفس تدرك الأمر البسيط الذي يستحيل عليه القسمة كصرف الوجود، وحيث أن إدراك النفس عبارة عن قيام المعلوم بها قياماً حلولياً يلزم من بساطة الحال وتجزّده بساطة المحل وتجزّده.

ومثل: إن النفس تقدر على الأفعال غير المتناهية، فإن إدراك الكلّي إدراك لغير المتناهي، والإدراك هو فعل النفس، والقوى الجسمانية وغير المجردة متناهية التأثير.

ومثل: إن النفس تدرك وتعقل الصور العقلية المشتركة بين كثير من المصاديق، وهي الكليات الصادق كل منها على أفراد كثيرة و مختلفة، والكلي ليس له مقدار معين ولا وضع معين ولا أين معين ولا كم معين ولا كيف معين، وإن لم يكن صادقاً على أفراد مختلفة المقدار والوضع والأين والكم والكيف وغير ذلك فهو مجرد عن جميعها، وحيث أن إدراك النفس إليها قيامها بها فتجزّدها مستلزم لتجزّد محلّها، وإن لزم أن يكون الكلي يتبع النفس مقداراً معيناً ووضعاً معيناً وأينما معيناً، وهكذا بالنسبة إلى سائر الأعراض، وما هو كذلك لا يكون مشتركاً^(١٥٤) صادقاً على كثيرين، وهو خلف.

^(١٥٤) المراد بالمشترك: المعنوي كما لا ينفي.

الجواب على الأدلة

ويرد على الأول: إن هذا المطلب إنما يكون دليلاً إذا كانت الأشياء كلها على قرار واحد، فمن أين لكم ذلك.. ومن أين هذا التلازم.

فإن ما ذكر من الدليل لا يوجب إلا مغایرة النفس للبدن أما التجرد فلا، فالنفس ليس كالبدن في اللوازم والملزومات والملازمات مثل البياض والحرمة، فهل يقال: إن الحرمة لأنها لا تماطل البياض في تفريق نور البصر فهي من غير جنسه، أو ما أشبه؟.

كما أنه يرد على الدليل الثاني: نفس الجواب، فإن عدم كُل النفس بكثرة الادراكات لا يكون دليلاً على تجردها، فهل يقال: إن الإنسان القوي الذي لا يكل والإنسان الضعيف الذي يكل هما من نوعين مختلفين بالاختلاف الجوهري؟ أو أنه دليل على اختلاف بعض الخصوصيات العرضية لا الجوهرية بعض الأجسام هكذا وبعض الأجسام هكذا؟.

ويرد على الدليل الثالث: إن الأجسام مختلفة في قبول الأعراض والخصوصيات والمزايا وما أشبه، فمن عدم اتصاف سائر الأشياء بما تتصف به النفس لا يلزم خروج النفس عن الجسمية، بل الفرق بينهما: الاختلاف في الخصوصيات والمزايا، مثال ذلك مثال العين والأذن، فالعين لها مزايا والأذن لها مزايا، وليس الاختلاف دليلاً على أن أحدهما ليس بجسم بل هما جسمان لكلا واحد مزايا مختلفة.

هذا بالإضافة إلى أنه لا دليل على أن الصور الذهنية محلها النفس، فلعل النفس يتعلّق بها كتعلّق الشمس بالأشياء بسبب النور المنتشر منها، فالنفس تدرك كل ذلك بسبب نور العلم . كما قالوا مثل ذلك في العين، حيث قال جماعة من العلماء المتقدمين والمؤخرين: إن العين يخرج منها نور يتعلّق بالأشياء المرئية، لأن الأشياء المرئية منطبع فيها .. فلا يلزم من اختلافها وتضادها وما أشبه ذلك خروج النفس عن كونها مادياً ، بل النفس مادية من قبيل .. والجسم مادي من قبيل آخر، كما أن الماء والجامد كلاهما ماديان لكن أحدهما سائل والآخر ليس بسائل ، وكذلك حال النور وسائر الأجسام فإن النور مادي سائل سريع السير بخلاف الأجسام الأخرى.

ويحاجب عن دليل (أن النفس تدرك الأمر البسيط الذي يستحيل عليه القسمة...) إلى آخره ، بنفس هذا الجواب، بالإضافة إلى نقض ذلك بأن النفس تدرك الأمور المركبة أيضاً،

فلازم هذا الدليل . على قولهم . تركب النفس ولا يقول به المستدل كما هو المعروف من مذهب الحكماء، وإن كنا احتملنا في بعض كتبنا الكلامية^(١٥٥) تركب النفس إذ لا دليل على بساطتها.

ويحاب عن الدليل الذي يقول (إن النفس تقدر على الأفعال غير المتناهية):
أولاً: من أين ذلك فإن الإنسان في الدنيا متناه، فمن أين أن نفسه يقدر على الأفعال غير المتناهية؟.

بالإضافة إلى ما تقدم بأن قدرة النفس إنما هي بالنور الخارج عن ذاتها ولو احتمالاً، فإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال.

وأما الدليل الأخير فواضح: إنه على تقدير تسليم تحرّد الكلّي . إذ يمكن أن يقال: إن الكلّي ليس إلاّ الجزئي مع قطع النظر عن مشخصاته الزمانية والمكانية والخصوصيات الآخر . يمكن منع كون علم النفس بالشيء عبارة عن قيام المعلوم بها قياماً حلولياً، كي يلزم من تحرّده - فرضياً - تحرّدها، بل قيامه يمكن أن يكون قياماً صدوريأً بالنور الخارج من النفس كالنور الخارج من العين إلى المرئيات كما سبق ، فالنفس تدرك بذاتها ذلك النور وبالعرض المرئيات بسبب ذلك النور ولا يلزم من تحرّده تحرّدها.

إلى غير ذلك من الأحجية المفصلة التي ذكرها جملة من المتكلّمين في كتبهم مما لا حاجة إلى البسط، ولذا قال جمع من الإلهيّين: إن أدلة تحرّد النفس أو ما أشبه ذلك كلها أدلة غير مقنعة.. بل هي شبه أدلة ولن يست بأدلة برهانية.

^(١٥٥) راجع القول السديد في شرح التحرّد، وشرح منظومة السبزواري، للإمام المؤلف (دام ظله).

أول مراحل الآخرة

مسألة: إنّ أول مرحلة الآخرة الموت.

والموت ما لا يشك فيه أحد، سواء كان إلهياً أو غير إلهي، كتابياً أو غير كتابي، لأنّه شيء مشاهد محسوس للكل..

أما ما ورد من (أشهد أن الموت حق)^(١٥٦) فالمراد به: إن ما قيل عن الموت من أنه إما إلى خير وإما إلى شر أو ما أشبه ذلك، وإنّ فهو مثل قول من يقول: (أشهد أن الشمس حق)، نعم يصحّ ذلك في قبال السوفسيطائيين الذين ينكرون كل الحقائق.

ومن الواضح قوله: (أشهد أن الموت حق وأن القبر حق) يراد به التوابع والخصوصيات والمزايا المذكورة في الآيات والروايات وليس الكلام في قبال السوفسيطائيين.

وقد أكثر القرآن الحكيم والروايات المروية عن المعصومين عليه من هذا الموضوع والتأكيد عليه:

قال سبحانه: ﴿كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١٥٧).

قال تعالى: ﴿كُلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِّيَّ وَيَقِنِيَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١٥٨).

وقوله عزوجل: ﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ﴾^(١٥٩).

فقد قال البعض: إن هذه الآية نزلت حيث توقع المسلمين أن لا يموتون، وأن رسول الله (ص) لا يموت، لأنّ رسول الله (ص) قد فعل المعجزات والأعاجيب الكثيرة فتوقعوا ذلك منه

^(١٥٦) راجع مكارم الخلاق: ص ٣٠٢ وفيه: (أشهد أن محمداً عبده ورسوله... الموت حق، ومسألة منكر ونكر في القبر حق).

^(١٥٧) سورة آل عمران: ١٨٥.

^(١٥٨) سورة الرحمن: ٢٧٢٦.

^(١٥٩) سورة الزمر: ٣٠.

أيضاً، فرّدّهم الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ﴾.

وقال أمير المؤمنين (ع): (إِنَّمَا خَلَقْتُمُ الْبَقَاءَ لِلْفَنَاءِ) ^(١٦٠).

وفي حديث آخر قال (ص): (خَلَقْتُمُ الْأَبْدَ وَإِنَّمَا تَنْقِلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ) ^(١٦١).

وقال (ص): (الْدُّنْيَا سَجْنٌ لِّلْمُؤْمِنِ وَجَنَّةٌ لِّلْكَافِرِ وَالْمَوْتُ جَسْرٌ هُوَلَاءَ إِلَى جَنَاحِنَمْ وَجَسْرٌ هُوَلَاءَ إِلَى جَحِيمِهِمْ) ^(١٦٢).

عن جعفر بن محمد عن أبيه ^٥ قال: جاء رجل إلى النبي (ص) فقال: (يا رسول الله ما لي لا أحبّ الموت؟) فقال: ألمك مال؟ قال: نعم، قال: فقدمته؟ قال: لا، قال: فمن ثم لا تحبّ الموت) ^(١٦٣).

وفي حديث قيل لأمير المؤمنين (ع): (صَفِّ لَنَا الْمَوْتُ؟) فقال علي (ع): على الخبر سقطتم، هو أحد ثلاثة أمرٍ يرد عليه: إِمَّا بِشَارَةٍ بِنَعِيمِ الْأَبْدِ، وَإِمَّا بِشَارَةٍ بِعَذَابِ الْأَبْدِ، وَإِمَّا تَحْزِينٍ وَتَهْوِيلٍ، وَأَمْرٍ مِّنْهُمْ لَا يَدْرِي مِنْ أَيِّ الْفَرْقِ هُوَ، إِلَى أَنْ قَالَ . فَاعْمَلُوهُ وَأَطِيعُوهُ وَلَا تَكْلُلُوهُ وَلَا تَسْتَصْغِرُوهُ عَقْوَبَةُ اللَّهِ، فَإِنَّمَا الْمُسْرِفِينَ مِنْ لَهُ شَفَاعَتَنَا إِلَّا بَعْدَ عَذَابِ ثَلَاثَةِ أَلْفِ سَنَةٍ) ^(١٦٤)، كذا في البحار.

وسئل الحسن بن علي (ع): (مَا الْمَوْتُ الَّذِي جَهَلُوهُ؟) فقال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكدة إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفي) ^(١٦٥).

ومن الواضح أنّ المراد بالكافرين المتعمدون والمعاندون أو المقصرون الذين يمتحنون في

^(١٦٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٣٣ ح ٢٢٩١. وراجع تأویل الآیات الظاهرة: ص ٤٢ سورة البقرة،

من وصايا النبي لأمير المؤمنين (ع): (مَا خَلَقْتُ إِنْتَ وَلَا هُمْ لَدَارِ الْفَنَاءِ بَلْ خَلَقْتُمُ لَدَارَ الْبَقَاءِ).

^(١٦١) راجع الإرشاد: ج ١ ص ٢٣٨ وفيه: (قَالَ (ع): ... أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَا إِيَّاكُمْ لِلْبَقَاءِ لَفَنَاءِ لَكُنُّكُمْ مِّنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ تَنْقِلُونَ).

^(١٦٢) معانٍ الأخبار: ص ٢٨٩ ح ٣ باب معنى الموت.

^(١٦٣) الحصال: ص ١٣ ح ٤٧.

^(١٦٤) معانٍ الأخبار: ص ٢٨٨ ح ٣ باب معنى الموت.

^(١٦٥) بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٥٢ ب ٦ ح ٩.

الآخرة ويخرجون من الامتحان فاشلين، فإذا كانت الدنيا دار امتحان خمسين سنة أو أقل أو أكثر، فالآخرة دار امتحان خمسين ألف سنة إلى جانب كونه دار الحساب والثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً﴾^(١٦٦).

وعن الإمام الحسين (ع) في حديث قال: (فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا قَنْطَرَةٌ تَعْبِرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَالضَّرَّاءِ إِلَى الْجَنَانِ الْوَاسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ، فَأَيُّكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سَجْنِ إِلَى قَصْرٍ؟ وَمَا هُوَ لِأَعْدَائِكُمْ إِلَّا كَمَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ قَصْرٍ إِلَى سَجْنٍ وَعَذَابٍ)^(١٦٧).

وعن علي بن الحسين ٥ أنه سُئِلَ عن الموت؟ فقال: (لِلْمُؤْمِنِ كَنْزٌ ثِيَابٌ وَسُخْرَةٌ قَمْلَةٌ وَفَكٌ قِيُودٌ وَأَغْلَالٌ ثَقِيلَةٌ وَالْاسْتِبْدَالُ بِأَفْخَرِ الثِيَابِ وَأَطْبَيْهَا رَوَاحٌ وَأَوْطَأُ الْمَرَاكِبِ وَآنِسُ الْمَنَازِلِ، وَلِلْكَافِرِ: كَخْلُعِ ثِيَابِ فَاتِّرَةٍ وَالنَّقْلُ عَنِ الْمَنَازِلِ أَنْيَسَةٌ وَالْاسْتِبْدَالُ بِأَوْسُخِ الثِيَابِ وَأَخْشَنِهَا وَأَوْحَشَ الْمَنَازِلِ وَأَعْظَمُ الْعَذَابِ)^(١٦٨).

وعن الإمام الباقر (ع) أنه سُئِلَ عنـه ما الموت؟ قال: (هُوَ النَّوْمُ الَّذِي يَأْتِيَكُمْ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَّا أَنَّهُ طَوِيلٌ مَدِّهُ لَا يَتَبَهَّ مِنْهُ إِلَّا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ رَأَى فِي نُومِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْفَرَحِ مَا لَا يَقَادِرُ قَدْرُهِ، وَمَنْ أَصْنَافِ الْأَهْوَالِ مَا لَا يَقَادِرُ قَدْرُهِ)^(١٦٩).

أقول: وهذا من باب المثال في بعض الجهات، فكما أن الإنسان لا يمكنه أن ينكر ما في الرؤيا من حسن أو قبيح، كذلك لا يمكن أن ينكر أن ما وراء الموت الذي هو أخ النوم شيء حسن أو شيء قبيح.

وفي رواية قيل للإمام الصادق (ع): صف لنا الموت، فقال: (لِلْمُؤْمِنِ كَأَطِيبِ رِيحِ يَشْمَمُهُ فَيَنْعُسُ لَطَبِيهِ وَيَنْقَطِعُ التَّعْبُ وَالْأَلْمُ كُلُّهُ عَنْهُ، وَلِلْكَافِرِ كَلْسُعُ الْأَفَاعِيِّ وَلَدْغُ الْعَقَارِبِ أَوْ أَشَدُّ)^(١٧٠).

«وفي رواية عن يعقوب قال: دخلنا على أبي عبد الله (ع) نعزّيه بإسماعيل، فترحم عليه

^(١٦٦) سورة المعارج: ٤.

^(١٦٧) معاني الأخبار: ص ٢٨٩ ح ٣ باب معنى الموت.

^(١٦٨) معاني الأخبار: ص ٢٨٩ ح ٤ باب معنى الموت.

^(١٦٩) معاني الأخبار: ص ٢٨٩ ح ٥ باب معنى الموت.

^(١٧٠) علل الشرائع: ص ٢٨٩ ب ٢٣٥ ح ٢.

ثم قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجْلَ نَعِي إِلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَهُ فَقَالَ: **«إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ»**^(١٧١) قال: **«كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»**^(١٧٢) ثم أَنْشأَ يَحْدَثَ فَقَالَ: إِنَّهُ يَمُوتُ أَهْلُ الْأَرْضِ حَتَّى لا يَقِنُ أَحَدٌ، ثُمَّ يَمُوتُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ حَتَّى لا يَقِنُ أَحَدٌ مِّنْ أَنْكَارِهِ أَنَّهُ مَوْتُ الْمَوْتِ وَحَمْلَةُ الْعَرْشِ وَجَبَرِيلُ وَمِيكَائِيلُ قَالَ فِي جِيَءِ مَلْكِ الْمَوْتِ حَتَّى يَقُولَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجْلَهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ بَقِيَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: يَا رَبَّنِي لَمْ يَقِنْ إِلَّا مَلْكُ الْمَوْتِ وَحَمْلَةُ الْعَرْشِ وَجَبَرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَيَقُولُ: قُلْ لِجَبَرِيلِ وَمِيكَائِيلِ فَلِيَمُوتُوا، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: يَا رَبَّنِي رَسُولُكَ وَأَمِينُكَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ قَضَيْتُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِيهَا الرُّوحُ أَنْ تَمُوتَ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلْكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَقْفَى بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجْلَهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ بَقِيَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: يَا رَبَّنِي لَمْ يَقِنْ إِلَّا مَلْكُ الْمَوْتِ وَحَمْلَةُ الْعَرْشِ، فَيَقُولُ: قُلْ لِحَمْلَةِ الْعَرْشِ فَلِيَمُوتُوا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ كَثِيرًا حَزِينًا لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبَّنِي لَمْ يَقِنْ إِلَّا مَلْكُ الْمَوْتِ، فَيَقُولُ لَهُ: مَتْ يَأْتِي مَلْكُ الْمَوْتِ فَيَمُوتُ، ثُمَّ يَأْخُذُ الْأَرْضَ بِيَمِينِهِ وَالسَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ وَيَقُولُ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ مَعِي شَرِيكًا؟ أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يَجْعَلُونَ مَعِي إِلَهًا آخَرَ؟

أَقُولُ: وَالْمَرَادُ بِ(أَخْذِ الْأَرْضِ بِيَمِينِهِ وَالسَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ) أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى حِيثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ الْحَفَظَةِ وَمِنْ أَشْبَهِهِمْ فَحِينَئِذٍ هُوَ الَّذِي يَتَوَلِّ كُلَّ الشَّؤُونِ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ أَسْبَابًا لِمَا جَعَلَ الدُّنْيَا بِلِ الْكَوْنِ دَارَ أَسْبَابَ.

^(١٧١) سورة الزمر: ٣٠.

^(١٧٢) سورة آل عمران: ١٨٥.

^(١٧٣) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٣٢٩ ب ٢ ح ١٤.

فلسفة الموت

وأما (فلسفة الموت) فمنها: بيان عدم الاحتياج^(١٧٤) إلى أي شيء أو أي شخص من كبير أو صغير من جليل أو غير جليل، ولعل موت الملائكة لأجل أن يعرفوا بالوجودان قدر الحياة أيضاً^(١٧٥).

وعن الإمام الكاظم (ع): «إن الموت هو المصفات يصفى المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيّبهم كفارة آخر وزر بقي عليهم، ويصفى الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذلة أو نعمة أو راحة تلحقهم هو آخر ثواب حسنة تكون لهم»^(١٧٦).

وكذلك وردت في هذا الباب روایات كثيرة أخرى عنهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام) لم نذكرها اقتصاراً واحتصاراً^(١٧٧).

^(١٧٤) أي احتياجه تعالى.

^(١٧٥) ويكون ذلك من باب مراتب العلم كما قال إبراهيم (ع): «ولكن ليطمئن قلبي». سورة البقرة: ٢٦٠. أو ما أشبه ذلك.

^(١٧٦) جامع الأخبار: ص ١٦٨ الفصل ٣٣.

^(١٧٧) راجع بحار الأنوار: ج ٦ ص ١١٦ ب ١ ح ١ وفيه: قال أبو عبد الله الصادق ع: (إن قوماً أتوا نبأ لهم فقالوا ادع لنا ربك يرفع عننا الموت فدعنا لهم فرفع الله تبارك وتعالى منهم الموت وكثروا حتى صاقت بهم المنازل وكثر النسل وكان الرجل يصبح فيحتاج أن يطعم أباه وأمه وجده وجده وجده ويوضيهم ويتعاونهم فشغلوا عن طلب المعاش فأتوه فقالوا: سل ربك أن يردننا إلى آجالنا التي كنا عليها فسأل ربه عن وحل فردهم إلى آجالهم)

بقاء جسمانية الإنسان

مسألة: الإنسان من بدء خلقته إلى منتهی ما يصل إليه من الكمال، باقٍ على مادیّته وجسمانیته، فهو مادي وجسماني، وزماني ومکاني، وفقير ومحاج في بقاء ذاته وجميع کمالاته المادية والمعنوية إلى الله سبحانه الغني المطلق والواجب المتعال..

لأن الممکن لا ينقلب واجباً كما لا ينقلب ممتنعاً، والجسم لا ينقلب عن الجسمية إلى التحرّد، فان التحرّد بالنسبة إلى غير الله سبحانه وتعالى غير معقول . كما تقدّمت الإشارة إليه .. فليس هناك تحرّد يصطدح عليه بالاتحاد مع الله أو الحلول فيه أو ما أشبه ذلك مما زعمه بعض الفلاسفة ومن أشبههم، بل الله يبقى على ألوهيته المحرّدة العالمة القائمة لذاته إلى آخر صفاته ولا يشارکه فيها غيره.

الماديات الخفيفة وغيرها

مسألة: ان الحياة والعلم والعقل والروح والنفس وغيرها مما خلقها الله كلّها أيضاً أمور مادّية كالإنسان نفسه، فإن المادة قد تكون خفيفة وقد تكون غير خفيفة.

الصعود إلى درجات الكمال

مسألة: إذا أراد الإنسان أن يرقى درجات الكمال يجب أن يكون مهدياً بالهداية العامة والخاصة.

فالهداية العامة كما ذكره سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكُمْ سَبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١٧٨).

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا ثُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعُمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(١٧٩).

والهداية الخاصة مما ذكره سبحانه بقوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رِبُّ فِيهِ هَدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٨٠).

وقال عز وجل: ﴿وَبِزِيَّدِ اللَّهِ الَّذِينَ اهْتَدُوا هُدًى﴾^(١٨١).

وليس الطريق إلى الرقي من الهداية العامة للهداية الخاصة إلا باتباع العقل، وأن يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يبقي نعمه عليه ولا يسلبها منه، لإمكان زوالها في كل آن.

ولذا نقرأ في سورة الحمد كل يوم عدّة مرات: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١٨٢) لوضوح أن كل لحظة يتمكّن الإنسان أن يهتدي فيه إلى صراطٍ مستقيم أو لا يهتدي، ويشير إلى هذا المعنى ما ذكر في بعض الروايات من قوله(ع): (ثبّتنا)^(١٨٣) ، لا أنّ معنى (إهداة) ثبّتنا فقط كما لا يخفى.

^(١٧٨) سورة الإنسان: ٣.

^(١٧٩) سورة فصلت: ١٧.

^(١٨٠) سورة البقرة: ٢.

^(١٨١) سورة مريم: ٧٦.

^(١٨٢) سورة الفاتحة: ٦.

^(١٨٣) راجع متشابه القرآن: ج ١ ص ١٢٩ وفيه: (قال مجوسي لأمير المؤمنين (ع): كيف أدخل في دين لم يهتد أربابه حيث لا يزالون ﴿إِهْدِنَا﴾، فأجابه(ع): إن معناه: ثبّتنا).

فإذا اتبع الإنسان سبيل العقل والهدى العامّة تحول إلى هداية خاصة، وإنّا فمن الممكّن أن يكفر بالله أو يتکبر أو يظلم أو يفسق أو غير ذلك من الدرجات النازلة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾^(١٨٤)، وذلك في غير من عصمه الله عزّ وجلّ.

ومن الواضح أنّ الإنسان إذا لم يُعمل فكره وعقله ولم يقف أمام هواه لا يكون مهديّاً بل يتدرّج في الدرجات.

ولذا قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١٨٥).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١٨٦).

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١٨٧).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾^(١٨٨).

^(١٨٤) سورة النساء: ١٣٧.

^(١٨٥) سورة البقرة: ٢٥٨، وسورة التوبه: ١٩، ١٠٩.

^(١٨٦) سورة البقرة: ٢٦٤، سورة التوبه: ٣٧.

^(١٨٧) سورة التوبه: ٢٤، ٨٠.

^(١٨٨) سورة الزمر: ٣.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(١٨٩).

وقال عزوجل: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾^(١٩٠).

وقال سبحانه: ﴿كَذَّلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِ﴾^(١٩١).

وقال تعالى: ﴿كَذَّلِكَ نَطَعَ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِلِينَ﴾^(١٩٢).

وقال عزوجل: ﴿كَذَّلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ﴾^(١٩٣).

وقال سبحانه: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^(١٩٤).

إلى غير ذلك من الآيات.

والحاصل: إن اتباع العقل واجتناب الشهوات هو الذي يسبب صعود الإنسان درجة فدرجة.

كما قال سبحانه: ﴿وَمَا عِنَّدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١٩٥).

وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا إِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونَ يَا أُولَئِكَ الْأَلْبَاب﴾^(١٩٦).

وقال أيضاً: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ لَعِلْكُمْ تَفْلِحُونَ﴾^(١٩٧).

وكما قال سبحانه: ﴿وَنَهَىٰ النَّفْسُ عَنِ الْهُوَى﴾^(١٩٨).

وكذا في الروايات: فعن رسول الله ﷺ أنه قال: (سيد الأعمال في الدارين العقل، ولكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته لربه)^(١٩٩).

(١٨٩) سورة غافر: ٢٨.

(١٩٠) سورة آل عمران: ٨٦.

(١٩١) سورة الأعراف: ١٠١.

(١٩٢) سورة يونس: ٧٤.

(١٩٣) سورة غافر: ٣٥.

(١٩٤) سورة البقرة: ٧.

(١٩٥) سورة القصص: ٦٠.

(١٩٦) سورة البقرة: ١٩٧.

(١٩٧) سورة المائدة: ١٠٠.

(١٩٨) سورة النازعات: ٤٠.

(١٩٩) بحار الأنوار: ج ١ ص ٩١ ب ١ ح ٤٢.

وقال أبو عبد الله الصادق (ع): (اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنوده تهتدوا) ^(٢٠٠).
 وعن محمد بن عبد الجبار عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله (ع) (قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان) ^(٢٠١) الحديث.
 وعن القداح عن أبي عبد الله (ع) قال: (قال الله تبارك وتعالى: إنما أقبل الصلاة من تواضع لعظمتي ويكتف نفسه عن الشهوات من أجلي) ^(٢٠٢) الخبر.
 وقال أمير المؤمنين (ع): (من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات) ^(٢٠٣).

^(٢٠٠) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٠٩ ب ٤ ح ٧.

^(٢٠١) الكافي: ج ١ ص ١١ كتاب العقل والجهل ح ٣.

^(٢٠٢) بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٣٩١ ب ٣٨ ح ٦٦.

^(٢٠٣) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٨٩ ب ٩٨ ح ١.

التكامل فيما بعد الموت

مسألة: والظاهر أنّ الإنسان يصعد كمالاً أيضاً في عالم القبر وفي عالم المحشر وحتى في الجنة كما دلّت على ذلك الأحاديث.

لا يقال: كيف ذلك والحال إنه يتعمّم بأقصى النعم في الجنة؟.

لأنه يقال: إنّ الله سبحانه وتعالى غير محدود، ومن الواضح أنّ غير المحدود كلّما أخذ يقرّب المحدود ويرفعه إلى رحمته يبقى مجال و مجالات إلى مالا نهاية.

وهذا هو الجواب الذي أجيّب به عن سؤال: ما فائدة صلواتنا على محمد وآلـه (عليهم أفضـل الصلاة والسلام) وقد بلـغ (صـ) المقام المـحمـود^(٢٠٤).

ويمـكـن أنـ نـمـثـلـ لـذـلـكـ بـمـثـالـ حـسـيـ وـإـنـ ماـ منـحـهـ اللهـ لـرـسـوـلـهـ الـأـعـظـمـ (صـ)ـ مـنـ عـظـيمـ الشـوـابـ إـذـاـ كـانـ مـشـتـمـلاـ عـلـىـ روـضـاتـ بـمـاـ فـيـهـاـ مـنـ مـلـيـارـاتـ الـأـزـهـارـ الـجـمـيلـةـ مـثـلـاـ،ـ فـمـاـ المـانـعـ أـنـ تـرـيـدـ الصـلـوـاتـ وـرـدـةـ فـيـ هـذـهـ الـجـمـوـعـةـ أـوـ ضـوـءـاـ فـيـ أـصـوـيـةـ الـقـصـورـ الشـاهـقـةـ الـلـائـقـةـ بـمـقـامـهـ (صـ)ـ فـكـلـ صـلـوـاتـ تـرـيـدـهـ (صـ)ـ وـرـدـةـ جـدـيـدـاـ وـمـصـبـاحـاـ أـجـلـ.

وـهـكـذـاـ يـمـكـنـ القـوـلـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ الـمـلـائـكـةـ وـالـوـلـدـانـ وـالـحـورـ الـذـيـنـ يـخـدـمـونـهـ (صلـواتـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ).

وـقـدـ تـقـدـمـ إـمـكـانـ اـتـسـاعـ الـرـوـحـ بـجـيـثـ يـسـتـفـيدـ مـنـ كـلـ ذـلـكـ،ـ بـمـثـالـ مـاـدـيـ خـارـجـيـ،ـ وـهـوـ إـلـاذـاعـةـ حـبـثـ يـجـعـلـ الصـوـتـ الـوـاحـدـ مـلـاـيـنـ مـنـ الـأـصـوـاتـ،ـ كـمـاـ تـجـعـلـ التـلـفـزـةـ الصـوـرـةـ الـوـاحـدـةـ مـلـاـيـنـ مـنـ الصـورـ،ـ وـكـالـانـتـرـنـيـتـ أـوـ مـاـ شـاـبـهـاـ مـنـ الـأـمـثـلـةـ الـمـادـيـةـ الـمـحـسـوـسـةـ.

(٢٠٤) قال عزوجل: ﴿وَمِنَ الْلَّيْلِ فَتَهْجُدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَعْشُكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ سورة الإسراء: ٧٩.

لا قديم إلا الله

مسألة: دلّ العقل والنقل على أنه ليس شيء من الأشياء بقدسه إطلاقاً إلا الله وحده وحده.

أمّا العقل فليبرهن التمانع ، كما ذكر في الكلام.

وأمّا النقل فلوجود كثرة من الروايات الدالة على ذلك بالإضافة إلى الآيات^(٢٠٥).

فعن النبي (ص) في إحدى خطبه قال: «الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانيًّا... ابتدأ ما ابتدع وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق بشيء مما خلق ربنا القديس بلطف ربوبيته وبعلم خبره فتق وبأحكام قدرته خلق جميع ما خلق»^(٢٠٦).

وقال (ص) في كلمة أخرى له: (أنت الله لا إله إلا أنت، كنت إذ لم تكن سماء مبنية .

إلى أن قال: . كنت قبل كل شيء وكونت كل شيء وقدرت على كل شيء وابتدعت كل شيء)^(٢٠٧).

وعن أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه: «لم يخلق الأشياء من أصول أزلية ولا من أوائل أبدية، بل خلق ما خلق فأقام حده»^(٢٠٨).

وفي خطبة أخرى له: «مستشهد بحدوث الأشياء على أزلية»^(٢٠٩).

وعن فاطمة الزهراء^ع في خطبتها في المسجد: «ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها،

^(٢٠٥) قال تعالى في سورة الحديد، الآية ٣: **﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾** ... وربما يمكن الاستدلال بقوله سبحانه في سورة الشورى، الآية ١١: **﴿لَيْسَ كَمِثْلَهُ شَيْءٌ﴾** أو ما أشبه ذلك.

^(٢٠٦) التوحيد: ص ٤ باب التوحيد ح ٤.

^(٢٠٧) مصباح الکفعمي: ص ٢٨٧ الفصل ٢٩.

^(٢٠٨) نجح البلاغة: الخطبة ١٦٣ الفقرة ٩.

^(٢٠٩) نجح البلاغة: الخطبة ١٨٥ الفقرة ٣.

وأنشأها بلا احتداء أمثلة امثليها...»^(٢١٠).

وعن الإمام الحسن (ع) أنه قال في خطبته: «خلق الخلق فكان بدبيعاً، ابتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ»^(٢١١).

وعن الإمام الحسين عن أبيه ٥ في خطبة له: «الحمد لله الذي لا من شيء كان ولا من شيء كون ما قد كان، المستشهد بحدوث الأشياء على أزليته . إلى أن قال: كفى بإتقان الصنع لها آية ومبرك الطبع عليها دلالة وبحدوث الفطر عليها قدمة»^(٢١٢).

وفي دعاء عرفة عنه (ع) أنه قال: «اللهم أني ارحب إليك، وأشهد بالربوبية لك، مقرراً بأنك ربى وإن إليك مردي، ابتدأني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً»^(٢١٣).

وفي كلام الإمام السجاد (ع): «أنت الله لا إله إلا أنت، الذي أنشأك الأشياء من غير سخ وصوّرت ما صوّرت من غير مثال وابتدع المبتدعات بلا احتداء»^(٢١٤).

وفي دعاء آخر له (ع): «ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً ، واحتزفهم على مشيته احتزاعاً»^(٢١٥).

وعن الإمام الباقر (ع): «إن الله علا ذكره كان ولا شيء غيره»^(٢١٦).

وفي حديث آخر عنه (ع): «كان الله ولا شيء غيره»^(٢١٧).

وفي رواية ثالثة عنه (ع): «إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره . بإضافة . ولم يزل الله عالماً»^(٢١٨).

^(٢١٠) عوالم العلوم (مجلد فاطمة الزهراء ٥): ج ٢ ص ٦٥٢ ب ٥ ح ١٠ . والاحتداء: ص ٩٨ .

^(٢١١) التوحيد: ص ٦٤ ح ٥ .

^(٢١٢) عيون أخبار الرضا (ع): ج ١ ص ١٢١ و ١٢٢ ب ١١ ح ١٥ .

^(٢١٣) الإقبال: ص ٣٤٠ .

^(٢١٤) الصحيفة السجادية: ص ٢٤٥ .

^(٢١٥) الصحيفة السجادية: ص ٢٢ .

^(٢١٦) التوحيد: ص ٦٧ ح ٢٠ .

^(٢١٧) التوحيد: ص ١٤٥ ح ١٢ .

^(٢١٨) راجع المحسن: ص ٢٤٢ ب ٢٤ ح ٢٢٨ وفيه: (إن الله تبارك وتعالى كان وليس شيء غيره نوراً لا ظلام فيه وصدقأً ولا كذب فيه وعلمأً لا جهل فيه...).

وفي رواية أخرى عنه (ع) بإضافة: «كان خالقاً ولا مخلوق»^(٢١٩).

وفي رواية التوحيد عن الإمام الصادق (ع): «الحمد لله الذي كان إذ لم يكن شيء غيره، وكون الأشياء فكانت كما كونها»^(٢٢٠).

وفي حديث آخر عنه (ع): «الحمد لله الذي كان قبل أن يكون كان... بل كون الأشياء قبل كونها»^(٢٢١).

وفي دعاء عرفة عنه (ع): «ولك الحمد قبل أن تخلق شيئاً من خلقك، وعلى بدء ما خلقت إلى انقضاء خلقك»^(٢٢٢).

وفي كلام آخر للإمام الصادق (ع) أنه قال: (إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجري فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمدًا وعليًا -صلوات الله عليهما-)^(٢٢٣).
إلى غير ذلك من متواتر الروايات.

فجعل القديس خمسة أو اثنين أو ما أشبه ذلك. كما قال بكلٍ بعض الفلاسفة والحكماء والشيوخ ومن أشبهه. ليس له دليل بل الأدلة على خلافه.

^(٢١٩) التوحيد: ص ٦٧ ح ٢٠.

^(٢٢٠) التوحيد: ص ٧٥ ح ٢٩.

^(٢٢١) التوحيد: ص ٥٩ ح ١٧.

^(٢٢٢) الإقبال: ص ٤٠٣.

^(٢٢٣) الكافي: ج ١ ص ٤٤١ ح ٩.

مما جرى في عالم الدر

مسألة: الظاهر إن الذرات التي أخذ منها الميثاق . مما تقدّم في الجملة . رجعت إلى ظهر آدم (ع)، كما يدلّ على ذلك جملة من الروايات:

ففي رواية الكافي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال: «لما أمر إبراهيم وإسماعيل ۝ ببناء البيت وتم بناؤه، قعد إبراهيم على ركن ثم نادى: هلّم الحج هلّم الحج، فلو نادى هلّموا إلى الحج لم يحج إلا من كان يومئذ إنسياً مخلوقاً، ولكنّه نادى هلّم الحج، فلبيّ الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي الله، لبيك داعي الله عزوجل فمن لبّي عشرة يحجّ عشرة، ومن لبّي خمساً يحجّ خمساً، ومن لبّي أكثر من ذلك فبعد ذلك، ومن لبّي واحداً حجّ واحداً، ومن لم يلبّ لم يحج»^(٢٤).

وفيزيارة المروية: (أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاملة والأرحام المطهرة)^(٢٥). وفي دعاء يوم عرفة لأبي عبد الله الحسين (ع): «خليقني من التراب، ثم أسكنني الأصلاب آمناً لريب المنون واختلاف الدهور ، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم الأيام الماضية والقرون الخالية، لم تخرجني لرأفتكم بي ولطفكم لي وإحسانكم إليّ في دولة أيام الكفّرة الذين نقضوا عهدهم وكذبوا رسلاً^(٢٦).

إلى غير ذلك من الروايات المذكورة في البحار وغيرها^(٢٧).

نعم ليس فيما وجدناه من الروايات ما تدلّ على أنّ الجميع رجعوا إلى ظهر آدم (ع)، إذ

^(٢٤) الكافي: ج ٤ ص ٢٠٦ ح ٦.

^(٢٥) التهذيب: ج ٦ ص ١١٤ ب ٢٢ ح ١٧.

^(٢٦) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٧٢ ب ٤١ ح ٨١.

^(٢٧) راجع بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٣٤ ب ١٠، والكافي: ج ٦ ص ١٢ ح ١، وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٤ ب ١ ح ١٤١٢٥ تحقيق آل البيت، ومستدرك الوسائل: ج ١٥ ص ١٧٧ ب ٦٨ ح ١٧٩٢١.

من المُحتمل أن البعض رجع، والبعض لم يرجع، وإنما بقيت في أماكنها في التراب حتى انتقلت بسبب الأعشاب والفواكه وما أشبه ذلك إلى صلب ورحم الأبوين أو بعض الأجداد.

لكن قد يكون المستفاد عرفاً من الروايات في هذا الصدد: هو ما ذكرناه من الكلية حسب ما ذكروا من أن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز سواء، لكن ليس الكلام هنا فيما يجوز وفيما لا يجوز، وإنما فيما كان وفيما لم يكن كما هو واضح.

نعم لا شك في الانتقال أخيراً إلى صلب ورحم الأبوين، فصار بضم الأجزاء المتحصلة من الأغذية أو الماء أو ما أشبه ذلك إليه واقعاً في منيه، وانتقل منه إلى الرحم فصار الخلق من المنيين، وأخذ حينئذٍ يتغذى بالدم، ثم كان علقة، فمضغة، إلى آخر التحولات التكوينية قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلْقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظَاماً فَكَسَوْنَا الْعَظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقَآخْرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢٢٨).

^(٢٢٨) سورة (المؤمنون): ١٤١٢.

بين الروح والذرة

كما إن المستفاد من ظاهر الآيات أن الأرواح التي خلقت قبل الأجساد بآلفي عام أو أكثر هي التي تتعلق في رحم الأم بالذرة التي صارت جسماً، وإذا ولد الإنسان كان مركباً من الروح المخلوقة قبل البدن ومن البدن الجديد الذي انضم أجزاؤه إلى الذرة الأصلية، فالبدن مركب . بالإضافة إلى الروح . من الذرة الصغيرة جداً التي خلقت في عالم الذر الأول ومن البدن الجديد.

وأجزاء البدن التي تتبدل من الحياة إلى الموت ليست تلك الذرة الأولية، بل الذرة الأولية هي الحافظة للوحدة والشخصية وبعض المزايا والخصوصيات في جميع الأزمان والأماكن و مختلف الشرائط ..

وقد اعمل في تلك الذرة وفي هذا البدن وفي الروح من الدقائق والمزايا والخصوصيات وما أشبه ما عجز العلم إلى اليوم حتى عن معرفة كنه أبسط خصوصياتها.. فجملة كبيرة منها لا تزال مجهولة وربما ستبقى كذلك، ولذا كتب علماؤهم: (الإنسان ذلك المجهول).

هل الروح بخار البدن

أما ما زعم البعض من أن الروح هو بخار البدن فليس إلا سفسطة لم يستدل عليها قائلوها بأدلة مقنعة.

النوم وخروج الروح

مسألة: ظاهر غير واحد من الروايات أنّ الروح إذا خرج من البدن بسبب النوم أو ما أشبه ذلك يتّصل بالفضاء الواقع بين السماء والأرض فإنّهما مسانحان، وعلى المثل المعروف: (شبه الشيء منجذب إليه).

وقد يكون حال ذلك العالم - المخفي عنا - بالنسبة إلى عالمنا حال الجاذبية في الكون حيث لا ترى إطلاقاً ومع ذلك هي التي يدور هذا العالم بها، ويظهر ذلك أيضاً من التنويم المغناطيسي.

وقد اكتشف العلم - بعد ما ورد من الروايات - شيئاً مما ذكر فيها، كما يظهر ذلك من راجع بعض الكتب العلمية المؤلفة في أحوال الروح: كتاب (على حافة العالم الأثيري) ، وكتاب (الإنسان روح لا جسد) ، وكتاب (أغرب من الخيال) ، والبحلات التي تنشر اكتشافات العلم في هذا المجال، ومنها أعداد من مجلة (الحوادث) التي ذكرت عن الروح. وكذلك يدلّ عليه قضايا التسخير وما أشبه.. وكلّها مقطوع به في العلم القدسي والحديث:

أمّا بالنسبة إلى العلم الحديث: فقد ورد في جملة من الكتب المذكورة وغيرها من عشرات الكتب التي رأيتها.

وأمّا بالنسبة إلى المصادر الإسلامية: فيكفي أن يراجع (البحار)^(٢٢٩) و(الكافي الشريفي)^(٢٣٠) و(اللآلئ) للنوسركياني و(دار السلام) للعرّاقي و(دار السلام) للحاج النوري وما أشبه، هذا بالإضافة إلى مئات القصص التي رأينا جملة من مشاهديها بالنسبة إلى الشيطان والجن والروح والملائكة وغير ذلك.

^(٢٢٩) انظر بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٢٦ ب ٤٢ .

^(٢٣٠) انظر الكافي: ج ٣ ص ٢٤٣ ح ١ .

الإنسان وعالم البرزخ

مسألة: إذا مات الإنسان ، انتقل إلى عالم آخر يسمى بالبرزخ (كما في الأدلة الشرعية) وقد دلّ على ذلك عشرات الآيات ومئات الروايات: كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ اللَّهُمَّ إِنَّمَا يُرْزَقُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَمَا يُرْزَقُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يُلْحِقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفًا عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يُسْتَبَشِّرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢٣١).

وجاء: ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ في قبال الذين كانوا يقولون : إذا قتل الإنسان في المعركة بطل وفني ولا يثاب على ذلك، فلا داعي لأن يعرض نفسه للقتل والفناء، وإنما فأصل ما ذكر في هذه الآية المباركة من الحياة بعد الموت لا يختص بالبعض، فالكل كذلك.

كما قال سبحانه: ﴿هَتَنِي إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبُّ أَرْجِعُونَ لَعَلَّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ، كَلَّا إِنَّهَا كَلْمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَمَنْ وَرَائِهِمْ بِرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يَعْثُونَ﴾^(٢٣٢).
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ وَلَكُنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٢٣٣).

وقال عزوجل: ﴿أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا﴾^(٢٣٤).

وفي آية أخرى: ﴿النَّارَ يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غَدْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخُلُوا آلَ

(٢٣١) سورة آل عمران: ١٦٩-١٧١.

(٢٣٢) سورة (المؤمنون): ٩٩ و ١٠٠.

(٢٣٣) سورة البقرة: ١٥٤.

(٢٣٤) سورة نوح: ٢٥.

فرعون أشد العذاب ^(٢٣٥)

أما الاستدلال ^(٢٣٦) بقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ^(٢٣٧) فالظاهر أن المراد الأعم: في هذه الحياة أولاً وفي الآخرة أخيراً، وهذا ما نشاهده من ضنك في هذه الدنيا بالنسبة إلى كل منحرف من طريق الله سبحانه وتعالى، سواء وصل انحرافه إلى حد الكفر أو لم يصل.

وحيث أن القضية طبيعية كسائر القضايا العرفية، لا يرد إشكال الشيخ البهائي (رحمه الله) كما في كتابه (الأربعين) حيث قال: (ولا يجوز أن يراد بالآية المباركة سوء الحال في الدنيا، لأن كثيراً من الكفار في الدنيا في معيشة طيبة هنية غير ضنك، والمؤمنون بالضد، كما ورد في الحديث الشريف: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» ^(٢٣٨)) انتهى.

ومن الواضح أن المراد بالحديث المذكور: الدنيا سجن المؤمن بالنسبة إلى الآخرة، وجنة الكافر بالنسبة إلى الآخرة لا إطلاقاً.

وهناك آيات وروايات أخرى استدلّ بها لهذا الجانب أو لذاك، لكنّ الظاهر عدم قوّة دلالتها أو عدم دلالتها إطلاقاً.

مثل قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ﴾ فأمّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشقيق ^{﴿٢﴾} خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربّك إنّ ربّك فعال لما يريد ^{﴿٣﴾} وأمّا الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربّك عطاً غير مجنوذ ^{﴿٤﴾} ^(٢٣٩)، فإنّها تدلّ على الآخرة لا عالم البرزخ إيجاباً أو سلباً.

ولا يخفى: أنّ المراد بـ **﴿السماوات والأرض﴾** هنا جهة العلو وجهة السفل، لا

^(٢٣٥) سورة غافر: ٤٦.

^(٢٣٦) بتقريب أن معيشة الضنك تكون في الآخرة وفي العالم ما بعد الموت.

^(٢٣٧) سورة طه: ١٢٤.

^(٢٣٨) راجع معاني الأخبار: ص ٢٨٩ ح ٣ باب معنى الزاهد في الدنيا وفيه: (قال علي بن الحسين ع: إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر).

^(٢٣٩) سورة هود: ١٠٥-١٠٨.

السماءات والأرض التي هي قبل القيمة، لأنّ السماءات والأرض لا تكون في يوم القيمة على تفصيل مذكور في كتب المعاد.

وفي آية أخرى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنَ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنَ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدَهُ مَأْتِيًّا﴾ لا يسمعون فيها لغوًّا إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾^(٢٤٠).

وفي رواية عن الإمام الصادق (ع): (ذلك في الدنيا قبل يوم القيمة، لأنّ نار القيمة لا تكون غدوًّا وعشياً - إلى أن قال (ع)-: ألم تسمع قوله عز وجل : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فَرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢٤١)).

فاستدلّ الإمام (ع) بهذا الدليل بالنسبة إلى قوله سبحانه: ﴿النَّارُ يَعْرُضُونَ عَلَيْهَا غَدْوَأً وَعَشِيًّا﴾ و يوم تقام الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾.

هذا ومن المتحمل أن يكون قول الإمام (ع) من التأويلات ومن بطون القرآن، فإن الغدو والعشي قد يكون كنایة عن الدوام.

وأما الروايات فقد قال الإمام الصادق (ع): (البرزخ القبر وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة)^(٢٤٣).

وعن أبي عبد الله الصادق (ع) أيضاً: (وَاللَّهُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْبَرْزَخُ خَاصًا إِذَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْنَا فَنَحْنُ أَوْلَى بِكُمْ)^(٢٤٤).

وعن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا ماتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعِدَهُ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ إِنَّ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنَ النَّارِ يقال هذا مقعده حتى يعثنك الله يوم القيمة)^(٢٤٥).

وقال أبو عبد الله (ع) في تفسير هذا الحديث: (ذلك في الدنيا قبل يوم القيمة لأنّ نار

(٢٤٠) سورة مريم: ٦٢ و ٦١.

(٢٤١) سورة غافر: ٤٦.

(٢٤٢) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٨٤ ب ٩.

(٢٤٣) تفسير القمي: ج ١ ص ١٩.

(٢٤٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ٩٤.

(٢٤٥) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٨٤ ح ٩.

القيامة لا تكون غدوًأً وعشياً ثم قال: إن كانوا إنما يذبون غدوًأً وعشياً ففي ما بين ذلك هم من السعداء ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة ألم تسمع قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فَرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢٤٦).

وَكَيْفَ كَانَ، فَالرِّوَايَاتُ مُتَظَافِرَةٌ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي حِيَاتِ الرُّوحِ فِي الْبَرْزَخِ فِي الْجَمْلَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَوَاتِرَةً.

^(٢٤٦) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٨٤ ح ٩.

في كيفية الخلق

وما يؤيّد بعض ما ذكرناه سابقاً: ما رواه في (البخاري) عن (العلل) وكذلك في كتاب (الجوادر السنّية) للمحدث الشيخ الحر العاملي (قدس سره) عن محمد بن شاذان في حديث قدسي، قال الله عز وجل:

«إني خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء، ثم جعلتها وراثة في ولده تنمي في أجسادهم وينمون عليها إلى يوم القيمة، وركبت جسده حين خلقته من رطب ويابس وسخن وبارد، وذلك أني خلقته من تراب وماء، ثم جعلت فيه نفساً وروحًا، فيبوسّة كل جسد من قبل التراب، ورطوبته من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، وببرودته من قبل الروح، ثم خلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول: أربعة أنواع، وهنّ ملائكة الجسد وقوامه بإذني، لا يقوم الجسد إلّا بهنّ، ولا تقوم منهم واحدة إلّا بالأخرى، منها: المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم، ثم أسكن بعض هذا الخلق في بعض، فجعل مسكن اليبوسة في المرة السوداء، ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء، ومسكن الحرارة في الدم، ومسكن البرودة في البلغم، فائيّما جسد اعتدلت بهذه الأنواع الأربع التي جعلتها ملائكة وقوامه، وكانت كل واحدة منها اربعاء لا تزيد ولا تنقص، كملت صحته واعتدل بنيانه، فإن زاد منها واحدة عليهم فقههنّ ومالت بهنّ ودخل على البدن السقم من ناحيتها بقدر ما زادت»^(٢٤٧).

وهذا الحديث يحتاج إلى شرح مفصل في كل فقرة منه، لكنه رعاية لكتاب تركناه، وقد أخذ منه السعدي الشيرازي ما نظمه في أبيات له^(٢٤٨) بما مضمونه:

^(٢٤٧) بخار الأنوار: ج ٥٨ ص ٢٨٦ ب ٤٧ ح ١، وعلل الشرائع: ص ١١٠ ب ٩٦ ح ٩، الجوادر السنّية في الأحاديث القدسية: ب ٧ فيما ورد في شأن موسى (ع).

^(٢٤٨) وهذا نص ما نظمه السعدي الشيرازي (١٢٩١.١١٨٩) بالفارسية:

چهار طبع مخالف سرکش	چند روزی شوند با هم خش
چون یکی زین چهار شد	جان شیرین برآید از قالب
نهد بر حیاه دنیا دل	لا جرم مرد عاقل کامل

أربع طباع مختلفة شرسة
وإذا غلبت إحداها على الآخر
ولذلك لا يعتمد على الدنيا

تصادق معًا في أيام قليلة
عندئذ تخرج الروح من قالبها
الإنسان الكامل العاقل

وقد ذكر الأطباء القدامى: إنّ لكل طبعٍ من هذه الطبائع الأربع زيادة ونقصه وتوسط في البدن، فهـي تسبب ستة آلاف من الأمراض، فالمجموع أربعة وعشرون ألف مرض، ولها أربعة وعشرون ألف علامة، وأسبابها أربعة وعشرون ألف سبب، وأدويتها أربعة وعشرون ألف دواء، وهذا هو درجة من الطب، لأنّ الخصوصيات والجزئيات أكثر وأكثر بما لا يعلمها إلـا الله سبحانه وتعالـى.

الروح وعالم القبر

مسألة: إن سؤال القبر وضغطه القبر^(٢٤٩) وما أشبه ذلك، ربما تكون كلها بالنسبة إلى الروح لا بالنسبة إلى هذا البدن، فالبدن إذا مات لم يرجع إليه هذا الروح كما كانت إلا في يوم القيمة حيث المعاد جسماني أيضاً.

وما في بعض الروايات^(٢٥٠) من رجوع الروح إلى البدن وجلوسه في القبر، فالمراد به في

(٢٤٩) راجع بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٢٠ ب ٨ ح ١٤ وفيه: (عن أبي عبد الله (ع) قال: أتى رسول الله (ص) فقيل له إن سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله (ص) وقام أصحابه معه فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلما أن حنط وকفن وحمل على سريره تبعه رسول الله (ص) بلا حذاء ولا رداء، ثم كان يأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير مرة، حتى انتهى به إلى القبر فنزل رسول الله (ص) حتى لحده وسوى اللبن عليه وجعل يقول ناولوني حجراً ناولوني تراباً رطباً يسد به ما بين اللبن فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوى قبره قال رسول الله (ص): إني لأعلم أنه سيلى ويصل البلى إليه ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً احকمه فلما أن سوئي التربة عليه قالت أم سعد: يا سعد هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله (ص): يا أم سعد مه لا تجزمي على ربك فإن سعداً قد أصابته ضمة، قال: فرجع رسول الله (ص) ورجع الناس، فقالوا له يا رسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء فقال (ص): إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسست بها، قالوا: و كنت تأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير مرة، قال: كانت يدي في يد جبرائيل آخذ حيث يأخذ، قالوا: أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحته في قبره ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمة، قال: فقال (ص): نعم، إنه كان في حلقه مع أهله سوء. وفي الكافي : ج ١ ص ٤٥٣ ح ٢: وفيه عن فاطمة بنت اسد أم أمير المؤمنين (ع): (وسمعته (ص) يذكر ضغطة القبر، فقالت: واسعفاه، فقال لها رسول الله (ص): فاني اسأل الله ان يكفيك ذلك).

(٢٥٠) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٧٧ ب ٨ ح ٢٨ وفيه: ما روي عن النبي (ص) : (أنه ذكر قبض روح المؤمن فقال: ثم يعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له: من ربك وما دينك؟ فيقول: ربى الله وديني الإسلام ونبيي محمد (ص)، فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي، فذلك قوله تعالى ﴿يَشْتَتَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾).

عالم المثال . أي القالب المثالي كما يعبر عنه . لا هذا البدن الأرضي المعروف ، وإن أمكن نوعاً من تعلق الروح به .

وكذلك ما روي من أنه تختلف أضلاع الميت^(٢٥١) ، وأن البدن يذاب من مرزبة الملkin على بعض الكفار^(٢٥٢) ، وما أشبه ذلك .

ولعل الوجه في جلوس الميت . على ما ذكرنا معناه . أنه يكون أقرب إلى التخاطب ، كما ورد أن علياً (ع) أجلس كعب بن سور في قصة الجمل وتكلّم معه بقوله: (لقد وجدت ما وعدني ربي حقاً ، فهل وجدت ما وعدك ربك) ^(٢٥٣) وكذلك أجلس

(٢٥١) راجع بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٢٤ ب ٨ ح ٢٥ وفيه: عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله ع قال: (إن العبد إذا دخل قبره أتاه منكر ففزع منه يسأل عن النبي (ص) فيقول له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان بين أظهرك؟).

فإن كان مؤمناً قال: أشهد أنه رسول الله جاء بالحق، فيقال له: أرقد رقدة لا حلم فيها، ويتنهى عنه الشيطان ويفسح له في قبره سبعة أذرع ويرى مكانه من الجنة.

قال: وإذا كان كافراً قال: ما أدرني فيضرب ضربة يسمعها كل من خلق الله إلا الإنسان وسلط عليه الشيطان وله عينان من نحاس أو نار كالبرق الخاطف فيقول له: أنا أخوك ويسلط عليه الحيات والعقارب ويظلم عليه قبره ثم يضغطه ضغطة يختلف أضلاعه عليه، ثم قال بأصابعه فشرجها).

(٢٥٢) راجع بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٦٣ ب ٨ ح ١٠٧ وفيه: عن أبي الحسن موسى ع قال: يقال للمؤمن في قبره: من ربك؟ قال: فيقول: الله، فيقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقال: من نبيك؟ فيقول: محمد (ص)، فيقال: من إمامك؟ فيقول: فلان، فيقال: كيف علمت بذلك؟ فيقول: أمر هداني الله له وثبتني عليه، فيقال له: نعم نومة لا حلم فيها نومة العروس، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيدخل إليه من روحها وريحانها، فيقول: يا رب عجل قيام الساعة لعلي أرجع إلى أهلي ومالي.

ويقال للكافر: من ربك؟ فيقول: الله، فيقال: من نبيك؟ فيقول: محمد(ص)، فيقال: ما دينك؟ فيقول الإسلام، فيقال: من أين علمت ذلك؟ فيقول: سمعت الناس يقولون فقلت، فيضررها بمرزبة لو اجتمع عليها الثقلان الانس والجن لم يطقوها! قال: فيذوب كما يذوب الرصاص ثم يعيidan فيه الروح فيوضع قلبه بين لوحين من نار، فيقول: يا رب أخّر قيام الساعة).

(٢٥٣) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٠٩ ب ٣ ح ١٦٣ .

طلحة^(٢٥٤) وإنما فالجلوس قد لا يكون له خصوصية على الظاهر.

من الأَجسَامُ الْلَطِيفَةُ

مسألة: إنَّ الرُّوحَ كَابْدَنَ وَالْمَلَائِكَةَ جَسْمٌ لَطِيفٌ وَهُوَ كَاهْوَاءُ كَمَا فِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ^(٢٥٥).

وفي رواية الاحتجاج عن رسول الله (ص) قال: «فَالْمَلَكُ لَا تَشَاهِدُهُ حَوْاسِكُمْ لَأَنَّهُ مِنْ جَنْسِ هَذَا الْهَوَاءِ»^(٢٥٦) وَيُعْكَنْ تَكْثِيفُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى.

رُؤْيَا الرُّوحِ

وقد ورد أنَّ أباً بكرًا رأى رسول الله (ص) بعد وفاته في قصة مفصلة حيث أمره برد المخلافة إلى علي (ع).

وأنَّ الحسن بن علي رأى بعض أصحابه أمير المؤمنين (ع).

وأنَّ أولادَ أميرَ المؤمنين (ع) رأوه (ع) في تشيع جنازَةِ نفسه.

^(٢٥٤) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٠٩ ب ٣ ح ١٦٣.

^(٢٥٥) راجع بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١٨٥ ب ١٣ ح ٢٦ وفيه: عن الإمام الصادق ع في جوابه على أسئلة الزنديق التي سألها - إلى أن قال ع -: (الروح بمنزلة الريح في الزق إذا نفخت فيه امتلاً الزق منها فلا يزيد في وزن الزق ولو جها فيه ولا ينقصها خروجها منه كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن، قال: فأخبرني ما جوهر الريح؟ قال: الريح هواء إذا تحرك سمي ريحًا فإذا سكن سمي هواء).

^(٢٥٦) بحار الأنوار: ج ٩ ص ٢٧٢ ب ١ ح ٢.

رؤيه الملك

وقد روي^(٢٥٧) أن جبرائيل تكلّم مع رسول الله (ص) في صورة دحية الكلبي. كما أنّ قوم لوط (ع) رأوا الملائكة في قصة مشهورة^(٢٥٨)، قال تعالى: ﴿ولما جاءت رسالنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيٰ ﴾وجاءه قومه يهربون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾^(٢٥٩). وكذلك رأى جبرائيل السامي، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَصَرْتَ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبضْتَ قَبْضَةً مِّنْ أَثْرِ الرَّسُول﴾^(٢٦٠). إلى غير ذلك مما هو كثير، وذكر جملة منها المجلسي (قدس سره) في (البحار).

^(٢٥٧) راجع الكافي: ج ٢ ص ٥٨٧ ح ٢٥٥ وفيه: عن أبي عبد الله ع قال: (ان أبا ذر أتى رسول الله (ص) ومعه جبرائيل ع في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه رسول الله (ص) فلما رآهـما انصرف عنهما ولم يقطع كلامهما، فقال جبرائيل: يا محمد هذا أبوذر قد مر بنا ولم يسلم علينا أاما لو سلم لرددنا عليهـ الخبر.

^(٢٥٨) راجع بحار الأنوار: ج ١٢ ص ١٥٧ ب ٧ ح ٨٩.

^(٢٥٩) سورة هود: ٧٧-٧٨، وقال سبحانه أيضاً في سورة حجر: ٦١-٦٩: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَّ لَوْطَ الْمُرْسَلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبَشِّرُونَ﴾ قال إن هؤلاء ضيفي ﴿فَلَا تَنْفِضُونَ﴾ واتقوا الله ولا تخزون﴾.

^(٢٦٠) سورة طه: ٩٦.

رؤيه الجن

وهكذا حال الجن حيث أنهم يظهرون أحياناً، كما ظهروا لسليمان (ع) قال عزوجل: ﴿يعلمون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب﴾^(٢٦١).

وكذلك رؤي أيضاً بصورة الشعبان في مسجد الكوفة ودخل من الباب الذي عرف بـ (باب الشعبان) على علي أمير المؤمنين (ع) في قصة مشهورة^(٢٦٢) ومن بعده غير إلى باب الفيل، حيث أراد معاوية أن يطمس هذه المعجزة فأمر بفيل ربط على باب المسجد فاشتهر عند الناس بباب الفيل، وهذا وارد أيضاً في الألسنة إلى اليوم.

قصة الشعبان

فقد روي في (البحار) عن كتاب (بشرة المصطفى) عن جابر الجعفي عن الإمام الصادق (ع)، وكذلك رواه في (إحقاق الحق) من طريق العامة والخاصة، كما رواه القوشجي أيضاً في (شرح التجريد)، قال:

«بينما علي بن أبي طالب (ع) على منبر الكوفة يخطب، إذ أقبل ثعبان من آخر المسجد، فوثب إليه الناس بمعاهم، فقال لهم علي (ع): مهلاً يرحمكم الله فإنها مأمورة،

٢٦١) سورة سباء: ١٣.

٢٦٢) راجع الكافي: ج ١ ص ٣٩٦ ح ٦، وفيه: (عن أبي جعفر (ع) قال بينما أمير المؤمنين (ع) على المنبر إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد فهمَ الناس أن يقتلوه فأرسل أمير المؤمنين (ع) أن كفوا فكفوا واقبل الشعبان ينساب حتى انتهى إلى المنبر فتطاول فسلم على أمير المؤمنين (ع) ، فأشار أمير المؤمنين (ع) إليه أن يقف حتى يفرغ من خطبته ولما فرغ من خطبته أقبل عليه فقال: من أنت، فقال: أنا عمرو بن عثمان خليفتك على الجن، وإن أبي مات وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك وقد أتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني به؟ وما ترى؟ فقال له أمير المؤمنين (ع): أوصيك بتقوى الله وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجن فإنك خليفتي عليهم قال: فودع عمرو أمير المؤمنين (ع) وانصرف، فهو خليفته على الجن، فقلت له: جعلت فداك فيأريك عمرو وذاك الواحِب عليه؟ قال: نعم).

فكف الناس عنها، فأقبل الشعبان إلى علي (ع) حتى وضع فاه على أذن علي (ع)، فقال له ما شاء الله أن يقول، ثم إن الشعبان نزل وتبعه علي (ع)، فقال الناس: يا أمير المؤمنين لا تخبرنا بمقالة هذا الشعبان؟ فقال: نعم إنه رسول الجن، قال لي: أنا وصي الجن ورسولهم إليك»^(٢٦٣) الحديث.

كما إن الجن جاء من الإمام (ع) برسالة مكتوبة إلى جماعة من أصحابه بين مكة والمدينة.

وهكذا في قصة الإمام الحسين (ع) رؤي الجن يوم عاشوراء^(٢٦٤) وغيره، وفي كتاب (مدينة المعاجز)^(٢٦٥) وما أشبه، كثير من هذه الأحاديث والقصص.

وقد ذكرنا سابقاً أن الغربيين أيضاً أيدوا موضوع الملك والجن والأرواح الشريرة والأرواح الخبيثة في عشرات من الكتب، كما أشرنا إلى أسامي بعضها فيما سبق.

^(٢٦٣) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٢٤٩ ب ٨٧ ح ١٤ . بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: الجزء الرابع، ص ١٦٤ . احراق الحق وازهاق الباطل (للقاضي نور الله الحسيني التستري، الشهيد في ١٠١٩ هـ) : ج ٨ ص ٧٣٢ ب ٢٤ . شرح التحرير (لعلاء الدين القوشجي، المتوفى ٨٧٩ هـ) المطبوع بجامش المواقف: ج ٤ ص ٣٣٠ نقاً عن احراق الحق.

^(٢٦٤) راجع بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٣٠ و ٣٣١ ب ٣٧ ح ٢ وفيه: (أتهن أفواج مسلمي الجن فقالوا: يا سيدنا نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بأمرك، وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وانت = بمكانك لكيفنا ذلك)، فجزاهم الحسين (ع) خيراً وقال لهم: أو ما قرأتكم كتاب الله المنزل على جدي رسول الله ﷺ (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كتم في بروج مشيدة) وقال سبحانه: **﴿لِبَرْزَ الَّذِينَ كَتَبْ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾** وإذا أقمت بمكاني فيماذا يتلى هذا الخلق المتعوس وبماذا يختبرون ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكرياء وقد اختارها الله يوم دحا الأرض وجعلها معقلاً لشيعتنا ويكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة، ولكن تحضورون يوم السبت وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي، ويسار برؤسي إلى يزيد لعنه الله، فقالت الجن: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه لولا أن أمرك طاعة وأنه لا يجوز لنا مخالفتك قتلتنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك، فقال صلوات الله عليه لهم: نحن والله أقدر عليهم منكم ولكن **﴿لِيَهُكَمْ مِنْ هَلْكَ عَنْ بَيْنَهُ وَيَحْيَى مِنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَهُ﴾**.

^(٢٦٥) للسيد هاشم البحرياني (رضوان الله عليه).

وقد رأى بعض العلماء الملائكة في كربلاء المقدسة في (مدرسة حسن خان)، فإنه شرع في ليالي شهر رمضان من أوّله إلى الثالث والعشرين منه بقراءة سورة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ في كلّ ليلة ألف مرّة . كما ورد ذلك^(٢٦٦)، وفي الليلة الثالثة والعشرين ارتفع السقف ورأى الملائكة تنزل من أبواب السماء إلى الأرض بمختلف الأشكال . وكما قال علي (ع): «فَمَلَأْهُنَّ أَطْوَارًا مِّنْ مَلَائِكَتِهِ»^(٢٦٧) . وعند ذلك غشي عليه ولم يفق إلّا بعد فترة طويلة . كما أنّ أحد العلماء أيضاً رأى الشيطان في قصة نقلها لي، قال: ... وخفت منه أشدّ الخوف وأخذت أقرأ آيات من القرآن الحكيم و(القلاقل الأربع) و(آية الكرسي) و(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) وبقي إبليس ما يقارب الساعتين ينظر إلى، ثم ببركة الآيات ذهب عني، وكان خوفه باقياً في قلبه إلى وقت نقله القصة بعد سنوات.

(٢٦٦) أي قراءة سورة القدر ألف مرّة، راجع بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٣٧٩ ب ٢٩ ح ٣: (عن الصادق (ع) قال: اذا اتى شهر رمضان فاقرأ كل ليلة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ ألف مرّة فاذا أتت ليلة ثلاثة وعشرين فاشدّ قلبك وافتح اذنيك لسماع العجائب مما ترى). وفي البحار: ج ٨٠ ص ١٣٢ ب ١٠ ح ١، وفيه: (عن أبي عبد الله (ع) قال: لو قرأ رجل ليلة ثلاثة وعشرين من شهر رمضان ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ألف مرّة لأصبح وهو شديد اليقين في الاعتراف بما يختص فينا).

(٢٦٧) نجح البلاغة: الخطبة ١ الفقرة ١٨ .

الروح والبدن المثالي

مسألة: الظاهر أن الروح بعد الموت تتعلّق ببدن مثالي كتعلّقها في الدنيا بهذا البدن الترابي.

وفي رواية الحناط عن أبي عبد الله (ع): «إنهم في أبدان كأبدانهم»^(٢٦٨).

وفي رواية: «صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، يأكلون ويسربون»^(٢٦٩).

وعن أبي بصير عن الإمام الصادق (ع) قال: «إن الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة، تعارف وتسائل، فإذا قدمت الروح على الأرواح، يقول: دعوها فإنها قد أفلتت من هول عظيم، ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان؟ فان قالت لهم: تركته حيّاً، ارتحوه، وإن قالت لهم: قد هلك، قالوا: قد هوى هو»^(٢٧٠).

وفي رواية أخرى عن أبي بصير عنه (ع): إنهم «في حجرات في الجنة، يأكلون من طعامها ويسربون من شرابها»^(٢٧١).

وفي رواية ثالثة عن أبي بصير عنه (ع): إنها «في روضة كهيئة الأجساد في الجنة»^(٢٧٢).
ومن الواضح عدم المنافاة بينها، لأن الإنسان كما له أحوال مختلفة في الدنيا، فتارة في الشارع وتارة في الدار وتارة في المسجد وهكذا، كذلك في الجنة له أحوال.

^(٢٦٨) راجع الكافي: ج ٣ ص ٢٤٤ ح ١ وفيه: (عن أبي ولاد الحناط عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت له: جعلت فداك يرون أنّ أرواح المؤمنين في حوصلة طير خضر حول العرش؟ فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم).

^(٢٦٩) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٥٠ ب ٤٢ ح ٣٠.

^(٢٧٠) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٤ ح ٣.

^(٢٧١) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٤ ح ٤.

^(٢٧٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٥ ح ٧.

وعلى كلّ حال فالإنسان عاجز عن فهم الإنسان في هذه الدنيا، فكيف يفهم الإنسان في الدار الآخرة؟ ولذا ورد في الحديث: «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(٢٧٣)، إذا الآخرة من عالم آخر، وما يخطر في قلب البشر مناسب لعالم الدنيا، فهو كتلميذ الابتدائية الذي لا يخطر بقلبه حسابات الجبر والمقابلة والاستصحاب والبراءة وما أشبه ذلك، فإن الإنسان . كما هو واضح . إنما يخطر إلى قلبه ما هو من مداركه وما يستوعبه.

^(٢٧٣) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٩٥ ح ٩٠٥ .

مما يرتبط بالعالم الآخر

والظاهر أنّ ما ورد في الأرواح بالنسبة إلى الموت والقبر وما أشبه ذلك مرتبط بالعالم الآخر ومن هنا لا يحس به الإنسان بالحواس المادية عادة، مثل ما ورد من:
أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران^(٢٧٤).
وأنّ القبر يوسع لبعض الأموات سبعة أذرع، أو تسعه، أو مد بصره، أو مسيرة شهر، أو
ما أشبه^(٢٧٥).

^(٢٧٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ٩٤ سورة (المؤمنون).

^(٢٧٥) راجع الكافي: ج ٣ ص ٢٣٨ ح ٩ وفيه: (قال أبو عبد الله عليه السلام: يسأل الرجل في قبره فإذا أثبت فسح له في قبره سبعة أذرع وفتح له باب إلى الجنة وقيل له: نم نومة العروس قرير العين)، الخبر.
وراجع الكافي: ج ٣ ص ٢٣٨ ح ١٠، وفيه: (قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا وضع الرجل في قبره أتاه ملكان ملك عن يمينه وملك عن يساره وأقيم الشيطان بين عينيه، عيناه من نحاس فيقال له: كيف تقول في الرجل الذي كان بين ظهريكم؟ قال: فيفزع له فرعة فيقول إذا كان مؤمناً: أعن محمد رسول الله (ص) تسألاني؟ فيقولان له: نم نومة لا حلم فيها، ويفسح له في قبره تسعه أذرع ويرى مقعده من الجنة)، الخبر.

وراجع الكافي: ج ٣ ص ٢٣٩ ح ١٢، وفيه: (قال أبو عبد الله عليه السلام: إن المؤمن إذا أخرج من بيته

شييعته الملائكة إلى قبره يزدحمون عليه حتى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: مرحباً بك وأهلاً، أما والله لقد كنت أحب أن يمشي علي مثلك لترين ما أصنع بك، فتوسّع له مد بصره)، الخبر.

وراجع الكافي: ج ٣ ص ١٣١ ح ٤، وفيه: (قال أبو عبد الله عليه السلام: منكم والله يقبل ولكم والله يغفر إنه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرة العين إلا أن تبلغ نفسه هنها وأوّما بيده إلى حلقه ثم قال: إنه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله (ص) وعلى عليه السلام وجبرائيل وملك الموت فيدّنو منه على عليه السلام فيقول: يا رسول الله إن هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبه إلى أن قال: فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب الجنة يدخل عليه من روحها وريحانها ثم يفسح له عن أمامه مسيرة شهر وعن يمينه وعن يساره، ثم يقال له: نم نومة العروس على فراشها أبشر بروح وريحان).

وأنه يفتح من قبره إلى الجنة أو النار طريق^(٢٧٦).

وهكذا ما ورد^(٢٧٧) من صعود الأئمة (ع) بعد استشهادهم إلى الله سبحانه وتعالى، فذلك من عالم الأرواح.

وأما فقد بعضهم للإمام (ع) عند الولادة، أو ما أشبه ذلك فيمكن أن يكون بانكشاف العين البرزخية للرائي، ويمكن أن يراد بذلك أجسامهم (ع) كما هو الظاهر.

وهكذا ما ورد في (كامل الزيارات) عن عبد الله بن بكير عن الإمام الصادق (ع) قال: حجّت معه (ع) . إلى أن قال: . فقلت: يا بن رسول الله، لو نبش قبر الحسين بن علي (ع) هل كان يصاب في قبره شيء؟ فقال: يا بن بكير، ما أعظم مسائلك ! إنّ الحسين (ع) مع أبيه وأمه وأخيه في منزل رسول الله (ص) ومعه يرزقون ويحيّرون، وإنّه لعن يمين العرش متعلّق به يقول: يا ربّ أنجز لي ما وعدي، وإنّه لينظر إلى زواره، فهو أعرّف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وما في رحالتهم من أحدهم بولده، وإنّه لينظر إلى من يسكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له، ويقول: أيها الباكي لو علمت ما أعدّ الله لك لفرحت أكثر مما حزنت، وإنّه ليستغفر له من كل ذنب وخطيئة»^(٢٧٨).

فإن ذلك مربوط بعالم الروح . كما هو واضح . كما انّ إحاطته بكلّ الزوار وخصوصياتهم إحاطة روحية كإحاطة ملك الموت بكلّ العالم، وقد مثلناه سابقاً بأمواج الراديو وصور التلفزيون وما أشبه ذلك، ولا مناقشة في الأمثل.

أما ما نقل^(٢٧٩) عن الشيخ المفيد (قدس سره) وأضربه من: أنهم (ع) ينقلون بأجسادهم وأرواحهم إلى السماء بعد استشهادهم فهو محل بحث؛ ولذا رؤي جسد الإمام الحسين (ع) في قبره مكرراً، والتي منها في قصة دينج^(٢٨٠).

^(٢٧٦) راجع بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٤٥ ب ٨ ح ٤٦.

^(٢٧٧) راجع تصحيف الاعتقاد: ص ٩١.

^(٢٧٨) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٩٢ ب ٣٤ ح ٣٥.

^(٢٧٩) تصحيف الاعتقاد: ص ٩١.

^(٢٨٠) فأول من نبش القبر الحسيني الشريف: موسى بن عباس الماشمي أمير الكوفة بعد عام ٦٥ هـ، فكشف عن القبر ورأى الجسد الطاهر على قطعة من الحصير، ثم بني سقيفة على القبر، وهو ثانٍ

وقول المجلسي (رحمه الله): إن سؤال القبر وضغطه في الأجساد الأصلية، يرد علمه إلى نفسه (قدس الله نفسه) أو يُؤول، حيث قال: (إما السؤال والضغطة في الأجساد الأصلية) (٢٨١).

من بنى قبة بعد المختار عام ٦٥. انظر وختصر تاريخ كربلاء: ص ٧٣، ودراسات حول كربلاء ودورها الحضاري: ص ١٠٢.

وقصة دينج: إن المتوكل دعا في أحدى ليالي شهر وشربة جاريته لتغنى له، فلم يجدها، وقد كانت خارجة لزيارة قبر الإمام الحسين الثقلية في النصف من شعبان عام ٢٣٦ هـ ، فاغتاظ المتوكل لذلك ولما رجعت الجارية من زيارتها استطلعت الخبر، فقدمت إلى مجلسه فسألها المتوكل أين كنت؟ قالت: قد خرجت مع مولاتي إلى الحج، فتعجب المتوكل من قولها أنها ذاهبة إلى الحج، فسألها أين حججت في شعبان؟ قالت: حججنا قبر الحسين ع في كربلاء، فاشتاط المتوكل غضباً من سماعه ذلك منها، فارسل على مولاتها وأنفالها بالضرب وحبسها وصادر ممتلكاتها، ثم أرسل إلى إبراهيم المعروف بـ (الدينج) الذي كان يهودياً جديداً العهد بالاسلام، وأمره أن يجمع جماعة من اليهود ويسير إلى كربلاء ويهدم قبر الحسين ع وأن يحرث ويسقي أرضه...، يقول الدينج: أتيت في خاصة غلماني فقط، واني نبشت فوجدت بارية جديدة وعليها بدن الحسين بن علي ع ووجدت منه رائحة المسك، فتركـت الـبارية على حالتها وبدن الحسين على الـبارية، وأمرت بـطـرح التـراب عليه واطـلقت عليه الماء، وأمرت بالـبـقر لـتـمـخرـه وـتـحـرـثـه، فـلـمـ تـطـأـهـ الـبـقرـ، وـكـانـتـ اـذـاـ جـاءـتـ اـلـمـوـضـعـ رـجـعـتـ عـنـهـ، فـحـلـفـتـ لـغـلـمـانـيـ بـالـلـهـ وـبـالـاـيـمـانـ الـمـغـلـظـةـ لـئـنـ ذـكـرـ اـحـدـ هـذـاـ لـأـقـتـلـنـهـ. هـذـاـ وـقـدـ كـانـتـ الـقـصـةـ فـيـ أـوـلـ النـهـارـ فـمـاـ أـمـسـىـ الـدـينـجـ حـتـىـ مـاتـ. وـفـيـ بـعـضـ الـرـوـاـيـاتـ اـنـهـ عـنـدـمـاـ بـلـغـواـ مـوـضـعـ الـقـبـرـ اـسـتـوـلـيـ عـلـيـهـمـ.

راجع بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٩٨، وأمالي الطوسي: ج ١ ص ٣٣٣ - ٣٣٦، ومقاتل الطالبيين: ص ٥٩٧، وختصر تاريخ كربلاء: ص ٧٣، ودراسات حول كربلاء ودورها الحضاري:

.177.175, 8

(٢٨١) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٧٠ ب ٨ (بيان).

شبهات حول المعاد الجسماني

والإجابة عنها

مسألة: ثم هناك شبهات أوردها البعض على إعادة الإنسان في الحياة الأخرى:

الشبهة الأولى: إعادة المعدوم

قالوا: إنّ إعادة المعدوم ممتنعة، كما قال الحاج السبزواري:

إعادة المعدوم مما امتنعا وبعضهم فيه الضرورة أدعى^(٢٨٢)

وأجيب عن ذلك: بأنّ الإنسان لا يصير معدوماً، وإنما يكون تفرق الأجزاء وتغيرها ثم اتصال الأجزاء بعضها مع بعض، وليس هذا من إعادة المعدوم.

لا يقال: الصورة عدمة، والصورة الجديدة ليست بالسابقة فهي من إعادة المعدوم.

لأنه يقال: قد لا تكون إعادة الصورة السابقة بمعنى نفس الصورة وعينها، بل بمعنى شبه تلك الصورة^(٢٨٣) من جميع الخصوصيات التي يقولون بها غالباً، فحينئذٍ لا شأن له في الإشكال.

كما في قصة إبراهيم (ع) عند قوله سبحانه: ﴿رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحِيِّي الْمَوْتَى﴾^(٢٨٤)،

وفي قصة نبي بنى إسرائيل: ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عَرُوشَهَا﴾^(٢٨٥) وفي قصة عزير^(٢٨٦) وما أشبه ذلك^(٢٨٧)، وهذه القصص من أدلة الأدلة على إمكان ذلك بل وقوعه

^(٢٨٢) غرر الفوائد (قسم الفلسفة من شرح المنظومة) للسبزواري (١٢١٢-١٢٩٠ هـ): ص ١٢٣.

^(٢٨٣) الظاهر أن المراد بالشبهة: المعنى الفلسفى لا العربى.

^(٢٨٤) سورة البقرة: ٢٦٠.

^(٢٨٥) سورة البقرة: ٢٥٩.

^(٢٨٦) راجع بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٣٦٠ ب ٢٥ ح ١.

وكيفيته ولم تكن من إعادة المعدوم في شيء.

لا يقال: إذا قيل بانعدام الصورة فالصورة الجديدة لا حصة لها من الشواب والعقاب.

لأنه يقال: إن الشواب والعقاب ليس للصورة بما هي عرض، وإنما للأجزاء والروح، والعمدة الروح والأجزاء.

نعم: بعض الحكماء أصرّوا على أنه من إعادة المعدوم، لكن إعادة المعدوم أيضاً ممكنة بالنسبة إلى الباري عزّ وجلّ، والإشكالات التي وردت عليها لاتتمكن من جعل الموضوع برهانياً..

بالإضافة إلى أنها تخالف صريح الآيات والروايات.. فالإشكال من هذه الحقيقة من نوع صغرى وكبري.

وقد أورد شبه هذا الإشكال وأجيب عنه في قوله سبحانه: ﴿كُلَّمَا نضجتْ جلودهمْ بِدَّلَنَا هُمْ جلوداً غَيْرَهَا﴾ (٢٨٨).

وقد مثل الإمام (ع) للإعادة باللبنية تخدم ثم تبني من جديد، حيث إنها هي وإنما ليست هي هي.

(فعن حفص بن غياث قال: شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله السجدة عن قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نضجتْ جلودهمْ بِدَّلَنَا هُمْ جلوداً غَيْرَهَا لِيذوقوا العذاب﴾ (٢٨٩) ما ذنب الغير قال: ويحك هي هي وهي غيرها، فقال: فمثلك لي ذلك شيئاً من أمر الدنيا، قال: نعم،رأيت لو أن رجلاً أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها؟ فهي هي وهي غيرها) (٢٩٠).

(٢٨٧) كقصة الصاعقة علىبني إسرائيل . في سورة البقرة: ٥٥ و ٥٦ : ﴿وَإِذْ قَلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهَرًا فَأَخْذُتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ﴾ ثم بعثاكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴿، وكقصة القتيل منبني إسرائيل . في سورة البقرة: ٧٢ و ٧٣ : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كَنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فقلنا اضربوه بعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾.

(٢٨٨) سورة النساء: ٥٦ .

(٢٨٩) سورة النساء: ٥٦ .

(٢٩٠) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٣٨ ب ٣ ح ٦ .

الشَّبَهَةُ الثَّانِيَةُ

بَيْنَ الْفَعْلِيَّةِ وَالْقُوَّةِ

إِنَّ النَّفْسَ بِسَبَبِ الْبَدْنِ وَمَا تَعْمَلُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ فِي الدُّنْيَا . مَثَلًاً . أَوِ الطَّالِحةُ، تَصُلُّ إِلَى الْكَمَالِ ارْتِفَاعًاً، أَوِ الْأَنْخَافَ، فَكَيْفَ تَرْجِعُ الْفَعْلِيَّةَ إِلَى الْقُوَّةِ؟ .

وَالْجَوَابُ: أَوْلًاً أَيْ مَانِعٌ فِي الرَّجُوعِ مِنَ الْفَعْلِيَّةِ إِلَى الْقُوَّةِ وَلَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ؟ وَكَمَا أَنَّ الْقُوَّةَ تَرْجِعُ إِلَى الْفَعْلِيَّةِ بِلِبْسِ بَعْدِ لِبْسٍ . كَمَا يَقُولُهُ (الْمَلَّا صَدْرَا) وَغَيْرُهُ .

يُمْكِنُ أَنْ تَرْجِعَ الْفَعْلِيَّةَ إِلَى الْقُوَّةِ بِالنَّزْعِ بَعْدِ النَّزْعِ، وَحُكْمُ الْأَمْثَالِ فِيمَا يَجُوزُ وَفِيمَا لَا يَجُوزُ وَاحِدًا، وَقَدْ ذَكَرْنَا^(٢٩١) مَثَلًا ذَلِكَ بِاللَّبْنَةِ تَهْدِمُ ثُمَّ تَبْنِي، بَيْنَمَا أَنَّ الطِّينَ بِصِيرُورَتِهِ اللَّبْنَةَ يَكُونُ كَامِلًا، فَإِذَا هَدَمَتْ رَجَعَتْ إِلَى الْقُوَّةِ ثُمَّ تَرْجِعَ إِلَى الْكَمَالِ ثَانِيًّا، وَهَكُذا حَالُ الشَّجَرَةِ إِذَا صَارَتْ تَرَابًا ثُمَّ صَارَتْ شَجَرَةً، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْثَالِ.

^(٢٩١) مَرَّ ذِكْرُهُ فِي الشَّبَهَةِ الْأُولَى.

الشَّبَهَةُ الْثَالِثَةُ

إِذَا كَانَ الْحَشْرُ بِجَمِيعِ الْأَجْزَاءِ

إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا حَشَرَ بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ بَدْنِهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ رَبِّمَا كَانَ كَجَبْلِ أَحَدٍ مَثَلًا، وَإِذَا حَشَرَ بَدْنَهُ أَجْزَاءَ دُونَ أَجْزَاءِ، فَأَيْنَ حَقُّ ذَلِكَ الْأَجْزَاءِ مِنَ الْبَدْنِ غَيْرُ الْحَشُورِ فِي الثَّوَابِ؟ وَمَاذَا تَرَكَ عَقَابَهُ دُونَ غَيْرِهِ؟

وَهَكُذا فِي أَصْلِ الْبَدْنِ حِيثُ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءَ بِتَبَدِّلِهِ كُلَّ سَبْعِ سَنَوَاتٍ تَدْرِيْجًا. وَالْحَوَابُ: إِنَّهُ يَحْشِرُ الْجَامِعَ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ أَوْ أَحَدَ تَلْكَ الْأَبْدَانِ بِمَا يَحْتَوِي عَلَى مَا لَا يَتَغَيَّرُ مِنْهُ مِنَ النَّوَاهِي الْأَصْلِيَّةِ، وَالثَّوَابُ وَالْعَقَابُ لِيُسَمِّي لِلْجَسْمِ بِمَا لَهُ مِنَ الْمُخْصُوصَيَّاتِ بَلْ لَهُ بِمَا هُوَ هُوَ وَلِلرُّوحِ أَيْضًا الَّذِي هُوَ فِي دَاخِلِ هَذَا الْجَسْمِ، وَالرُّوحُ لِيُسَمِّي مِثْلَ الْبَدْنِ.

مِنْ عَوَارِضِ الْجَسْمِ فِي الْآخِرَةِ

هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ يَظْهُرُ مِنْ بَعْضِ الْرَوَايَاتِ أَنَّ جَسْمَ الْبَشَرِ هُنَاكَ يَكُونُ كَبِيرًا جَدًّا، كَمَا وَرَدَ^(٢٩٢) فِي أَنَّ أَسْنَانَ بَعْضِ الْمُجْرِمِينَ كُلَّ سَنٍ مِنْهَا يَصْبَحُ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ، وَكَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ حِيثُ أَنَّ الْحُوَرَ الْعَيْنَ الَّتِي تَهْدِي إِلَيْهِ تَكُونُ كَبِيرَةً جَدًّا، هَذَا وَيَحْتَمِلُ أَنَّ يَكُونَ الْمَرَادُ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْرَوَايَاتِ أَنَّهَا مِنْ بَابِ تَشْبِيهِ الْمَعْقُولَ بِالْمَحْسُوسِ أَوْ مَا أَشْبَهُ، فَإِنَّ نَعْمَ الْآخِرَةِ (مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) كَمَا فِي الْحَدِيثِ^(٢٩٣).. وَهَكُذا بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَذَابِهَا، وَذَلِكَ لِيُذْوَقَ الْمُجْرِمُ أَشَدَّ الْعَذَابِ مَا يَقْتَضِيهِ

^(٢٩٢) راجع بحار الأنوار: ج ٧ ص ٥٠ ب ٣١ ح ٣١ وَفِيهِ: (إِنَّهُ قَالَ: يَحْشِرُ الْمُتَكَبِّرُونَ كَأَمْثَالِ النَّزَرِ، وَانْ ضَرِسَ الْكَافِرُ مِثْلُ أَحَدٍ).

^(٢٩٣) راجع بحار الأنوار: ج ٨ ص ٩٢ ب ٢٣ وَفِيهِ: (عَنِ النَّبِيِّ (ص) أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَعَدَّتْ لِعَبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ).

عمله، وليدوّق المؤمن أكبر اللذات فضلاً من الله. كما أنه يستفاد من الروايات أن الإنسان قد يكون له في الآخرة أكثر من وجود، وربما آلفه، ومثلكناه سابقاً بصوت الإذاعة وصورة التلفزة، وما أشبه ذلك، وهكذا بالنسبة إلى أعضاء الإنسان حيث تتفرق، كما يظهر من رواية أمير المؤمنين علي(ع) في يد الناكثين التي تكون في قلعة حصينة للعذاب^(٢٩٤).

المعاد الجسماني

والحاصل: إن عود البدن حيّاً في القيامة بجميع أجزائه المتفرقة، المحفوظة عند الله سبحانه وتعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء^(٢٩٥)، والائمها وتشكلها بالشكل الذي كان عليه في الدنيا ممكناً بل واقع، سواءً كبيراً تعظيماً أو صغيراً تصغيراً تحقيراً أو لا، وقد ورد^(٢٩٦) أن المتكبرين يحشرون في صورة الذر في يوم القيامة. وربما يصور الجسم بصورة قبيحة كالخنزير، أو حسنة كأجمل ما يكون كما في الروايات^(٢٩٧)، فلوج الروح الحية فيه كما كانت عليه في الدنيا، وحشره للحساب والثواب

^(٢٩٤) راجع بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٠٧ ب ١٥ ح ٦ وفيه: (عن أمير المؤمنين عـ - إلى أن قال -: وإن في النار لمدينة يقال لها الحصينة أفلأ تسألوني ما فيها؟ فقيل: وما فيها يا أمير المؤمنين؟ فقال: فيها أيدي الناكثين).

^(٢٩٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلِي وَرَبِّنَا لَتَاتِينَكُمْ عَالَمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزِبُ عَنْهُ مَثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ سورة سبا: ٣.

^(٢٩٦) راجع بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ١٣١ ب ٢٩ ح ١٦١ وفيه: (قال رسول الله (ص): يحشر المتكبرون في صورة الذر يوم القيمة).

^(٢٩٧) وفي بحار الأنوار: ج ٧ ص ٨٩ ب ٥، عن معاذ قال: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ الآيات، فقال(ص): يا معاذ، سأله عن عظيم من الأمر، ثم

والعقاب حزاءً بما عمل في أولاه، ممكناً غاية الإمكان، وقد وقع نظيره لإبراهيم (ع) في قصة الطيور وما أشبهه كما سبق^(٢٩٨)، وقد أخبر الصادق عز وجل بوقوعه^(٢٩٩) فلا بدّ من تصديقه.

ولم يراد بالصادق ليس الصادق قوله، بل عملاً أيضاً فهو لا يشتبه ولا ينسى ولا يخطأ، سبحانه تعالى.

فلا يقال: إنّ قول ابن سينا: إن الصادق أخبر بوقوعه مردود عليه بأنّ الصادق قد يشتبه أو ينسى أو ما أشبه ذلك.

فالمراد به: الصادق الذي لا يخطأ لاعمدأ ولا غير عمد، لا الصادق بمحرّد صدقه على بعض معاني الصدق، كما يظهر ذلك من القراءن، هذا بالإضافة إلى ما ورد من الأدلة القطعية المذكورة في علم الكلام.

أرسل عينيه، ثم قال: تحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله تعالى من المسلمين وبدل صورهم، فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير...).

وفي الكافي: ج ٢ ص ١٢٦ ح ٧ عن أبي جعفر ع قال: (قال رسول الله (ص) : المتحابون في الله يوم القيمة على أرض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين، وجوههم أشد بياضاً وأضواً من الشمس الطالعة يغبطهم هنزلتهم كل ملك مقرب وكلنبي مرسلاً، يقول الناس: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله).

^(٢٩٨) وقد سبق ذكر نظائرها في مبحث الشبهة الأولى.

^(٢٩٩) أي بوقع المعاد الجسماني.

الشبيهة الرابعة

شبيهة الآكل والماكول

من المعروف قديماً شبيهة الآكل والماكول، وقد قال الحاج السبزواري: (يعرفها أعاذه الفحول) ^(٣٠٠).

وبيانها بعض المصاديق: إنه لو اتفق أكل أحد الإنسانين ميته الآخر مجاعهً أو نحوها، ثم صار جزءاً منه بسبب الانحلال في جسمه، فلو كان المعاد في القيمة بالأبدان أيضاً، كيف تكون الإعادة؟

وكيف يكون الجزاء لو دخل أحدهما الجنة والآخر النار؟
أو إذا كانا في درجات مختلفة من أحدهما، أو نفس الدرجة؟ فتأمل.

والجواب: إن المراد بالإعادة كل فرد من الإنسان في القيمة بروحه وبدنه الخاص به الذي به شخصيته في الدنيا، وبه أطاع الله أو عصاه طول عمره، وهو البدن الواحد بالوحدة الشخصية الباقية من أول خلقته إلى آخر حياته الدنيوية، لا الأجزاء الحاصلة بالتغذية زيادة أو نقيصة فإنها غير دخيلة في الوحدة الشخصية، كما أن في العقوبات الدنيوية أيضاً كذلك، ولا تعتبر العوارض الطارئة على الجسد كالسمن والهزال.

ومن الواضح: إن لكل روح بدنًا خصه الله تعالى به، فلا مجال يكون ذلك البدن محفوظاً من أول عمره كما أن لكل بدن روحًا، وهذا ما أشارت إليه الروايات:

فقد روى عمّار بن موسى عن الإمام الصادق (ع) قال: «سئل عن الميت ييلى جسده؟ قال: نعم، حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها، فإنها لا تبلى، تبقى في القبر

(٣٠٠) غرر الفرائد (قسم الحكم من شرح المنظومة للسبزواري: ج ٢) وفيه: (وشبيه الآكل والماكول يعرفها أعاذه الفحول).

مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة»^(٣٠١).

وربما كان بقاوئها مستديرة لأنهم ذكروا أن الاستدارة هي الشكل الطبيعي للأشياء . إذا لم يكن هناك قاسر . فإنها تكون واقع كل شيء، بينما غيرها كالمربع والمخمس وما أشبه ذلك إنما تكون بالقاسر القاسي، سواء كان القسر اختيارياً، ككسر الله سبحانه وتعالى الأرض على التفريط، أو غير اختياري في السبب المباشر مثل قسر حبات البرد على أشكال مختلفة، وأحياناً تصل الأشكال إلى العشرات أو أكثر بكثير، كما ذكره علماء الغرب في تحقيقاتهم حول البرد.

والحاصل: إن ضرورة الأديان دلت على إعادة الأجزاء الأصلية الباقية من أول خلقتها إلى آخرها، المحفوظ كل فرد منها من أن يصير بدنًا أصلياً لفرد آخر من الأرواح، ولا يضرّ بما ذكرناه الزيادة والنقيصة والتبدل في بعض الأجزاء العرضية التي قد تكون بمنزلة الآلات والأدوات ليتمكن الإنسان من الأفعال ويدرك بها اللذائذ والآلام.

^(٣٠١) الكافي: ج ٣ ص ٢٥١ ح ٧.

الشَّيْهَةُ الْخَامْسَةُ

لَا حَاجَةُ لِلْجَسْدِ

إِنَّ الرُّوحَ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْأَدْوَاتِ أَوِ الْآلاتِ كَمَا فِي هَذِهِ النَّشَأَةِ^(٣٠٢)، فَلِمَاذَا دُخُولُ الرُّوحِ فِي الْجَسْدِ أَيْضًاً بَعْدَ إِعَادَتِهِ؟.

وَالْجَوَابُ: إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِإِشْكَالٍ إِذَا لَيْلَمْ مِنْهُ خَلْفٌ أَوْ مَا أَشْبَهُ بَلْ هُوَ سُؤَالٌ عَنْ خَصْوَصِيَّةِ مِنْ خَصْوَصِيَّاتِ الْحَشْرِ وَمَا بَعْدِهِ، وَالْخَصْوَصِيَّاتُ الْمُجْهُوْلَةُ لَنَا إِلَى مَا لَا تَعْدُ وَلَا تَحْصِي.

وَيَمْكُنُ أَنْ تَكُونَ الْحَكْمَةُ فِيهِ هِيَ الْجَمَالُ، حَتَّى يَظْهُرَ كُونَهُ ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٣٠٣).

كَمَا قَالُوا مُثْلُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَ: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًاً يُوَارِي سُوَاتِكُمْ وَرِيشًاً وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(٣٠٤)، إِذَا لَا حَاجَةٌ إِلَى هَذَا التَّنْوِعِ، حِيثُ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِجَسْدِهِ يَلْبِسُ مُخْتَلِفَ الْمَلَابِسِ، وَالتَّنْوِعُ يَوْجِبُ الْجَمَالَ فِي الْإِنْسَانِ وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ فِي نَوْعِ الْإِنْسَانِ بِحِيثُ تَعْدَدَتْ مَصَادِيقُهُ بَلْ حَتَّى فِي الْفَرْدِ الْوَاحِدِ فَإِنَّهُ يَلْبِسُ تَارَةً أَبْيَضَ وَأَخْرَى أَخْضَرَ وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ بِخَيَاطَاتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ.

^(٣٠٢) هَذَا تَشْبِيهٌ لِلْمَنْفِي لَا النَّفِيِّ، كَمَا لَا يَخْفَى.

^(٣٠٣) سُورَةُ (الْمُؤْمِنُونَ): ١٤.

^(٣٠٤) سُورَةُ الْأَعْرَافَ: ٢٦.

الشَّيْهَةُ السَّادِسَةُ

قَابِلِيَّةُ الْأَرْضِ

إِنَّ الْأَرْضَ لَا يَمْكُنُ لَهَا إِيجَادُ هَذِهِ الْكُثْرَةِ مِنَ الْأَجْسَادِ الَّتِي تَتَجَاهُزُ الْمَلِيَّارَاتِ مِنْ أَوَّلِ الْخَلْقَةِ إِلَى قِيَامِ الْقِيَامَةِ، فَكَيْفَ يَصْنَعُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ جَسْدًا؟ إِنَّمَا أَنْتَ قَابِلِيَّةُ الْأَرْضِ بِمَقْدَارِ أَلْفِ مَلِيَّارٍ إِنْسَانٍ فَرِضًا، بَيْنَمَا الْأَفْرَادُ مِنْ أَوَّلِ الْخَلْقَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ فِي حِتَاجَوْنَ إِلَى أَلْفِيِّ مَلِيَّارٍ بَدْنٍ مَثَلًاً.

وَالْجَوابُ:

أَوَّلًا: إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِثَابِتٍ، فَمَنْ هُوَ الَّذِي عَدَّهُ؟ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نَعِيْدُكُمْ وَمِنْهَا نَخْرُجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٣٠٥) فَلِكُلِّمَةِ (مِنْ) . فِي صُدُرِ الْآيَةِ وَآخِرِهَا . دَلَالَاتٌ كَمَا لَا يَخْفَى.

وَثَانِيًّا: إِنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ الْمَوَازِنَةِ وَالْتَّعْدَادِ وَتَسْلِيمِ ظَهُورِ نَقْصِ الْأَرْضِ عَنِ الْأَبْدَانِ الْمُتَحَاجِةِ إِلَيْهَا، يَقَالُ بِمَا ذَكَرَ سَابِقًا^(٣٠٦) مِنَ الْخَلْقَةِ الْأَصْلِيَّةِ وَالْزَوَائِدِ وَمَا وَرَدَ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ (عُمَارِ بْنِ مُوسَى)^(٣٠٧)، فَمَا هُوَ الْمَانِعُ بَعْدَ خَلْقِ الْجَسَدِ الْأَصْلِيِّ مِنْ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْزَوَائِدَ، حِيثُ الرُّوحُ هُوَ الرُّوحُ الْأَصْلِيُّ وَالْطِينَةُ نَفْسُهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْخَلْقَةِ الْأَصْلِيَّةِ كَصُورَةِ النَّذْرِ أَيْضًا؟

وَعَلَى أَيِّ حَالٍ، فَهَذِهِ الشَّبَهَاتُ شَبَهَاتٌ فِي قِبَالِ الْبَدِيهَةِ الْعُقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقًا الدَّلِيلَ الْعُقْلِيَّ عَلَى لَزُومِ حَشْرِ الْإِنْسَانِ، أَمَّا خَصْوَصِيَّاتُ الْقَبْرِ وَالْمَحْشَرِ وَالصَّرَاطِ وَالْجَحِيمِ وَالنَّارِ وَمَا أَشْبَهُ فَإِنَّهَا كُلُّهَا سَمْعِيَّةُ أَخْبَرِ الصَّادِقِ بِهَا فَيُلْزِمُ تَصْدِيقَهُ، وَقَدْ سَبَقَ مَعْنَى الصَّادِقِ^(٣٠٨) فَلَا يَرِدُ إِلَيْهِ الشَّكَالُ عَلَيْهِ.

^(٣٠٥) سُورَةُ طَهِ: ٥٥.

^(٣٠٦) عِنْدَ ذِكْرِ الشَّيْهَةِ الْرَّابِعَةِ: شَيْهَةُ الْأَكْلِ وَالْمَأْكُولِ.

^(٣٠٧) الْكَافِيُّ: ج ٣ ص ٢٥١ ح ٧، (سَبَقَ ذِكْرَهَا فِي الشَّيْهَةِ الْرَّابِعَةِ).

^(٣٠٨) سَبَقَ ذِكْرَهُ عِنْدَ إِلْجَاهَةِ عَلَى الشَّيْهَةِ الْثَالِثَةِ.

استطراد

وهنا سؤال غير مرتبط بالمعاد الجسماني لكن لا بأس بإيراده في هذا الباب لبعض الترابط بينه وبين الم Shr، وهو: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر في حديثه لم يستجب دعاء الإنسان ولم يرجعه إلى الحياة الثانية حيث يقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونَ﴾ لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ فيحاب به: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلْمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرَأَهُمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبَعْثَوْنَ﴾^(٣٠٩).
والجواب: إن الله سبحانه وتعالى يعلم بامتناع ظرف هذا الإنسان خيراً أو شرّاً بعد مضي فترة الامتحان، فلا فائدة في الإعادة إلا التكرار غير الحكيم^(٣١٠).
وهكذا يقال بالنسبة إلى عدم كون ما بعد الموت ظرفاً للامتحان إلا لمن مات قاصراً،
كما ورد في الروايات.

^(٣٠٩) سورة المؤمنون: ٩٩ و ١٠٠.

^(٣١٠) ولا يخفى أن الاستثناء في كلام المؤلف (دام ظله) منقطع لا متصل.

شبهتان في الخلود

مسألة : إن جماعة من الحكماء ذكروا إشكالين آخرين على الخلود، وزعموا بأن ذلك يمنع المعاد الجسماني واعتبروه شبهة عليه:

بين العدالة والخلود

الإشكال الأول: قالوا: كيف يمكن دوام النار مع أن العقل يدل على أنه خلاف العدالة، إذ السيئة تجزى بمثلها لا أكثر، والشرع قد صدق ذلك كما في الآيات المتعددة: قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣١١) وقال سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مُّثْلَهَا﴾^(٣١٢).

إذن لابد أن تصبح النار . ولو بعد حين . بردًا وسلامًا، والكفار وإن كانوا مخلدين إلى ما لا نهاية له فيها، لكن عذابهم لابد له من الانقطاع والزوال، فتصبح النار عليهم بردًا وسلامًا بعد ذلك، فقد قال ابن العربي في (الفص اليونسي):
(وَمَا أَهْلُ النَّارِ فَمَا هُمْ إِلَى النَّعِيمِ وَلَكُنْ فِي النَّارِ، إِذْ لَابْدُ لِصُورَةِ النَّارِ بَعْدِ اِنْتِهَاءِ مَدَّةِ الْعَذَابِ أَنْ تَكُونَ بِرْدًا وَسَلَامًا عَلَى مَنْ فِيهَا، فَنَعِيمُ أَهْلِ النَّارِ بَعْدِ اسْتِيَافِهِ الْحَقُوقِ نَعِيمٌ إِبْرَاهِيمٌ (ع) حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَ: الشَّنَاءُ بِصَدْقِ الْوَعْدِ لَا بِصَدْقِ الْوَعِيدِ، وَالْحَضْرَةُ إِلَهِيَّةٌ تَطْلُبُ الشَّنَاءَ الْمُحْمُودُ بِالذَّاتِ فَيُشَنَّى عَلَيْهَا بِصَدْقِ الْوَعْدِ لَا بِصَدْقِ الْوَعِيدِ بَلْ بِالْتَّحَاوُزِ، وَقَدْ قَالَ سَبَّاحَهُ: ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعْدَهُ رَسُلُهُ﴾^(٣١٣) وَلَمْ يَقُلْ «وَعِيَدَهُ» بَلْ قَالَ: ﴿وَنَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾^(٣١٤) مَعَ أَنَّهُ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ وَصَرَّحَ بِهِ، وَلَابْدُ مِنْ حُكْمِ الرَّحْمَةِ عَلَى

^(٣١١) سورة التحريم: ٧.

^(٣١٢) سورة الشورى: ٤٠.

^(٣١٣) سورة إبراهيم: ٤٧.

^(٣١٤) سورة الأحقاف: ١٦.

الجميع أئي أهل الجنة والنار، ولا يلزم ممّن كان من أهل النار الذين يعمرونها أن يكونوا معدّين بها، فإنّ أهلها وعّمارها وخزنتها وهم ملائكة، وما فيها من الحشرات والحيّات وغير ذلك من الحيوانات التي تبعث يوم القيمة ولا واحدة منها يكون النار عليه عذاباً، كذلك من يبقى فيها لا يموتون فيها ولا يحيون، وكل من ألف موطنه كان به مسروراً وأشد العذاب مفارقة الوطن، ولو فارق النار أهلها لتعذّبوا بافتراهم عما أفوه، فإنّ الله قد خلقهم على نشأتين تألف ذلك الوطن، وقد سبقت الرحمة الغضب، ووسع كل شيء جهنم ومن فيها، والله أرحم الراحمين، وقد قال سبحانه: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣١٥) ولا يشكّ إنه أرحم بخلقه، فكيف يسرم العذاب عليهم؟ وقد قام الدليل العقلي على أنّ الباري تعالى لا تنفعه الطاعات ولا تضرّه المخالفات، وأنّ كلّ شيء حارٍ بقضاءه وحكمه، وأنّ الخلق مجبورون باختيارهم، انتهى.

إلى غير ذلك من كلماته المترفرفة في مختلف فصوصه، وقد تبعه في ذلك القيصري والكاشي والشيرازي^(٣١٦) والكاشاني، منهم ومنا.

واستدلّ بعضهم على ذلك: بأنّ السمندر يعيش في النار وهو طائر في الدنيا يلتذ بها، فكيف لا يكون كذلك أهل النار في الآخرة؟.

واستدلّ بعضهم: بما رواه البغوي في (معالم التنزيل) عن ابن مسعود قال: (ليأتينّ على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً، وأنه ينبع في قعر جهنّم الجرجير، وحينذاك يتبدل العذاب رحمةً وبرداً وسلاماً).

لكن لا يخفى ضعف هذا الدليل، وقد تقدّمت^(٣١٧) الإشارة إلى أنّ أهل النار ربّما لا يحسّون بالعذاب أحياناً، لأنّهم سكارى كما قال سبحانه: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سَكَارِي وَمَا هُمْ بَسَكَارِي﴾^(٣١٨) فإنّ السكران لا يحسّ بكثير من العذاب فتأمل، وأنّهم عميان كما قال

^(٣١٥) سورة يوسف: ٩٢.

^(٣١٦) الملا صدرا الشيرازي.

^(٣١٧) تقدّمت في مسألة (بحث في العقاب) ص ٦١.

^(٣١٨) سورة الحج: ٢.

تعالى: ﴿ونحشره يوم القيمة أعمى﴾^(٣١٩) والأعمى لا يحس بالعذاب الذي يأتيه من ناحية البصر، ولأنهم أصم فلا يحسون بالعذاب الذي يأتيهم من أسماعهم كما قال سبحانه: ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾^(٣٢٠).

فقد يمكن القول . لو سلمنا ذلك . بأنّ قدر ما يحسون هو بقدر السيئة موزعاً على دوام بقائهم في النار، قال تعالى: ﴿جزاء سيئة سيئة﴾^(٣٢١) وقال سبحانه: ﴿تجزون ما كنتم تعملون﴾^(٣٢٢) وما أشبه ذلك.

هذا بالإضافة إلى احتمال اختلاف دركات جهنم بالنسبة إلى المذنبين .
أما (رواية الجرجير) التي مرت، فهي مرسلة مقطوعة غير مروية في كتب الخاصة إطلاقاً، ولا في الصحاح من كتب العامة، بل في الروايات ردّها.

وفقد روی عن الكافی بسنده عن موفق مولی أبي الحسن الكاظم (ع) قال: (كان مولاي أبو الحسن (ع) إذا أمر بشراء البقل يأمرني بالإكثار منه ومن الجرجير، فيشتري له، وكان يقول (ع): ما أحمق بعض الناس! يقولون: إنه ينبت في واد في جهنم، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾^(٣٢٣) فكيف تنبت البقل)^(٣٢٤)؟.

وروى حمران قال: «قلت لأبي عبد الله (ع): انه بلغنا أنه يأتي على جهنم حين يصطفق أبوابها، فقال: لا والله إنه الخلود، قلت: ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾^(٣٢٥) فقال: هذه في الذين يخرجون من النار»^(٣٢٦).

(٣١٩) سورة طه: ١٢٤ .

(٣٢٠) سورة الأنبياء: ١٠٠ .

(٣٢١) سورة الشورى: ٤٠ .

(٣٢٢) سورة التحریم: ٧ .

(٣٢٣) سورة البقرة: ٢٤ .

(٣٢٤) الكافی: ج ٦ ص ٣٦٨ ح ٤، والمحاسن: ص ٥١٨ ب ٩٧ ح ٧١٩ .

(٣٢٥) سورة هود: ١٠٧ .

(٣٢٦) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٤٦ ب ٢٦ ح ٣ .

واصطفاق الأبواب كنایة عن خلوّها من الناس، وهو ردّ على من ذكر ذلك.
أما أن الاستدلال بـ ﴿لَا بَشِّئُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾^(٣٢٧)، حيث ظاهر الآية أن بعد الأحقارب
لا لبث، فيردّ عليه: إن إثبات الشيء لا ينفي ما عدّاه، فلهذا ذكر جماعة من المفسرين^(٣٢٨):
كَلَّمَا مَضَى حَقْبٌ جَاءَ بَعْدَهُ حَقْبٌ آخَرٌ إِلَى أَبْدِ الْأَبْدِينَ، فَلَيْسَ لِلْأَحْقَابِ عَدَّةٌ وَلَا مَدَّةٌ إِلَّا
الْخَلْوَدُ فِي النَّارِ.. كما يحتمل ذلك بالنسبة إلى البعض فقط..

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّفَاصِيلِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي تَفْسِيرِنَا الْمُوْضُوعِيِّ.^(٣٢٩)
هذا بالإضافة إلى وجود آيات وروايات متکاثرة تدلّ على الدوام مثل قوله سبحانه: ﴿
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣٣٠) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ^(٣٣٠).
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ﴾^(٣٣١) خالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ^(٣٣١).
وَقَالَ سَبَّحَنَهُ: ﴿خالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظَرُونَ﴾^(٣٣٢).
وَقَالَ عَزُوجُلُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سُوفَ نَصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا نَضَجَتْ جَلُودُهُمْ
بِدُلُنَاهُمْ جَلُودًا غَيْرُهَا لِيُذْوَقُوا الْعَذَابَ﴾^(٣٣٣).
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَحْسِنُهُمْ بِمِفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣٣٤).

وَقَالَ سَبَّحَنَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلُهُ مَعَهُ لَيَفْتَدِيُوْا
بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣٣٤) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ

^(٣٢٧) سورة النبأ: ٢٣.

^(٣٢٨) راجع بحار الأنوار: ج ٨ ص ٢٧٥ ب ٢٤.

^(٣٢٩) يقع هذا التفسير في عدة مجلدات، وهو مخطوط.

^(٣٣٠) سورة البقرة: ٨٥ و ٨٦.

^(٣٣١) سورة البقرة: ١٦١ و ١٦٢.

^(٣٣٢) سورة آل عمران: ٨٨.

^(٣٣٣) سورة النساء: ٥٦.

^(٣٣٤) سورة آل عمران: ١٨٨.

وَمَا هُم بِخَارِجٍ مِّنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ^(٣٣٥).

وقال عزوجل: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظَرُونَ﴾^(٣٣٦).

وقال تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كَلَّمَا خَبَتْ زَدَنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٣٣٧).

وقال سبحانه: ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غُمَّ أَعْيَدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٣٣٨).

وقال تعالى: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخَلْدِ بِمَا كَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣٣٩).

وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارِ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعْيَدُوا فِيهَا﴾^(٣٤٠).

وأما الروايات التي تدل على الخلود والدوام:

فعن أبي هاشم قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن الخلود في الجنة والنار، قال: (إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا لو خلدو فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا لو بقوا أن يطعووا الله أبداً ما بقوا، فالنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلٍ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾^(٣٤١) قال: على نيته^(٣٤٢).

وقال رسول الله ﷺ: (يا معاشر المسلمين إياكم والرذى فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا فإنه يذهب بالبهاء ويورث الفقر وينقص العمر، وأما التي في الآخرة فإنه يوجب سخط رب وسوء الحساب والخلود في النار، ثم قال النبي

^(٣٣٥) سورة المائدة: ٣٦ و ٣٧.

^(٣٣٦) سورة النحل: ٨٥.

^(٣٣٧) سورة الإسراء: ٩٧.

^(٣٣٨) سورة الحج: ٢٢.

^(٣٣٩) سورة السجدة: ١٤.

^(٣٤٠) سورة السجدة: ٢٠.

^(٣٤١) سورة الإسراء: ٨٤.

^(٣٤٢) علل الشرائع: ص ٥٢٣.

عَنْهُ : سولت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون)^(٣٤٣).

وقال أبو الحسن الماضي : إن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا الناس إلى ولاية علي (ع) ليس إلا، فاتهموه وخرجوا من عنده فأنزل الله : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشْدًا ﴾ قل إني لن يجيرني من الله ﴿ إِنْ عَصَيْتَهُ ﴾ أحد ولن أجده من دونه ملتحداً ﴿ إِلَّا بِلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ ﴾ في علي ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في ولاية علي ﴿ فَإِنْ لَهُ نَارٌ جَهَنَّمُ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا ﴾)^(٣٤٤) (٣٤٥).

وقال رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : (اختاروا الجنة على النار ولا تبطلوا أعمالكم فتقذفوا في النار منكسين خالدين فيها))^(٣٤٦).

فعلى هذا، فكل من العقل والنقل لا يدل على ما ذكره هؤلاء، بل مقتضى القاعدة ما ذكرناه من الدوام، لكن الجزء بقدر العمل موزعاً على هذا الدوام الأبدى، وفيما عداه يكونون كما ذكرته الآيات إلا إذا اقتضى العمل ذلك.

هذا بالإضافة إلى أنها لا نعلم خصوصيات الآخرة إطلاقاً، وحتى كثير من الخصوصيات بالنسبة إلى الدنيا، فلماذا العذاب الذي يتلقاه الأطفال والصبيان والجانيين والمشائخ والعاجزين بسبب الزلازل والغرق والحرق والسائل والأمراض المختلفة، وهكذا إنزال مختلف أنواع العذاب على الأمم السالفة والقرون الماضية، فإنه وإن كان يمكن ذكر بعض الحكم فيها، لكن الإحاطة بها لا يعرفها إلا الخيط بكل شيء عز وجل، قال سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مَحِيطٌ ﴾)^(٣٤٧).

رفع اليد عن الضروريات بسبب هذه الشبهات غير صحيح إطلاقاً بالإضافة إلى أنها اجتهاد في مقابل النص.

وما ذكرناه من التوزيع على أيام الأبد صرف إبداء الاحتمال لبعض الظواهر التي

(٣٤٣) الخصال: ص ٣٢٠.

(٣٤٤) سورة الجن: ٢١. ٢٣.

(٣٤٥) المناقب: ج ٢ ص ٣٩.

(٣٤٦) صحيفة الرضا لـ : ص ٦٢.

(٣٤٧) سورة البروج: ٢٠.

ذكرناها، والله ورسوله وأمناؤه أعلم بحقيقة الحال.

بين الخلود في الجنة وبرهان التسلسل

الإشكال الثاني: إنهم قالوا: كيف يمكن دوام الجنة مع أن ما لا آخر له مثل ما لا أول له، إذ برهان التسلسل الذي يأتي في الأول يأتي في الآخر أيضاً، مثل تطبيق حبلين، ففي الأول يأتي البرهان بالنسبة إلى العلل والمعا ليل، وفي الآخر يأتي بالنسبة إلى سلسلتين، مثلاً سلسلة في قصور الجنة وسلسلة في أهارها، فكيف يمكن ما لا آخر له من الرحمة أيضاً؟^{٣٤٨} والجواب: إن الاستناد إلى الله سبحانه وتعالى لا يدع مجالاً لهذا الإشكال وأمثاله، وبذلك ظهر الفرق بين سلسلة العلل والمعا ليل وبين السلسلتين المنتهيتين إلى الأبد.

لو سلمنا

ولو فرض صحة الاشكالين^(٣٤٨) لا يضر المعاد الجسماني نعيمًا وجحيمًا، وإنما يزعم تضليل مسألة فرعية وهي «الدوام» ولم يكن الكلام بين الإلهيين والماهيين في هذا الفرع، وإنما في «أصل المعاد الجسماني نعيمًا أو جحيمًا»، والله العالم بحقائق الأمور.

تشبيه الإنسان

مسألة: للإنسان عقل وروح ونفس وجسم، فالجسم يمكن أن يكون بمنزلة جسد السيارة، والعقل بمنزلة السائق، مع فرق أن السائق يتمكن أن يعرف ذات اليمين وذات الشمال، لكن العقل لا يتمكّن إلا المداية إلى الطريق الصحيح، والنفس بمنزلة الماكنة

^(٣٤٨) إشكال الخلود في النار وإشكال الخلود في الجنة.

للسيارة، والروح بمنزلة الوقود.. وهذا التشبيه ببعض الاعتبارات ويمكن غير ذلك باعتبارات أخرى.

وقد ورد في الآيات والروايات حسن العقل وأنه يهدي إلى الحق والى صراط مستقيم، أما النفس فتارة خيرة وتارة شريرة، والروح دائماً منعوتة بالاحترام في الآيات والروايات فهي تعود الحياة.

وإليك جملة من الآيات وغيرها في هذه الأمور الأربع:

العقل

قد ورد من النصوص في العقل ما لا يسع المقام لإحصائه.. وجعل في بعضها أن من حنوده العلم، والعقل مختلف عن العلم، فعد العلم في عداد العقل غير تمام، فهو مثل عد المسبب في عداد السبب..

وقد حث القرآن والسنّة على التعقل، والإنكار على تركه وذم من لا يتعقل.
قال سبحانه: **﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقُلُونَ﴾**^(٣٤٩).

وقال تعالى: **﴿وَيَجْعَلُ الرَّجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقُلُونَ﴾**^(٣٥٠).

وقال عزوجل: **﴿فَيُشَرِّ عِبَادَهُ﴾** الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب^(٣٥١).

والألباب بمعنى العقول، إذ العقل لب الإنسان، كما أن لب الفواكه وما أشبه هو أفضليها.

وقال سبحانه: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَبْعَوْا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقُلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾**^(٣٥٢).

^(٣٤٩) سورة يس: ٦٢.

^(٣٥٠) سورة يونس: ١٠٠.

^(٣٥١) سورة الزمر: ١٧ و ١٨.

^(٣٥٢) سورة البقرة: ١٧٠.

وقال تعالى: ﴿إِن شَرَ الدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبَكُّمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣٥٣).

وعن رسول الله (ص) أنه قال: (استرشدوا العقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا)^(٣٥٤).

وقال (ص): (إِنَّمَا يَدْرِكُ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِالْعُقْلِ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عُقْلَ لَهُ)^(٣٥٥).

وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال: (حجّة الله على العباد النبي، والحجّة فيما بين العباد وبين الله العقل)^(٣٥٦)، والفرق بينهما أن العقل هو الذي يرشد إلى نبوة الأنبياء^١، فإذا أرشد العقل إلى نبوة نبي يكون النبي حجة بين الإنسان وبين الله.

وعن الإمام الصادق (ع) قال: (العقل دليل المؤمن)^(٣٥٧).

وعن أبي الحسن الرضا (ع): (حيث أجاب عن قول من قال: وما الحجة على الخلق اليوم؟ قال: العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه)^(٣٥٨).

وعن موسى بن جعفر \circ في وصيته لشمام: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ الْعُقْلِ وَالْفَهْمِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿َالَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ أَوْلَئِكَ هُمُ أَوْلُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣٥٩) - إلى أن قال (ع): - ثم ذم الدين لا يعقلون

فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْلُو كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٣٦٠) - إلى أن قال (ع): - إن الله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجّة باطنّة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقل -

^(٣٥٣) سورة الأنفال: ٢٢.

^(٣٥٤) بحار الأنوار: ج ١ ص ٩٦ ب ١ ح ٤١.

^(٣٥٥) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٦٠ ب ٧ ح ١.

^(٣٥٦) الكافي: ج ١ ص ٢٥ ح ٢٢.

^(٣٥٧) الكافي: ج ١ ص ٢٥ ح ٢٤.

^(٣٥٨) الكافي: ج ١ ص ٢٤ ح ٢٠.

^(٣٥٩) سورة الزمر: ١٧ و ١٨.

^(٣٦٠) سورة البقرة: ١٧٠.

إلى أن قال (ع) :- ولا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل) (٣٦١) الحديث .
وفي تفسير الإمام (ع) في قصة آدم وحواء: (فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحراها،

فأوحى الله إليها: إنما تدفعون بحراكم عن ما لا عقل له يزجر، وأما ما جعلته ممكناً ممِيزاً
مختاراً فكلاه إلى عقله الذي جعلته حجة عليه) (٣٦٢) .

وعن أمير المؤمنين (ع): (العقل أئمة الأفكار) (٣٦٣) أقول: لوضوح أن الفكر ينشأ من
العقل.

وعنه (ع): «العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج» (٣٦٤) كذا رواه في (مجمع
البحرين) .

إلى غير ذلك من الآيات والروايات التي تدل على حجية العقل وأن الله سبحانه وتعالى
به يشيد وبه يعاقب، كما وردت متعددة في البحار (٣٦٥) وغيره (٣٦٦) ، فتشكك بعضهم في
حجية العقل غير تام، والتفصيل مذكور في رسائل (٣٦٧) الشيخ المرتضى (قدس سره) وكما
بيّناه في (الوصائل) (٣٦٨) .

الروح

وقال سبحانه بالنسبة إلى الروح: ﴿ونفخت فيه من روحٍ﴾ (٣٦٩) فإنه نسبه إليه

(٣٦١) الكافي: ج ١ ص ١٣ ح ١٢.

(٣٦٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٩١ ب ٣ ح ٤٧.

(٣٦٣) بحار الأنوار: ج ١ ص ٩٦ ب ١ ح ٤٠.

(٣٦٤) مجمع البحرين: ج ٥ ص ٤٢٥ مادة (عقل).

(٣٦٥) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٦٤ ب ١٠ ح ١٠. البحار: ج ٤٧ ص ٣٩٦ ب ١٢ ح ١.

(٣٦٦) كما في الكافي: ج ١ ص ١٠ ح ١، وأيضاً: ص ١١ ح ٧، وأيضاً: ص ٢٧ ح ٣٢.

(٣٦٧) فرائد الأصول للشيخ الأعظم الانصاري.

(٣٦٨) الوسائل إلى الرسائل، يقع في ١٦ مجلداً وطبع منها ٥ مجلدات، وهو شرح على رسائل الشيخ
الانصاري.

(٣٦٩) سورة الحجر: ٢٩، وسورة ص: ٧٢ ..

سبحانه وتعالى احتراماً له، فهو مثل «بيت الله»^(٣٧٠) و«ناقة الله»^(٣٧١) وما أشبه ذلك، وإلا فكل مخلوق حسناً أو غير حسن فهو منسوب إلى الله سبحانه وتعالى، لوضوح أن الأنبياء من الله والأشرار من الله أيضاً، أي ان الله خلقهم.

النفس

أَمَا النَّفْسُ فَتَارَةً تَمْدُحُ وَتَارَةً تَذَمُّ، كَمَا قَالَ سَبِّحَانَهُ: ﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا﴾ فَأَلْهَمَهَا فَجُورُهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٣٧٢)، فَهِيَ نَفْسٌ مُّتَقْيَةٌ وَنَفْسٌ فَاجِرَةٌ.

الجسم

والجسم واضح: إنه آلة لهذه الأمور.

فمن رَجَحَ عَقْلُهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالْجَنَّةِ، وَمَنْ رَجَحَ هُوَ وَنَفْسُهُ الشَّرِيرَةُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالْجَحَبِ.

بين الروح والنفس

لكن يظهر من بعض الروايات، أنه يطلق الروح على النفس ويطلق النفس على الروح أيضاً كما سبق، فإذا تقابلَا كانا كما ذكرناه.

وما يدل على إثنينية الروح والنفس:

ما روي عن أمير المؤمنين (ع) في جواب النصارى الذين سأله عن مسائل . إلى أن قالا ..ما الفرق بين الرؤية الصادقة والكاذبة ومعدنها واحد؟

فقال: (ع): (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الرُّوحَ وَجَعَلَ لَهَا سُلْطَانًا فَسُلْطَانُهَا النَّفْسُ، فَإِذَا نَامَ الْعَبْدُ خَرَجَ الرُّوحُ وَبَقَى سُلْطَانُهُ، فَيُمْرِرُ بِهِ جَيْلٌ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ وَجَيْلٌ مِّنَ الْجِنِّ، فَمَمَّا كَانَ مِنَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ فَمِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَمَّا كَانَ مِنَ الرُّؤْيَا الْكَاذِبَةِ

(٣٧٠) انظر سورة البقرة: ١٢٥، قال تعالى: ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِرَا بَيْتَنَا لِلظَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرَّكِعِ السَّجُودِ﴾.

^(٣٧١) سورة الأعراف: ٧٣. سورة هود: ٦٤. سورة الشمس: ١٣.

٣٧٢) سورة الشمس : ٨٦

فمن الجن) فأسلموا على يديه وقتلا معه^(٣٧٣) يوم صفين^(٣٧٤).

وما روي عن رسول الله (ص) كما في رواية تحف العقول: (إن العقل عقال من الجهل والنفس، مثل أحبث الدواب فإن لم تعقل حارت)^(٣٧٥). أقول: وجه الحيرة لأن النفس لا تعرف الطريق إلى كل واقع، فهي تبقى متحيرة.

وفي روایات أخرى دلالة على أن النفس حياد بين الأمرين، كما في الآية المتقدمة: **﴿فَأَلْهَمَهَا فِجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾**^(٣٧٦) حيث ورد في الأدعية: (من شرور أنفسنا)^(٣٧٧) وفي الدعاء المروي عن رسول الله (ص) حيث وصفه^(٣٧٨) بأنه أمان من الإنس والجن: (اللهم إني أعوذ بك من شرّ نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها)^(٣٧٩).

ثم إنه ذكر في بعض الروایات أرواح متعددة، كما في حديث كمیل عن أمیر المؤمنین(ع) في تعريف النفس وتعدادها، قال(ع): (يا كمیل، إنما هي أربعة: النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية الإلهية)^(٣٨٠).

^(٣٧٣) أي في ركبـه (عليه السلام).

^(٣٧٤) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٢٢٢ ب ٩٧ ح ٤.

^(٣٧٥) تحف العقول: ص ١٥.

^(٣٧٦) سورة الشمس: ٨.

^(٣٧٧) مصباح المتهجد: ص ٦٦٢ خطبة يوم الفطر.

^(٣٧٨) أي الدعاء

^(٣٧٩) مصباح الكفعمي: ص ٢٣ الفصل الخامس.

^(٣٨٠) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٨٣ ب ٤٢.

هل للعقل مراتب؟

- مسألة: ذكر جملة من الحكماء وال فلاسفة: إن العقل له مراتب أربع، وفيه ما سيأتي، والمراتب هي:
- ١: العقل الميولائي.
 - ٢: العقل بالملكة.
 - ٣: العقل بالفعل.
 - ٤: العقل المستفاد.

وتفصيلها: إن النفس لها مراتب أربع عبر عنها جميعاً بالعقل.

الأولى: ما يسمى بالعقل الميولائي، وهي قوّة استعداد انتزاع ماهيات الموجودات على النحو الكلي.

الثانية: أن تصل إلى مرتبة حصول هذا الاستعداد وفعاليتها فيه، ويعبر عن تلك المرتبة بـ (العقل بالملكة) أي حصلت له الملكة، أي حالة راسخة يقتدر بها على تصور المفاهيم الكلية.

الثالثة: أن تحصل لها تلك الأمور فعلاً، أي ترتسم فيها المفاهيم الكلية والاستنتاج والنظر فعلاً، سواء كانت حاضرة في النفس أي مشهودة لها أو لا، وبعد حصولها في النفس تحصل بأدئي التفاتات. وقال بعضهم: النفس حينئذ تكون عقلاً وعاقلاً ومعقولاً، ويعبر عن النفس في تلك المرتبة بـ (العقل بالفعل)، و(العقل النظري) عندهم وهو مقام فعلية وكمال للنفس باستخراج النظريات عن الضروريات، فإذا وصلت النفس إلى حدّ حصل لها استخراج النظريات من الضروريات في جميع المطالب نادراً أو في كثير منها غالباً، فإنه يعبر عنها بـ (العقل الفعلي) أو (العقل بالفعل)، وحكم العقل حينئذٍ ما يحصل له من النتيجة بسبب الاستخراج المذكور.

الرابعة: أن لا تحتاج في حصول تلك الصور الكلية وارتسامها في النفس إلى استنتاج

وفكـر بـنـزع وـتجـريـد بل تـفـاضـل عـلـيـهـا تـلـكـ الصـورـ الـكـلـيـةـ بـوـاسـطـةـ الـاتـصـالـ بـالـعـقـلـ الـفـعـالـ الـذـيـ هو مـخـزنـ تـلـكـ الصـورـ الـكـلـيـةـ لـاـ بـالـفـكـرـ وـالـتـجـريـدـ إـلـىـ آـخـرـ ماـ ذـكـرـوهـ.

النقاش في المراتب

فـفـيهـ . بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ الـخـلـطـ بـيـنـ الـعـقـلـ وـالـنـفـسـ . انـ هـذـهـ الـمـرـاتـبـ إـذـاـ لمـ تـرـجـعـ إـلـىـ بـعـضـ ماـ ذـكـرـ فـلـاـ دـلـيـلـ عـلـيـهـاـ مـنـ الشـرـعـ وـلـاـ الـعـقـلـ ..
وـبـمـاـ ذـكـرـنـاهـ سـابـقـاـ مـنـ أـنـ الـعـقـلـ شـيـءـ مـخـلـوقـ لـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ وـلـهـ جـنـوـدـ،ـ وـإـنـماـ نـعـرـفـ
بـآـثـارـهـ لـاـ بـحـقـيـقـتـهـ وـكـنـهـهـ،ـ بـلـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ غـالـبـ الـأـشـيـاءـ حـيـثـ لـاـ تـعـرـفـ بـحـقـيـقـتـهـاـ
وـكـنـهـهـاـ .

العقل والمراد منه

مسألة: يظهر أن ما ورد في جملة من الروايات من ذكر العقل وخصوصياته، إنما هي إشارة إلى اللوازم والملزمات واللازمات وما أشبه ذلك بقدر ما يصل إليه فهم الإنسان، لأن المذكورة حقيقة العقل المخفية إطلاقاً.

فعن النبي(ص): «إنه سُئلَ منه: ما خلق الله عزّ وجل العقل؟ قال: ... فإذا بلغ كشف ذلك الستر، فيقع في قلب هذا الإنسان نور فيفهم به الفريضة والسنة، والجيد والرديء، ألا ومثل العقل في القلب، كمثل السراج في وسط البيت»^(٣٨١).
والظاهر أن ليس المراد بالقلب هذا القلب الصنوبري، بل لعل المراد به النفس.

وعن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول الله (ص): «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ مِنْ نُورٍ خَزَنَهُ مَكْنُونًا فِي سَابِقِ عِلْمِهِ الَّذِي لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْهِ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلِكٌ مُقْرَبٌ، فَجَعَلَ الْعِلْمَ نَفْسَهُ وَالْفَهْمَ رُوحَهُ وَالْزَهْدَ رَأْسَهُ»^(٣٨٢).

وعن الإمام موسى بن جعفر (ع) في وصيته لشام: «إِنَّ ضَوْءَ الرُّوحِ الْعَقْلِ»^(٣٨٣).
وعن الإمام الصادق (ع): «خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءٍ: مِنَ الْعِلْمِ وَالْقَدْرَةِ وَالنُّورِ وَالْمَشِيَّةِ بِالْأَمْرِ، فَجَعَلَهُ قَائِمًا بِالْعِلْمِ دَائِمًا فِي الْمَلَكُوتِ»^(٣٨٤).

وعنه (ع) قال: «العقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم»^(٣٨٥).
وفي رواية أخرى عنه (ع) قال: «دَعَامَةُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ، وَمِنْ الْعَقْلِ الْفَطْنَةُ وَالْفَهْمُ وَالْحَفْظُ وَالْعِلْمُ، فَإِذَا كَانَ تَأْيِيدُ عَقْلِهِ مِنَ النُّورِ كَانَ عَالِمًا حَافِظًا زَكِيًّا فَطَنًا فَهَمًا، وَبِالْعَقْلِ

^(٣٨١) بحار الأنوار: ج ١ ص ٩٩ ب ٢ ح ١٤.

^(٣٨٢) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٠٧ ب ٤ ح ٣.

^(٣٨٣) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٥٣ ب ٤ ح ٣٠.

^(٣٨٤) بحار الأنوار: ج ١ ص ٩٨ ب ٢ ح ١٢.

^(٣٨٥) الكافي: ج ١ ص ٢٥ ح ٢٣.

يُكمل، وهو دليله وبصريه ومفتاح أمره»^(٣٨٦).

وما يدلّ على ما ذكرناه . من أنه المزايا والخصوصيات والخواص واللوازم واللازمات واللزمومات . اختلاف التعبير في الروايات، فتارة تقول: إنه من النور، وتارة إنه نور، وتارة إن مثله كمثل السراج، وتارة إنه خلق من العلم، وتارة إنه قائم بالعلم، وكذلك العبارات الأخرى، مثل: الفطنة والفهم والحفظ والعلم.

كما عَرَّفَ عن العلم بتعابير مختلفة:

ففي رواية البصري: «ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريده الله تبارك وتعالى أن يهديه»^(٣٨٧) ..

وذلك واضح، إذ العلم ليس بهذه المفاهيم التي تذكر وتدرس وتتلقى فقط، بل بالإضافة إلى ذلك انسياق كل ذلك مع سير الكون حسب تقرير الله سبحانه وتعالى للكون بأجزائه المختلفة، وهذا هو النور الذي يأتي إلى الإنسان من جانب السماء بالإضافة إلى دراسته العلم وفهمه له، وإلا فكل من درس الفقه جيداً صار عالماً بالفقه سواء كان مؤمناً أو ملحداً، والفرق بينهما: أن المؤمن يفهم كيفية انسياق الفقه مع سائر أجزاء الكون دنياً وآخرةً وغير ذلك، بينما الملحد لا يفهم ذلك، مثلهما مثل من يفهم^(٣٨٨) انسياق يد الإنسان مع جسمه وروحه أو ما أشبه، ومن لا يرى اليد إلا مبتورة وحدها بدون الانسياق.

^(٣٨٦) بحار الأنوار: ج ١ ص ٩٠ ب ١ ح ١٧.

^(٣٨٧) بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٢٥ ب ٧ ح ١٧.

^(٣٨٨) الظاهر أن المراد أعم من الفهم النظري والعملي.

هل العقل يحكم؟

مسألة: العقل مخلوق في الإنسان . كما قد عرفت . يرى الحسن حسناً والقبيح قبيحاً، وهناك خلاف في أنه هل العقل يحكم أو يرى؟ والذى لا نستبعده الاثنين، فهو يرى ويحكم، لا أنه يرى كالمراة فقط، أو يحكم كالأمر الذي يحكم بدون أن يرى .. وهذا ما نجده من أنفسنا، حيث نجد أن العقل يرى حسن شيء وقبح شيء آخر، ويحكم بأخذ الشيء والترك للشيء الآخر. وقد تقرر في أصول الفقه: «أنه كلّما حكم به العقل حكم به الشرع، وكلّما حكم به الشرع حكم به العقل»^(٣٨٩) بقانون الملازمة، فحكمه كحكم المولى الصادر إلى العبد ورؤيته كرؤيه المرأة إن صح التعبير.

العقل ودفائنه

وللعقل ذات لا نعرفها كما لا نعرف الأكثر الأكثر من الأشياء، وله آثار وخصوص. وكثير من الأشياء مدفون في العقل لا يجده الإنسان إلا إذا أثاره غيره، كما عن أمير المؤمنين (ع) قال في علة بعث الأنبياء : «ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويدركوهم منسيّ نعمته، ويحتاجوا عليهم بالتبليغ ويشروا لهم دفائن العقول»^(٣٩٠). ويشير إلى ذلك الرسول (ص) حيث يقول: «بالتليم أرسلت»^(٣٩١) كما في منية المريد. وقال (ص): «بعثت لأنتم مكارم الأخلاق»^(٣٩٢) كما في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ

^(٣٨٩) راجع (الأصول) و(الوصول إلى كفاية الأصول) و(الوسائل) للإمام المؤلف (دام ظله).

^(٣٩٠) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٦٠ ب ١ ح ٧٠.

^(٣٩١) منية المريد: ص ١٠٦ .

^(٣٩٢) مكارم الأخلاق: ص ٨ .

على خلق عظيم^(٣٩٣) في مجمع البيان وغيره^(٣٩٤).

الفطنة

مسألة: الفطنة وهي إدراك معالجة الأمور حتى تصل إلى ما يتواخاه الإنسان، ربما تكون من العقل، وربما تكون من غير العقل، فإن كان الادراك إلى الحق فهو من العقل، وإن كان إلى غيره فهو من الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

وفي رواية عن الإمام الصادق (ع)، قال الراوي «قلت له: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قال: قلت له: فالذى كان في معاوية؟ قال: تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليس بعقل»^(٣٩٥).

أقول: مثلاً اللص يعالج دخول البيوت للسرقة، فهل هذا يسمى عقلاً أو تعقلاً؟ كلاً.. وإنما هو اللاعقل، وشيء من الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، قوله (ع): «ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان» إن: أن من آثار العقل ذلك.

العقل في الروايات

وإلى كثير من خواص العقل ومزایاه وخصوصياته وآثاره وما أشبه يشير غير واحد من الروايات:

ففي رواية: «إذا تم العقل نقص الكلام»^(٣٩٦).

^(٣٩٣) سورة القلم: ٤.

^(٣٩٤) وراجع ايضاً: تفسير فرات الكوفي: ص ٣٣٣ ، ربما يكون المقصود أن إثارة دفائن العقول كانت بتعليمه (ص) وأخلاقه.

^(٣٩٥) معاني الأخبار: ص ٢٣٩.

^(٣٩٦) نهج البلاغة: قصار الحكم، رقم الحكم ٧١.

وفي رواية أخرى: «نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل»^(٣٩٧).

وفي رواية ثالثة: «ليس بين الإيمان وبين الكفر إلا قلة العقل، قيل: وكيف ذاك يابن رسول الله، قال: إن العبد يرفع رغبته إلى مخلوق، فلو أخلص نيته لله لأنّه الذي يريد في أسرع من ذلك»^(٣٩٨).

وفي رواية أخرى: (العقل غطاء ستير)^(٣٩٩).

وفي رواية: (لا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل، يعتقد أن يفهم ويدرك)^(٤٠٠).

وفي حديث: (فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا)^(٤٠١) ومعنى عقل عن الله، أي: عرف عنه.

وفي رواية: (اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير ورعاة قليل)^(٤٠٢).

وعن النبي (ص) قال: (قسم العقل على ثلاثة أجزاء، فمن كانت فيه كمل عقله، ومن لم تكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة بالله عزوجل، وحسن الطاعة له، وحسن البصيرة على أمره)^(٤٠٣).

وروي عنه (ص): (إنه متر بمحنون فقال: ماله؟ فقيل: إنه مجنون، فقال: بل هو مصاب، إنما المجنون من آثر الدنيا على الآخرة)^(٤٠٤).

^(٣٩٧) تحف العقول: ص ٣٩٧.

^(٣٩٨) الكافي: ج ١ ص ٢٨ ح ٣٣.

^(٣٩٩) الكافي: ج ١ ص ٢٠ ح ١٣.

^(٤٠٠) راجع وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٨ ب ٣ ح ٧، في حديث طويل عن أبي الحسن موسى بن جعفر^{عليه السلام} قال: (لا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم رباني).

^(٤٠١) نزهة النواذير وتنبيه الخواطير: ج ٢ ص ٣٤.

^(٤٠٢) نهج البلاغة: قصار الحكم ٩٨.

^(٤٠٣) الخصال: ص ١٠٢ ح ٥٨.

^(٤٠٤) روضة الوعاظين: ص ٤.

وعنه (ص): (قيل له: ما العقل؟ فقال: العقل العمل بطاعة الله، وإن العمال بطاعة الله هم العقلاء) ^(٤٠٥).

وفي رواية: سئل الحسن بن علي عن العقل؟ فقال: (التجرع للغصة ومداهنة الأعداء) ^(٤٠٦).

وعن الإمام الصادق (ع): (يعتبر عقل الرجل في ثلات: في طول حياته، وفي نقش خاتمه، وفي كنيته) ^(٤٠٧).

أقول: ومن الواضح أن الأعداد من باب المثال، وإلا فالظاهر انه لاختوصية لها، بل هي من المصاديق، وإنما يظهر العاقل في اتزانه بالنسبة إلى هذه الأمور الثلاثة وكثير من الأمور الأخرى، بينما غير العاقل لا يكون موزوناً في أي أمر.

وعنه (ص) قال: (إذا أردت أن تختبر عقل الرجل في مجلس واحد، فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون، فإن أنكره فهو عاقل، وإن صدّقه فهو أحمق) ^(٤٠٨).

ومن الواضح إن ذلك إذا لم يكن هناك محظوظ في الإنكار وعدمه، وإلا فالكثير لا شأن لهم في إنكار أمثالها للأئم والمهم أو ما أشبه وقد يكون ذلك لأن دأبهم السكوت فقط. وما ذكرناه في هذه الأحاديث وغيرها امور تظهر أو تعرف من الأحاديث الآخر ايضا.

وعن الإمام الصادق (ع) إنه قال: (لا يitsuع العاقل من حجر مرتين) ^(٤٠٩).

وفي حديث آخر: (أفضل طبائع العقل العبادة وأوثق الحديث له العلم وأجزل حظوظه الحكمة وأفضل ذخائره الحسنات) ^(٤١٠).

وعنه (ع): (كمال العقل في ثلاثة: التواضع لله، وحسن اليقين، والصمت إلا من

^(٤٠٥) روضة الوعاظين: ص ٤.

^(٤٠٦) الأمالي (للصدوق): ص ٦٧١ المجلس ٩٦ ح ٢.

^(٤٠٧) الخصال: ص ١٠٣ ح ٦٠.

^(٤٠٨) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٣١ ب ٤ ح ٢٨.

^(٤٠٩) الاختصاص: ص ٥.

^(٤١٠) الاختصاص: ص ٤.

خير) (٤١١).

وعنه (ع): (الجهل في ثلات: الكبر، وشدة المراء، والجهل بالله، فأولئك هم الخاسرون) (٤١٢). ومن الواضح إن الجهل في مقابل العقل، كما يظهر من حديث جنود العقل وجنود الجهل (٤١٣)، وكما أن العقل مخلوق فالجهل مخلوق، وهذا غير الجهل بمعنى عدم العلم، فإن الجهل بمعنى عدم العلم هو من جنود الجهل المخلوق الذي له أجناد كما أن للعقل أجناد.

وعن أمير المؤمنين (ع) قال: (لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل) (٤١٤).

وعنه (ع): (ذهب العقل بين الهوى والشهوة) (٤١٥).

وعنه (ع): (من لم يملك شهوته لم يملك عقله) (٤١٦).

وعنه (ع) قال: (العاقل من رفض الباطل) (٤١٧).

وعنه (ع): (لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه) (٤١٨)، فإن العاقل يفكر أولاً ثم يتكلّم، أما الأحمق فيتكلّم ثم يفكر في أن كلامه كان صحيحاً أو باطلًا، وقد لا يفكر أصلاً.

وقيل له (ع): (صف لنا العاقل، فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه، قيل له: فصف لنا الجاهل فقال: قد فعلت) (٤١٩)، فإن الجاهل هو الذي لا يضع الأشياء مواضعها.

وعن الإمام الصادق (ع) قال:

(٤١١) الاختصاص: ص ٢٤٤.

(٤١٢) الاختصاص: ص ٢٤٤.

(٤١٣) الكافي: ج ١ ص ٢١ ح ١٤.

(٤١٤) مشكاة الأنوار: ص ٢٥٠ الفصل الثاني في صفة العقل.

(٤١٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٥ ح ٨٤٠.

(٤١٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٤ ح ٦٩٥٠.

(٤١٧) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٥٩ ب ٤ ح ٣١.

(٤١٨) نهج البلاغة: قصار الحكم ٤٠.

(٤١٩) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٣٥.

(يستدل بكتاب الرجل على عقله وموضع بصيرته، وبرسوله على فهمه وفطنته) ^(٤٢٠).

وفي حديث عن رسول الله (ص) إنه قال:

(صفة العاقل: أن يحلم عمن جهل عليه، ويتجاوز عمن ظلمه، ويتواضع لمن هو دونه، ويسبق من فوقه في طلب البر، وإذا أراد أن يتكلّم تدبر، فإن كان خيراً تكلّم فغم، وإن كان شرّاً سكت فسلام، وإذا عرضت له فتنة استعصم بالله وأمسك يده ولسانه، وإذا رأى فضيلة انتهز بها، لا يفارقها الحياة ولا يبعدها الحرص، فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل، وصفة الجاهل: أن يظلم من خالقه، ويتعذر على من هو دونه...) ^(٤٢١) الحديث.

وقال رسول الله (ص): (ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل) ^(٤٢٢).

وعن أمير المؤمنين (ع): (ما عبد الله بشيء أفضل من العقل) ^(٤٢٣).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: (العقل دليل المؤمن) ^(٤٢٤).

وعن أبي عبد الله (ع): (لا غنى أخصب من العقل) ^(٤٢٥).

وعن أبي جعفر (ع): (لا مال هو أعود من العقل) ^(٤٢٦).

وعن أمير المؤمنين (ع): (العقل من وعظته التجارب) ^(٤٢٧).

جنود العقل.. وجنود الجهل

وفي الكافي: عن سمعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) وعنه جماعة من مواليه فحرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله (ع): (اعرموا العقل وجنه والجهل وجنه تهتدوا، قال سمعة: فقلت: جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا، فقال أبو عبد الله

^(٤٢٠) الحasan: ص ١٩٥ باب العقل ح ٢٠.

^(٤٢١) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٢٩ ب ٤ ح ١٢.

^(٤٢٢) الكافي: ج ١ ص ١٢ ح ١١.

^(٤٢٣) الكافي: ج ١ ص ١٨ ح ١٢.

^(٤٢٤) الكافي: ج ١ ص ٢٥ ح ٢٤.

^(٤٢٥) الكافي ج ١ ص ٢٩ ح ٣٦.

^(٤٢٦) الكافي: ج ٨ ص ١٨ ح ٤.

^(٤٢٧) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٨ ب ٢ ح ٥٨٣.

(ع): إن الله عز وجل حلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين^(٤٢٨) عن يمين العرش من نوره فقال له: أدب فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي، قال: ثم حلق الجهل من البحر الأجاج ظلماً ف قال له: أدب فأدبر، ثم قال له: أقبل فلم يقبل، فقال له: استكبرت فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة، فقال الجهل: يارب هذا حلق مثلي خلقته وكرمته وقوّيته وأنا ضده ولا قوّة لي به فأعطي من الجند مثل ما أعطيته، فقال: نعم فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال: قد رضيت، فأعطيت خمسة وسبعين جنداً، فكان مما أعطي العقل من الخمسة والسبعين الجنداً: الخير وهو وزير العقل وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل، والإيمان وضده الكفر، والتصديق وضده الجحود، والرجاء وضده القنوط، والعدل وضده الجور، والرضا وضده السخط، والشكر وضده الكفران، والطمع وضده اليأس، والتوّكل وضده الحرص، والرأفة وضدها القسوة، والرحمة وضدها الغضب، والعلم وضده الجهل، والفهم وضده الحمق، والعفة^(٤٢٩) وضدها التهتك، والزهد وضده الرغبة، والرفق^(٤٣٠) وضده الخرق، والرهبة وضده الجرأة، والتواضع وضده الكبر، والتؤدة^(٤٣١) وضدها التسرع، والحلم وضدها السفة، والصمت^(٤٣٢) وضده الهدر، والاستسلام وضده الاستكبار^(٤٣٣)، والتسلیم وضده الشك، والصبر وضده

(٤٢٨) يطلق الروحاني على الأجسام اللطيفة وعلى الجواهر المجردة ان قيل بها. (مرأة العقول)

(٤٢٩) العفة هي منع البطن والفرج عن المحرمات والشبهات ومقابلها التهتك وعدم المبالغ بهتك ستة في ارتكاب المحرمات (مرأة العقول) أو: هي اعتدال القوة الشهوية في كل شيء من غير ميل إلى الافراط والتغريب. (الوافي).

(٤٣٠) الرفق هو حسن الصنيعة والملائمة، وضده الخرق . بالضم وبالتحريك . (مرأة العقول).

(٤٣١) التؤدة هي: بضم التاء وفتح الممزة وسكونها: الرزانة والتأني، أي: عدم المبادرة إلى الأمور بلا تفكير فإنها توجب الواقع في المهالك. (مرأة العقول)

(٤٣٢) الصمت هو السكوت عما لا يحتاج إليه وضده الهدر . بالتحريك . وهو التكلم بما لا ينبغي.

(٤٣٣) الاستسلام هو الطاعة والانقياد لكل ما هو حق، والاذعان للحق من غير تريل واضطراب . (الوافي).

الجزع، والصفح وضدّه الانتقام، والغنى وضدّه الفقر، والتذكرة^(٤٣٤) وضدّه السهو، والحفظ وضدّه النسيان، والتعطّف وضدّه القطعية، والقنوع وضدّه الحرص، والمواساة وضدّها المنع، والملوّدة وضدّها العداوة، والوفاء وضدّه الغدر، والطاعة وضدّها المعصية، والخضوع وضدّه التطاول^(٤٣٥)، والسلامة وضدّها البلاء، والحبّ وضدّه البعض، والصدق وضدّه الكذب، والحق وضدّه الباطل، والأمانة وضدّها الخيانة، والاخلاص وضدّها الشوب، والشهامة وضدّها البلادة، والفهم^(٤٣٦) وضدّه الغباوة، والمعرفة وضدّها الانكار، والمداراة وضدّها المكاشفة، وسلامة الغيب وضدّها المماكرة، والكتمان وضدّه الإفشاء، والصلة وضدّها الاضاعة، والصوم وضدّه الإفطار، والجهاد وضدّه النكول، والحجّ وضدّه نبذ الميثاق، وصون الحديث وضدّه النميمة، وبر الوالدين وضدّه العقوق، والحقيقة وضدّها الرياء، والمعروف وضدّه المنكر، والستر وضدّه التبرج^(٤٣٧)، والتقية وضدّها الإذاعة، والإنصاف وضدّه الحمية، والتهيئة^(٤٣٨) وضدّها البغي، والنظافة وضدّها القذر، والحياة^(٤٣٩) وضدّها الجلع، والقصد وضدّه العدوان، والراحة وضدّها التعب، والسهولة وضدّها الصعوبة، والبركة وضدّها الحق^(٤٤٠)، والعافية وضدّها البلاء، والقوم^(٤٤١) وضدّه المكاثرة، والحكمة وضدّها الهواء، والوقار وضدّها الخفة، والسعادة وضدّها الشقاوة، والتوبة وضدّها الإصرار، والاستغفار وضدّه الاغترار، والمحافظة وضدّها التهاون، والدعاء وضدّه الاستنكاف، والنشاط وضدّه الكسل، والفرح وضدّه الحزن، والألفة وضدّها الفرقة، والسخاء وضدّه البخل.

فلا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلّا في نبيّ أو وصيّ نبيّ، أو مؤمن قد

(٤٣٤) في بعض النسخ (التفكير).

(٤٣٥) التطاول: التكبير والترفع.

(٤٣٦) كما في النسخ والصحيح (الفطنة) كما في (علل الشرائع).

(٤٣٧) التبرج: إظهار الزينة.

(٤٣٨) التهيئة: المواقفة والمصالحة بين الجماعة ومامتهم. (مرآة العقول)

(٤٣٩) الجلع: هو قلة الحياة وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة وهو بمعنى النزع. (الواي)

(٤٤٠) الحق هو النقص والخو والابطال. (الواي).

(٤٤١) القوم . فتح القاف كصحاب . العدل وما يعاش به، والمكاثرة المعالبة في الكثرة أى تحصيل متاع الدنيا زائداً على قدر الحاجة للمباحثات والمعالبة وفي بعض النسخ (المكاشرة) وهي المباحثة.

امتحن الله قلبه للإيهان، وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل، وينقى من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء، وإنما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده، وبمحاجنة الجهل وجنوده، وفَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لطاعتُه وَمَرْضاتُه) ^(٤٤٢).

ولا يخفى أن بعض ما في هذا الحديث من المتشابكات أو ما أشبه ذلك أو ما يتصور من التباين يحمل على بعض المحامل مما لسنا بصددها الآن.

لا يقال: إذا كان المخلوق هو الحسد والنفس والروح والعقل، فأين الجهل الذي هو مخلوق في الإنسان أيضاً.

لأنه يقال: من الممكن أن يكون الجهل من النفس فيكون النفس محلاً للجهل.
وفي حديث عن الصادق (ع) قال: (اعرموا العقل وجنته، والجهل وجنته تكتدوا) ^(٤٤٣)،
وإنما يدرك الفوز بمعرفة العقل وجنوده، وبمحاجنة الجهل وجنوده.

وقال (ص): (ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في وسط البيت) ^(٤٤٤).

وقال (ص): (إن ضوء الروح العقل) ^(٤٤٥).

وقال (ص): (العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل) ^(٤٤٦).

وقال (ص): (إسترشدوا العقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا) ^(٤٤٧).

وقوله: (ولا تعصوه) وما أشبه ذلك، من الأدلة على أن للعقل حكماً أيضاً ^(٤٤٨)،
بالإضافة إلى أن للعقل نوراً كما مثّله (ص) بالسراج في وسط البيت.

(٤٤٢) الكافي ج ١ ص ٢٠ ح ١٤ كتاب العقل والجهل.

(٤٤٣) الكافي: ج ١ ص ٢١ ح ١٤.

(٤٤٤) بحار الأنوار: ج ١ ص ٩٩ ب ٢ ح ١٤.

(٤٤٥) تحف العقول: ص ٣٩٦.

(٤٤٦) إرشاد القلوب: ص ١٩٨ ب ٥٣.

(٤٤٧) كنز الفوائد: ج ٢ ص ٣١.

(٤٤٨) فلا يقتصر العقل على الرؤية فقط.

وفيما رواه المستدرك من قول النبي (ص): (والعقل أصل ديني)^(٤٤٩) يراد بذلك: إن الدين ناشئ اتباعه من العقل، لأن الإنسان إذا لم يكن له عقل لا يتمكّن أن يميّز الدين الصحيح من غيره.

العلم نور

مسألة: كما إن العقل مفرق بين الحق والباطل والصحيح والسيقim وما أشبه ذلك رؤية أو حكمًا أو كليهما حسب اختلاف المبني، كذلك العلم، فهو نور من الله سبحانه وتعالى، به يبصر الإنسان معنويات الأشياء وما أشبه، فإن النور الظاهري يسبب إدراك الإنسان بحاسة البصر الأشياء لا بحقيقةتها بل بظواهرها، أما نور العلم الذي هو في داخل الإنسان فيدرك الإنسان به الأشياء بقدر تمكّنه من إدراكها.

وإطلاق النور^(٤٥٠) على القرآن والكتاب والنبي والإمام وما أشبه ذلك، إما من باب

(٤٤٩) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ١٧٣ ب ٤ ح ١٢٦٧٢.

(٤٥٠) قال عزّ وجل: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ سورة المائدة: ١٥.

وقال تعالى: ﴿يَرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يَتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ سورة التوبه: ٣٢.

وقال سبحانه: ﴿يَرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَتَّمَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ سورة الصافات: ٨.

وقال تعالى: ﴿.. فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا السُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا لَهُ مَعَهُ...﴾ سورة الأعراف: ١٥٧.

وقال سبحانه: ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ سورة التغابن: ٨.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بِرَهَانٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ سورة النساء: ١٧٤.

وقال سبحانه: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مِنْ نَشَاءِ مِنْ عِبَادِنَا﴾ سورة الشورى: ٥٢.

الإطلاق على السبب أو المبالغة من باب (زيد عدل)^(٤٥١) أو ما أشبهه.

وفي الروايات الإشارة إلى هذه الجهة:

فعن أبي حمزة قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن العلم ما هو، أعلم يتعلّمه العالم من أفواه الرجال؟ أو في كتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟ فقال (ع): الأمر أعظم من ذلك وأجلّ، أما سمعت من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(٤٥٢)، ثم قال (ع): وأي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية؟ فقلت لا أدرى جعلت فداك ما يقولون؟ قال: بلى، قد كان في حال لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله إليه تلك الروح التي يعطيها الله تعالى من يشاء، فإذا أعطاها الله عبداً علّمه الفهم والعلم^(٤٥٣).

أقول: الظاهر أن المراد بالآية المباركة ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ ذكر طبيعة الممكן، فإن الممكן بطبيعته لا يعلم شيئاً كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ بِطْوَنَ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾^(٤٥٤) ولا ينافي ذلك أن الرسول (ص) أوحى الله سبحانه وتعالى إليه العلم والحكمة والنبوة وما أشبه ذلك من العلم اللدني كما لا يخفى.

^(٤٥١) راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (دام ظله).

^(٤٥٢) سورة الشورى: ٥٢.

^(٤٥٣) بصائر الدرجات: ص ٤٦٠ ب ١٧ ح ٥.

^(٤٥٤) سورة النحل: ٧٨.

روايات في العلم

وعن الإمام العسكري (ع) قال: قال علي بن أبي طالب (ع): (من كان من شيعتنا عالماً بشرعنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبناه به، جاء يوم القيمة على رأسه تاج من نور يضيء لجميع أهل العروض، وحلاً لا تقوم لأقل سلوك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي منادٍ: يا عباد الله، هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد (عليهم الصلاة والسلام)، ألا فمن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتسبّب بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العروض إلى نزهة الجنان، فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيراً أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً أو أوضح له عن شبهة)^(٤٥٥).

أقول: إن ما في هذه الدنيا نوبات لما في الآخرة خيراً أو شرّاً كما ورد في الحديث: إن (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)^(٤٥٦) أو ما أشبه ذلك، تكون قصوراً وجناناً وأنهاراً وطيفوراً وحوراً وهكذا..

وفي الحديث: (الدنيا مزرعة الآخرة)^(٤٥٧).

وعن رسول الله (ص) كما في البحار: (إن الله عزوجل يجمع العلماء يوم القيمة ويقول لهم: لم أضع نوري وحكمتي في صدوركم إلا وأنا أريد بكم خير الدنيا والآخرة، إذهبا فقد غفرت لكم على ما كان منكم)^(٤٥٨).

^(٤٥٥) الاحتجاج: ص ١٦.

^(٤٥٦) راجع بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٩٢ ب ٣ ح ٢. وفيه: قال رسول الله (ص): (ما أسرى بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قياعاً ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما بالكم قد أمسكتم؟ فقالوا: حتى تجئنا النفقـة، فقلت: وما نفقـتكم؟ قالوا: قول المؤمن ((سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)) فإذا قال بنيـنا وإذا سكت أمسـكـنا).

^(٤٥٧) غوالي الثنائي: ج ١ ص ٢٦٧ ح ٦٦.

^(٤٥٨) علل الشرائع: ص ٤٦٨ باب النوادر ح ٢٨. وبحار الأنوار: ج ٢ ص ١٦ ب ٨ ح ٣٧.

وقال (ص): (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ عِلْمِي وَحْكَمِي
فِيهِمْ إِلَّا وَأَنَا أَرِيدُ أَنْ أَغْفِرَ لَكُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ، وَلَا أَبَالِي)^(٤٥٩).

أقول: ومعنى (لا أبالي) أي لا أبالي بانتقاد المتقدين أو ما أشبهه.

وعن أمير المؤمنين (ع) يقول لكميل: (فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعال مرياني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يمليون مع كل ريح لم يستطعوا بنور العلم . إلى أن قال (ع): . بلى لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة . إلى أن قال: . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وبashروا روح اليقين)^(٤٦٠).

وعن الإمام الباقر (ع) في حديث قال: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَضَعَ الْعِلْمَ الَّذِي كَانَ
عِنْهُ عِنْدَ الْوَصِيِّ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾)^(٤٦١)
الحديث^(٤٦٢).

وفي حديث آخر عنه (ع) قال: (العَالَمُ كَمَنْ مَعَهُ شَمْعَةٌ تَضِيءُ لِلنَّاسِ . إِلَى أَنْ قَالَ:-
كَذَلِكَ الْعَالَمُ مَعَهُ شَمْعَةٌ تَزِيلُ ظُلْمَةَ الْجَهَلِ وَالْحَيْرَةِ، فَكُلُّ مَنْ أَضَاءَتْ لَهُ فَخْرَجَ بِهَا مِنْ حَيْرَةِ أَوْ
بَحْرِيَّةِ بَهَا مِنْ جَهْلِ فَهُوَ مِنْ عَتَقَائِهِ مِنَ النَّارِ)^(٤٦٣).
أقول: والفرق بين الجهل والحيارة: أن الجهل عبارة عن عدم العلم والحيارة عبارة عن التردد،
فالأول سلبي مطلق والثاني إيجابي تردد.

وقد تقدم حديث الإمام الصادق (ع) عن عنوان البصري: (لَيْسَ الْعِلْمُ بِالْتَّعْلِمِ، إِنَّمَا هُوَ
نُورٌ يَقُعُ فِي قَلْبِ مَنْ يَرِيدُ اللَّهَ تَبَارُكَ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَهُ)^(٤٦٤) وقد مِنْ تَفْسِيرِهِ^(٤٦٥).

وفي حديث عن الصادق (ع) قال: (خَلَقَ اللَّهُ الْعُقْلَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءٍ: مِنَ الْعِلْمِ وَالْقَدْرَةِ

^(٤٥٩) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٥ ب ٨ ح ٨٦.

^(٤٦٠) نهج البلاغة: من كلام له (ع) قصار الحكم ١٤٧ الفقرات ١١٢ و ١١٣.

^(٤٦١) سورة النور: ٣٥.

^(٤٦٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٧٩ ب ٨ ح ٥٧٤.

^(٤٦٣) الاحتجاج: ص ١٧.

^(٤٦٤) بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٢٥ ب ٧ ح ١٧.

^(٤٦٥) تقدم في الصفحة ١٤٥ من هذا الكتاب.

والنور والمشيئة بالأمر، فجعله قائماً بالعلم دائمًا في الملائكة^(٤٦٦).

والظاهر: إن المراد بهذا الحديث هو لوازم العقل، أما «العلم» فإن غير العاقل لا يعلم، و«القدرة» لأن القدرة معناها إمكان العمل الصحيح، وإلا فهل يقال: البحر قادر؟ ففرق بين القادر وبين القوي، ولذا يقال: (الأسد قوي) ولا يقال: قادر، ويقال: (الحديد قوي) ولا يقال قادر، و «المشيئة» لأن غير العاقل لا يشاء بل يصدر منه الفعل اعتباطاً، و «النور» لأن الرابطة بين العالم والمعلوم النور، فهو غير العلم الذي ينطبع في النفس بسبب العقل، وكل ذلك من باب إطلاق الملزم على اللازم من قبيل قوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً

فإن السماء ملزم ولازمه المطر، والعقل ملزم ولازمه الأمور الأربع المذكورة من العلم والقدرة والمشيئة والنور.

^(٤٦٦) الاختصاص: ص ٢٤٤.

من مصاديق الملازمة

أما ما ورد في الآيات والروايات من توصيف النبي (ص) أو القرآن أو ما أشبهه بالهوى والبصائر والبيان، قال سبحانه: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ (٤٦٧) .. والتبیان قال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبیاناً لكل شيء﴾ (٤٦٨) .. والذکر والتذکرة والذکر قال سبحانه: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إن هو إلا ذکری للعالمين﴾ (٤٦٩) .. والمذکر قال سبحانه: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ (٤٧٠) .. وما أشبه ذلك، فهی من أقسام المجاز بذكر اللازم وإرادة الملزم أو العکس أو الملازمة أو ما أشبه ذلك.

فقد قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤٧١).
وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مَبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ (٤٧٢).
وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ (٤٧٣).
وقال سبحانه: ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٤٧٤).
وقال عزوجل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ الْلّٰهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يَأْذِنُهُ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ

٤٦٧) سورة آل عمران: ١٣٨ .

٤٦٨) سورة النحل: ٨٩.

٤٦٩) سورة الأنعام: ٩٠

٤٧٠) سورة الغاشية: ٢١

سورة ص : ٨٧ (٤٧١)

(٤٧٢) سورة الأنبياء: ٥٠

٤٧٣) سورة المدثر: ٥٤ و ٥٥.

٤٧٤) سورة الاسراء: ٩

فإن الإنسان بطبيعته يحتاج إلى السلام في سلوكه كلها، كما أن من لا يعلم كيف الوصول إلى الأهداف أو يشتبه فيها ويتردد هل هي هذه أو تلك؟ يكون في الظلمات.

وقال تعالى: ﴿هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾^(٤٧٦).

وقال سبحانه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾^(٤٧٧).

بين العلية والاقتضاء

ثم إن ما ذكرناه من كون العقل حجة وميزةً بين الحق والباطل وما أشبهه، فهو على نحو الاقتضاء لا على نحو العلية التامة، وعلى نحو الجزئية الطبيعية لا على نحو الكلية الخارجية، فهو بمعنى حجية العقل لو أدرك لا أنه دائماً يدرك، فهو كقولنا: (المعجون الكذائي دواء للزكام) مثلاً، فإن معناه اقتضاء الشفاء به أو أكثريته لا أنه يشفى دائماً.

والحاصل: إنه على نحو القضية الطبيعية لا القضية العقلية، فلا يقال: إذا كان العقل نوراً وحججاً فلماذا يخطأ الإنسان أحياناً حتى وإن كان أنزه إنسان . هذا في غير المعصوم (ع)-، كما نشاهد في مراجع التقليد العظام الراهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة الذين يخالفون الله واليوم الآخر، ومع ذلك قد تختلف آراؤهم وفتواهم الفقهية؟

^(٤٧٥) سورة المائدة: ١٥ و ١٦ .

^(٤٧٦) سورة الأعراف: ٢٠٣ .

^(٤٧٧) سورة التغابن: ٨ .

معرفة الله عز وجل

مسألة: قد عرفت أن العلم والعقل هما كاشفان للحقائق مطلقاً بقدر الاستعداد وبقدر تحصيل المقدمات.

قال سبحانه: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاً فَسَالَتْ أُودِيَّةَ بِقَدْرِهَا﴾ (٤٧٨).

وأفضل ما يكشفه العلم ويعيّنه العقل هو معرفة الله سبحانه بقدر الاستعداد، لكن لا يعرف الله سبحانه بحقيقة إطلاقاً، إذ من الحال أن يشتمل المحدود على غير المحدود، للزوم الخلف والتناقض، إما من لا محدودية المحدود أو من محدودية اللامحدود، وهو بديهي الاستحالة.

لا يقال: فما الفائدة في المعرفة؟

لأنه يقال: منها: اللذة النفسية ودفع الألم النفسي، فإن العلم يوجب اللذة ودفع الألم الجهل، وحيث لا لذة فوق ذلك ولا ألم أكثر من عدمه كان أفضل.

وإلى المعرفة أشارت الروايات الكثيرة:

فقد قال (ع): (ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة، يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه، لا يعرف الله حق معرفته) (٤٧٩).

وقال (ع): (ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة) (٤٨٠)، حيث جعل (ع) المعرفة في الرتبة الأولى.

وفي رواية أخرى: (إن أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة رب والإقرار له

(٤٧٨) سورة الرعد: ١٧.

(٤٧٩) كفاية الأثر: ص ٢٦٠.

(٤٨٠) الكافي: ج ٣ ص ٢٦٤ ح ١.

بالعبدية) (٤٨١).

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق (ع): (فقال: أخبرني أي الأعمال أفضل؟ قال: توحيدك لربك، قال: فما أعظم الذنوب؟ قال: تشبهك بخالقك) (٤٨٢).

وفي رواية عنه (ع): (بعضكم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر حجّاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقة من بعض، وبعضكم أكثر صياماً من بعض، وأفضلكم أفضلكم معرفة) (٤٨٣).

وفي رواية عن رسول الله (ص) أنه قال: (أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة) (٤٨٤).

وفي رواية الإمام الرضا (ع): (إن أول ما افترض الله على عباده وأوجب على خلقه معرفة الوحدانية، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ﴾) (٤٨٥) يقول: ما عرفوا الله حق معرفته) (٤٨٦).

أقول: ومن الواضح إن المراد بالقدر: الممكن لكل إنسان بحسبه، فإن أوعيهم مختلفة في كل الأمور، المادية والمعنوية، ومنها المعرفة، كما قال علي (ع): (إن هذه القلوب أوعية فخريها أو عاها) (٤٨٧)، وليس المراد: القلب الصنوبيري كما هو واضح (٤٨٨).

وفي حديث عن علي (ع) قال: (أول الدين معرفته) (٤٨٩).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: (لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إن الإيمان بعضه من

(٤٨١) كفاية الأثر: ص ٢٦٢.

(٤٨٢) نزهة الناظر وتنبيه الخواطر: ج ٢ ص ٩١.

(٤٨٣) صفات الشيعة: ص ١٥ ح ٢٨.

(٤٨٤) جامع الأخبار: ص ٥.

(٤٨٥) سورة الأنعام: ٩١.

(٤٨٦) فقه الرضا (ع): ص ٦٥.

(٤٨٧) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٤٧ الفقرة ١.

(٤٨٨) وقد مرت الإشارة إليه سابقاً.

(٤٨٩) نهج البلاغة: الخطبة ١ الفقرة ٣.

بعض)^(٤٩٠).

وعن الفتح بن يزيد عن أبي الحسن (ع) قال: سأله عن أدنى المعرفة فقال: (الإقرار بأنه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير وانه قد يثبت موجود غير فقيد وانه ليس كمثله شيء)^(٤٩١).

وعن محمد بن حكيم قال: (قلت لأبي عبد الله (ع): المعرفة من صنع من هي؟ قال: من صنع الله ليس للعباد فيها صنع)^(٤٩٢).

وعن أبي حمزة قال: قال لي أبو حعفر (ع): (إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبد هكذاً ضلالاً، قلت: جعلت فداك بما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عزوجل وتصديق رسوله (ص) وموالاة علي (ع) والاتمام به وبائمه المدى (ع) والبراءة إلى الله عزوجل من عدوهم، هكذا يعرف الله عزوجل)^(٤٩٣).

وقال رسول الله ﷺ: (قسم العقل على ثلاثة أجزاء فمن كانت فيه كمال عقله ومن لم تكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة بالله عزوجل، وحسن الطاعة له، وحسن البصيرة على أمره)^(٤٩٤).

وقال (ص): (إن من دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى واليقين بتوحيده والعقل القائم)^(٤٩٥).

وقال أمير المؤمنين (ع): (المعرفة نور القلب)^(٤٩٦).

وقال (ع): (المعرفة الفوز بالقدس)^(٤٩٧).

^(٤٩٠) الكافي: ج ١ ص ٤٤ ح ٢.

^(٤٩١) الكافي: ج ١ ص ٨٦ ح ١.

^(٤٩٢) الكافي: ج ١ ص ١٦٣ ح ٢.

^(٤٩٣) الكافي: ج ١ ص ١٨٠ ح ١.

^(٤٩٤) الخصال: ص ١٠٢.

^(٤٩٥) إرشاد القلوب: ص ١٦٩ ب ٥٠.

^(٤٩٦) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٤ الفصل الأول ح ١.

^(٤٩٧) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٤ ح ٣ الفصل الأول.

وقال (ع): (المعرفة برهان بنيان البيل الفضل) ^(٤٩٨).

وقال (ع): (العلم لقاح المعرفة) ^(٤٩٩).

وقال (ع): (لقاح المعرفة دراسة العلم) ^(٥٠٠).

وقال (ع): (ثمرة المعرفة العزوف عن دار الفناء) ^(٥٠١).

وقال (ع): (يسير المعرفة يوجب الزهد في الدنيا) ^(٥٠٢).

وقال (ع): (العلم أول دليل والمعرفة آخر نهاية) ^(٥٠٣).

وقال (ع): (غاية المعرفة الخشية) ^(٥٠٤).

وقال (ع): (حفظ الدين ثمرة المعرفة ورأس الحكمة) ^(٥٠٥).

وقال (ع): (المعرفة بالنفس أنسع المعرفتين) ^(٥٠٦).

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة.

معرفة الرسول (ص) وأهل بيته

ويأتي من بعد معرفة الله عزوجل، معرفة رسوله وأوليائه الطاهرين (ع)، فعن أبي بصير: عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عزوجل: **«ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا»** فقال: طاعة الله ومعرفة الإمام) ^(٥٠٧).

^(٤٩٨) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٤١ الفصل الأول ح ٣.

^(٤٩٩) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢ الفصل الثاني ح ١٩.

^(٥٠٠) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٩ الفصل الثالث ح ٢٧٠.

^(٥٠١) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٣ الفصل الحادي عشر ح ٧٥٨.

^(٥٠٢) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٣ الفصل الحادي عشر ح ٧٦٥.

^(٥٠٣) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٣ الفصل الحادي عشر ح ٧٧٣.

^(٥٠٤) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٣ ح ٧٨٨ الفصل الحادي عشر.

^(٥٠٥) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٨ الفصل الأول.

^(٥٠٦) غر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٢ ح ٤٦٣ الفصل الأول.

^(٥٠٧) الكافي: ج ١ ص ١٨٥ ح ١١.

وعن أبي عبد الله (ع) قال: قال أبو جعفر (ع): (دخل أبو عبد الله الجدلي على أمير المؤمنين فقال (ع): يا أبا عبد الله ألا أخبرك بقول الله عزوجل ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فرع يومئذ آمنون﴾ ومن جاء بالسيئة فكبّت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾^(٥٠٨) قال: بلّي يا أمير المؤمنين جعلت فداك، فقال: الحسنة معرفة الولاية وحبنا أهل البيت، والسيئة انكار الولاية وبغضنا أهل البيت، ثم قرأ عليه هذه الآية^(٥٠٩).

وفي حديث عن أبي جعفر (ع): (... إنما كلف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه)^(٥١٠).

فائدة المعرفة

لا يقال: فلماذا أوجب الله المعرفة وهو غير محتاج إليها؟ فليكن الإنسان غير العارف كالدابة . مثلاً .. فإنه لا يضر الله شيئاً.
لأنه يقال: حالها حال سائر الواجبات .. فإنها ضرورية لكمال الإنسان نفسه، والأمر بها لطف منه عزوجل.

أما الآثار المترتبة عليها سلباً وإيجاباً من العقاب والثواب، فلأن كل شيء يناسب شيئاً حاصلاً، مثلاً: النور يناسب الشمس، والحرارة تناسب النار، والذي يناسب الجاهل العاًمد النار، كما أن مناسب العالم العامل الجنة، أما الجاهل غير العاًمد فيمتحن في الآخرة، وهذا كلّه من مصاديق السنخية.

بالإضافة إلى أن سائر الموجودات غير الإنسان قد تكون لها حصة من المعرفة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مَنْ شَيْءَ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكُنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٥١١) . وقال عزوجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاوَاتِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَا

^(٥٠٨) سورة النمل: ٩٠ و ٨٩.

^(٥٠٩) الكافي: ج ١ ص ١٨٥ ح ١٤.

^(٥١٠) الكافي: ج ١ ص ٣٩٠ ح ١.

^(٥١١) سورة الإسراء: ٤٤.

أتينا طائعين﴿.﴾ (٥١٢).

وفي الحديث عن أبي عبد الله (ع) ... إلى أن قال: . (وقوم وصفوه بيدين فقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَة﴾ (٥١٣)، قوم وصفوه بالرجلين فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس ومنها ارتفى إلى السماء، قوم وصفوه بالأناامل فقالوا: إن مُحَمَّداً (ص) قال: إني وجدت برد أناامله على قلبي، فلمثل هذه الصفات قال: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْفُون﴾ (٥١٤) يقول رب المثل الأعلى عما به مثلوه: ﴿وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى﴾ (٥١٥) الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوجه فذلك المثل الأعلى) (٥١٦).

وعن أبي عبد الله (ع) في حديث قال: (والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره) (٥١٧).

أقول: وذلك واضح حيث أن صفات الله سبحانه وتعالى لا يعرفها أحد، لا حدودها ولا خصوصياتها، فإن الله غير محدود وصفاته غير محدودة، والإنسان المحدود مهما كان عظيماً فهو محدود، والمحدود لا يستوعب غير المحدود.

وفي رواية عن علي (عليه الصلاة والسلام): (سأله الجاثيلق فقال: أخبرني عن الله عَزَّوجَلَّ أحمل العرش أو العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين (ع): الله عَزَّوجَلَّ حامل العرش والسماءات والأرضين وما فيهما وما بينهما . إلى أن قال: . وهو العلم الذي حَمَّله الله الحملة، . إلى أن قال: . فالذين يحملون العرش هم العلماء وهم الذين حَمَّلُهم الله علمه . إلى أن قال: . فكيف يحمل عرش الله وب حياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته) (٥١٨).

(٥١٢) سورة فصلت: ١١.

(٥١٣) سورة المائدة: ٦٤.

(٥١٤) قال عز وجل في سورة الأنبياء: ٢٢ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْفُون﴾، وقال تعالى في سورة الزخرف: ٨٢ ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْفُون﴾.

(٥١٥) سورة النحل: ٦٠.

(٥١٦) التوحيد: ص ٣٢٤ ب ٥٠ ح ١.

(٥١٧) التوحيد: ص ٣٢٧ ب ٥٢ ح ٢.

(٥١٨) إرشاد القلوب: ص ٣٠٨ و ٣٠٩.

الصفات الشبوانية والسلبية

مسألة: ثم إن الله سبحانه وتعالى له صفات ثبوانية وصفات سلبية، وقد أُشير إليهما في الكتاب والسنة، مضافاً إلى أن العقل يصل إليهما أيضاً.

وهنا نذكر للإلماع بعض صفات الله سبحانه وتعالى الثبوانية والسلبية، وما دل على خلقه للخلوقات كافة.

الصفات الشبوانية:

المختار

فمن صفاته الشبوانية: الإختيار، فإن الله سبحانه وتعالى (مختار في أفعاله) إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وليس بموجب مضطري في صدور الأفعال عنه كالنار في الإحرق والشمس في الإشراق.

قال سبحانه: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^(٥١٩).

وقال تعالى: ﴿وَيَفْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٥٢٠).

وقال عزوجل: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٥٢١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَرِيدُ﴾^(٥٢٢).

وعن أبي عبد الله (ع): (إن الله تعالى له الحيرة يختار من يشاء من يشاء)^(٥٢٣).

وعن أبي الحسن (ع): (إن الله يفعل ما يشاء)^(٥٢٤).

^(٥١٩) سورة القصص: ٦٨.

^(٥٢٠) سورة إبراهيم: ٢٧.

^(٥٢١) سورة آل عمران: ٤٠.

^(٥٢٢) سورة الحج: ١٤.

^(٥٢٣) الكافي: ج ١ ص ٢٩٣ ح ٣.

^(٥٢٤) الكافي: ج ١ ص ٣١٣ ح ٩.

العالم الحكيم

وإنه عز وجل (عالم حكيم) كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٥٢٥).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥٢٦).

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تَوَسَّطُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حِلْ الْوَرِيدِ﴾^(٥٢٧).

وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقِهِ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٥٢٨).

وفي خطبة لأمير المؤمنين (ع): (وهو الحكيم العليم أتقن ما أراد خلقه من الأشياء كلها بلا مثال سبق إليه ولا لغوب دخل عليه في خلق ما خلق لديه)^(٥٢٩).

السميع البصير

وهو سبحانه (سميع بصير) كما قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥٣٠).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥٣١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٥٣٢).

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥٣٣).

^(٥٢٥) سورة النساء: ٢٦.

^(٥٢٦) سورة النساء: ١٧٦.

^(٥٢٧) سورة ق: ١٦.

^(٥٢٨) سورة الملك: ١٤.

^(٥٢٩) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦٦ ب ٤ ح ١٤.

^(٥٣٠) سورة الشورى: ١١.

^(٥٣١) سورة الإسراء: ١.

^(٥٣٢) سورة لقمان: ٢٨، وسورة الحج: ٧٥.

^(٥٣٣) سورة غافر: ٥٦.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥٣٤).

وعن هشام بن الحكم قال في حديث الزنديق الذي سأله أبا عبد الله (ع): اتقول إنه سميع بصير؟ فقال أبو عبد الله (ع): (هو سميع بصير، سميع بغير جارحة وبصیر بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويصر بنفسه)^(٥٣٥).

وقال الإمام الرضا (ع): (أول عبادة الله معرفته . إلى أن قال: سميع لآلة، بصير لا بآلة)^(٥٣٦).

وعن أبي الحسن الرضا (ع) في جواب رجل من الزنادقة . إلى أن قال: (إنه سميع لأنّه لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الشّرى من الذّرة إلى أكبر منها في براها وبحرها، ولا تتشبه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك إنه سميع لا يأذن وقلنا إنه بصير لا يبصر لأنّه يرى أثر الذّرة السّحمة في الليلة الظلماء على الصّخرة السوداء ويرى دبيب النّمل في الليلة الدّجنة ويرى مضارها ومنافعها وأثر سفادها وفراخها ونسلها، فقلنا عند ذلك إنه بصير لا يبصر خلقه)^(٥٣٧).

القديم

وإنه تعالى (قدسم أزي أبدي) كما قال سبحانه: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْبُوقِين﴾^(٥٣٨).

وقال عزوجل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾^(٥٣٩).

وعن أمير المؤمنين (ع) قال: (إنما يقال متى كان لما لم يكن، فأما ما كان فلا يقال متى كان، كان قبل القيل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد)^(٥٤٠).

وعن الإمام الباقر (ع) سُئل عن الله متى كان؟ فقال: (متى لم يكن حتى أخبرك متى

^(٥٣٤) سورة غافر: ٢٠.

^(٥٣٥) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٦٩ ب ١ ح ١٥٢.

^(٥٣٦) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٧ ب ٤ ح ٣.

^(٥٣٧) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٦ ب ٣ ح ١٢.

^(٥٣٨) سورة الواقعة: ٦٠ . وسورة المعارج: ٤١.

^(٥٣٩) سورة الحديد: ٣.

^(٥٤٠) الكافي: ج ١ ص ٩٠ ح ٨.

كان) ^(٥٤١) .

الحيّ

كما أن الله سبحانه وتعالى (حي) يعني أنه ليس بمنزلة، لا أن حياته كحياتنا، بل حياته عين ذاته.

كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الْحَيُ الْقَيُّومُ﴾ ^(٥٤٢) .

وقال تعالى: ﴿وَعَنْتُ الْوِجْهَ لِلْحَيِ الْقَيُّومِ﴾ ^(٥٤٣) .

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ^(٥٤٤) .

وعن أبي بصير قال: أخرج أبو عبد الله (ع) حقاً فأخرج منه ورقة فإذا فيها: (سبحان الواحد الذي لا إله غيره، القديم المبدئ، الذي لا بدء له، الدائم الذي لا نفاد له، الحي الذي لا يموت، الخالق ما يرى وما لا يرى، العالم بكل شيء بغير تعليم، ذلك الله الذي لا شريك له) ^(٥٤٥) .

المدرك

وإنه سبحانه وتعالى (مدرك)، وليس دركه مثل دركنا بالحسنة، بل هو بذاته مدرك.

كما قال سبحانه: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ^(٥٤٦) .

وعن الإمام الرضا (ع): (أول عبادة الله معرفته . إلى أن قال: مدرك لا مجسدة) ^(٥٤٧) .

وعن الإمام الرضا (ع) في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ . إلى

^(٥٤١) الاحتجاج: ص ٣٢١ .

^(٥٤٢) سورة البقرة: ٢٥٥ . وسورة آل عمران: ٢ .

^(٥٤٣) سورة طه: ١١١ .

^(٥٤٤) سورة الفرقان: ٥٨ .

^(٥٤٥) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٨٥ ب ١٢ ح ٤ .

^(٥٤٦) سورة الأنعام: ١٠٣ .

^(٥٤٧) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٧ ب ٤ ح ٣ .

أن قال: فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام^(٥٤٨).

وفي دعاء قنوت الإمام زين العابدين (ع): (فأنت المدرك غير المدرك)^(٥٤٩).

وفي دعاء الإمام الصادق (ع): (يا الله الطالب المدرك)^(٥٥٠).

المزيد الكاره

وهو سبحانه (مزيد كاره)، أي مزيد لأفعاله، وهي تصدر عنه بالإرادة والاختيار، ويكره أشياء فلا يخلقها تكopian، كما أنه يريد طاعة المخلوقين ويكره معصيتهم.. فيأمر بالواجبات والمستحبات وينهى عن المحرمات والمكرهات تشرعياً.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرُّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٥٥١).

وقال سبحانه: ﴿يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٥٥٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥٥٣).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَعْذِبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾^(٥٥٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالَ لَمَّا يَرِيدُ﴾^(٥٥٥).

وقال عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَرِيدُ﴾^(٥٥٦).

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَرِيدُ﴾^(٥٥٧).

^(٥٤٨) الكافي: ج ١ ص ٩٨ ح ١٠.

^(٥٤٩) بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ٢١٦ ب ٣٣ ح ١.

^(٥٥٠) بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٤٤٤ ب ١٢٩ ح ٤٤.

^(٥٥١) سورة الأحزاب: ٣٣.

^(٥٥٢) سورة البقرة: ١٨٥.

^(٥٥٣) سورة يس: ٨٢.

^(٥٥٤) سورة التوبة: ٨٥.

^(٥٥٥) سورة هود: ١٠٧.

^(٥٥٦) سورة الحج: ١٤.

وقال تعالى: ﴿ولَكُنَ اللَّهُ حُبُّكُمُ الْإِيمَانُ وَزِينَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكُرْهَكُمُ الْكُفْرُ وَالْفَسُوقُ وَالْعُصِيَانُ﴾^(٥٥٨).

وقال عزوجل: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَهُ عِنْدَ رَبِّكَ مُكْرُوهًا﴾^(٥٥٩).

وفي حديث الإمام الرضا (ع) قال:

(أَمَا الطَّاعَاتُ فَإِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَمُشَيْتُهُ فِيهَا: الْأَمْرُ بِهَا وَالرِّضَى لَهَا وَالْمَعَاوَنَةُ عَلَيْهَا، وَإِرَادَتُهُ وَمُشَيْتُهُ فِي الْمَعَاصِي: النَّهْيُ عَنْهَا وَالسُّخْطُ لَهَا وَالْخَذْلَانُ عَلَيْهَا) ^(٥٦٠).

وعن أبي عبد الله (ع) أنه قال: (وَهُوَ مُتَعَالٌ نَافِذُ الْإِرَادَةِ وَالْمُشَيْتِ فَعَالٌ لِمَا يَشَاءُ)^(٥٦١).

المتكلم

كما إن من صفاته عز وجل أنه سبحانه (متكلّم)، ومعنى كلامه أنه يخلق الكلام في شيء كشجرة أو فضاء أو ما أشبه ذلك.

قال سبحانه: ﴿وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٥٦٢).

وقال تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ﴾^(٥٦٣).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكُلِّمَ اللَّهَ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(٥٦٤).

وعن علي أمير المؤمنين (ع): (متكلّم لا بروية)^(٥٦٥)

الصادق

^(٥٥٧) سورة الحج: ١٦.

^(٥٥٨) سورة الحجرات: ٧.

^(٥٥٩) سورة الإسراء: ٣٨.

^(٥٦٠) بحار الأنوار: ج ٥ ص ١١١ ب ١ ح ١٨.

^(٥٦١) الكافي: ج ١ ص ٨٥ ح ٦.

^(٥٦٢) سورة النساء: ١٦٤.

^(٥٦٣) سورة البقرة: ٢٥٣.

^(٥٦٤) سورة الشورى: ٥١.

^(٥٦٥) نوح البلاغة: الخطبة ١٧٩ الفقرة ١.

وهكذا الله سبحانه وتعالى (صادق)، لا يجوز عليه الكذب مطلقاً، لأن الكذب ناشئ عن نفس باعثة على القبح أو العجز أو الخبث، وهو سبحانه منزه عن كل ذلك.

وفي القرآن الحكيم: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٥٦٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٥٦٧).

إلى غير ذلك من صفات الله الثبوتية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصْوُرُ لِهِ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَى﴾^(٥٦٨).

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾^(٥٦٩).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥٧٠).

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٥٧١).

وفي دعاء جوشن الكبير المروي عن الإمام زين العابدين عن آبائه (ع) عن النبي(ص) :
(اللهم إني أسألك باسمك يا الله يا رحمن يا رحيم يا كريم يا مقيم يا عظيم يا قدس يا عليم يا حليم يا حكيم)^(٥٧٢).

وفيه أيضا: (اللهم اني اسألك باسمك يا كافي يا شافي يا وافي يا معافي يا هادي يا داعي يا قاضي يا راضي يا عالي يا باقي)^(٥٧٣).

ومثل ما عن أمير المؤمنين (ع): (الحمد لله الواحد الأحد)^(٥٧٤).

والبحث في هذا الباب طويل لا يسعه المقام والتفصيل في علم الكلام، فإنه لو أراد

^(٥٦٦) سورة النساء: ٨٧.

^(٥٦٧) سورة النساء: ١٢٢.

^(٥٦٨) سورة الحشر: ٢٤.

^(٥٦٩) سورة سباء: ٢.

^(٥٧٠) سورة الحديد: ٢.

^(٥٧١) سورة الملك: ١٤.

^(٥٧٢) الدعاء والزيارة: ص ١٩٠. دعاء جوشن الكبير.

^(٥٧٣) الدعاء والزيارة: ص ١٩٥. دعاء جوشن الكبير.

^(٥٧٤) الكافي: ج ١ ص ١٣٤ ح ١.

الإنسان أن يحصي حتى الآيات والروايات المتعلقة بالصفات التبوية لاحتاج إلى كتاب.

الصفات السلبية

أما ما يدل على الصفات السلبية فهي كثيرة، آية ورواية، بالإضافة إلى العقل.

قال سبحانه: ﴿فَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْفُونَ﴾^(٥٧٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٥٧٦).

وقال سبحانه: ﴿سَبَّحَنَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْفُونَ﴾^(٥٧٧).

وقال تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٥٧٨).

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمْثُلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥٧٩).

وقال تعالى: ﴿سَبَّحَنَ رَبِّكَ رَبُّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصْفُونَ﴾^(٥٨٠).

وعن الإمام الصادق (ع) في قوله عز وجل: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾،

قال (ع): (إحاطة الوهم)^(٥٨١)

وعن أبي هاشم الجعفري عن الرضا (ع) قال: سأله عن الله عز وجل هل يوصف؟

فقال: (أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ

يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؟ قلت: بلى، قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: وما هي؟ قلت:

أبصار العيون، فقال (ع): إن أوهام القلوب أكثر من أبصار العيون، فهو لا تدركه الأوهام

وهو يدرك الأوهام)^(٥٨٢).

^(٥٧٥) سورة الأنبياء: ٢٢.

^(٥٧٦) سورة الأنعام: ٩١.

^(٥٧٧) سورة الزخرف: ٨٢.

^(٥٧٨) سورة الأنعام: ١٠٣.

^(٥٧٩) سورة الشورى: ١١.

^(٥٨٠) سورة الصافات: ١٨٠.

^(٥٨١) التوحيد: ص ١١٢ ب ٨ ح ١٠.

^(٥٨٢) التوحيد: ص ١١٢ و ١١٣ ح ١١.

وعن الصادق (ع) انه كان يقول: (الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس ولا يلمس ولا يدرك بالحواس الخمس) ^(٥٨٣).

وعن الرضا (ع): (لا تضطه العقول، ولا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأ بصار، ولا يحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة، وكلت دونه الأ بصار، وضل فيه تصارييف الصفات) ^(٥٨٤).

وعن الصادق (ع): (من شبه الله بخلقه فهو مشرك، إن الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه) ^(٥٨٥).

وعنه (ع): (من عبد الله بالتوهم فقد كفر) ^(٥٨٦).

وفي الدعاء الموسوم بمناجاة العارفين: (ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك) ^(٥٨٧).

أقول: فإن العقل يعرف أنه لا يمكن معرفة الله سبحانه وتعالى لما ذكرناه من الدليل السابق، حيث يستحيل إحاطة المحدود باللامحدود.

وعن أمير المؤمنين (ع): (من تفكّر في ذات الله أخذ) ^(٥٨٨).

وعنه (ع) أيضاً: (من فكر في ذات الله تزندق) ^(٥٨٩).

وعن الصادق (ع): (إياكم والتفكير في ذات الله فإن التفكّر في ذات الله لا يزيد إلا تيهأ) ^(٥٩٠).

^(٥٨٣) التوحيد: ص ٧٥ ج ٢٩.

^(٥٨٤) علل الشرائع: ص ٩٠ ج ٣ ح ٩ ب ١٠.

^(٥٨٥) التوحيد: ص ٨٠ ح ٣٦.

^(٥٨٦) التوحيد: ص ٢٢٠ ح ١٢.

^(٥٨٧) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٥٠ ج ٢١ ح ٣٢.

^(٥٨٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٢ ح ١٢٨٤.

^(٥٨٩) تحف العقول: ص ٩٦.

^(٥٩٠) الأمالي (للصدوق): ص ٤١٧ ج ٦٥ ح ٣.

وعن البارق (ع): (دعوا التفكير في الله، فإن التفكير في الله لا يزيد إلاّ تيهًا)^(٥٩١) .
والروايات النافية عن التفكير في ذات الله تدل على أنه تعالى لا يدرك بالأبصار وهو متزه
عما في الأفكار.

وعن موسى بن جعفر (ع): (إن الله أعلى وأجل وأعظم من أن يبلغ كنه صفته،
فصفوه بما وصف به نفسه، وكفوا عما سوى ذلك)^(٥٩٢) .

أقول: مثل اختلاف بعض الحكماء في أن الله تعالى هل هو مبتهج بذاته وبقدراته وقوته
وعلمه وسائل الأشياء أو ليس بمبتهج، كما يجده الإنسان في الكتب الفلسفية وغيرها.

وعن علي (ع): (سبحان الذي ليس له أول مبتدى ولا غاية منتهى ولا آخر يفني،
سبحانه هو كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته)^(٥٩٣) .

وعن أبي الحسن (ع): (من أرضى الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومن أسرط الخالق
فقم أن يسلط الله عليه سخط المخلوق، وأن الخالق لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه،
وأني يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناهه والخطرات أن تخدّه والأبصار عن
الإحاطة به، جلّ عما وصفه الواصفون)^(٥٩٤) .

وعن إسماعيل قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد؟
فقال: (سبحان الله تعالى علواً كبيراً، يا بن الفضل إن الأبصار لا تدرك إلا ماله لون وكيفية،
والله خالق الألوان والكيفية)^(٥٩٥) .

أقول: لقد ذكر شرح التجريد^(٥٩٦) شروطاً متعددة للإدراك البصري، وكلها مفقودة
بالنسبة إلى الله سبحانه.

(٥٩١) التوحيد: ص ٤٥٧ ح ١٣.

(٥٩٢) الكافي: ج ١ ص ١٠٢ ح ٦.

(٥٩٣) الكافي: ج ١ ص ١٣٤ ح ١.

(٥٩٤) الكافي: ج ١ ص ١٣٧ ح ٣.

(٥٩٥) الأمالي (للصدوق): ص ٤١٠ المجلس ٦٤ ح ٣.

(٥٩٦) راجع القول السديد في شرح التجريد، للإمام المؤلف (دام ظله).

وعن الرضا (ع): (ما توهتم من شيء فتوهموا الله غيره) ^(٥٩٧).

وعن أمير المؤمنين (ع): (احتجب عن العقول كما احتجب عن الأ بصار) ^(٥٩٨).

وعنه (ع): (الحمد لله الواحد الأحد - إلى أن قال - فليست له صفة تناول ولا حدة يضرب له الأمثال) ^(٥٩٩).

إلى غيرها من الروايات الكثيرة الدالة على الصفات الحلالية السلبية.

^(٥٩٧) التوحيد: ص ١١٤ ح ١٣٠.

^(٥٩٨) متشابه القرآن: ج ١ ص ٧٥.

^(٥٩٩) التوحيد: ص ٤١.

ما استدل به المتكلمون من الآيات والروايات

ولا بأس هنا بالإشارة إلى بعض ما ذكره المتكلمون والمحدثون ومن أشبههم من الأحاديث الكثيرة الدالة على مختلف الصفات الشبتوية أو السلبية، كما أفهم استدلوا بالاستدلال العقلي لكل صفة صفة سلباً أو إيجاباً، وهي أكثر من أن تحصى، نذكر جملة منها إماعاً لا استيعاباً.

ثم بالإضافة إلى أنها آيات وروايات فهي أدلة عقلية أيضاً، لأن العقل يدل على المؤثر ولا يمكن أن ينكر ذلك إلا من أنكر الضرورة كالسوفسطائيين ومن اتبعهم من المعاندين. قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلْقَكُمْ مِّنْ تَرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بُشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٦٠٠).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلْقَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُّوْدَةً وَرَحْمَةً إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٦٠١).

أقول: الفرق بين المودة والرحمة: أن الرحمة قلبية والمودة خارجي إذا اجتمعا، وإذا افترقا فيشمل كل واحد منهما كلا الأمرين.

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْفَ الْأَسْنَتِكُمْ وَالْأَلْوَانِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٦٠٢). ولعل المراد بالألسنة: اللهجات المختلفة، ولو أريد بالألسنة مثل العربية والتركية والفارسية وما أشبه أيضاً كان ذلك دليلاً وآية لجأ على هذه الأمور.

وقال عزوجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاوُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(٦٠٣).

والمراد بـ ﴿ابْتِغَاوُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾: أن الإنسان وضع بحيث يتغير من فضل الله تكويناً، فإنه من جعل فيه هذه الحالة والقدرة غير خالق قادر؟، وإن كان مضافاً إلى المفعول فأوضح.

^(٦٠٠) سورة الروم: ٢٠.

^(٦٠١) سورة الروم: ٢١.

^(٦٠٢) سورة الروم: ٢٢.

^(٦٠٣) سورة الروم: ٢٣.

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يَرِيكُمُ الْبَرَقُ خَوْفًا وَطَمْعًا وَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فِي حِيٍَّ بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ﴾^(٦٠٤).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دُعَوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾^(٦٠٥). فإن قيام السماء والأرض على هذا النظام الدقيق آيات من آيات الله سبحانه.

وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تَسِيمُونَ﴾^(٦٠٦).

وقال تعالى: ﴿رَبَّنِيتُ لَكُمْ بِهِ النَّرْزَعُ وَالزَّيْتُونُ وَالنَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ وَمِنْ كُلِّ الشُّمُراتِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٦٠٧).

ولعل اختلاف المفرد والجمع في الزيتون والنخيل والأعناب مثلاً، من باب التنويع كما ذكره علماء البلاغة^(٦٠٨).

وقال عزوجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾^(٦٠٩) وهكذا هنا، حيث جعل الليل والنهار والشمس والقمر بصيغة ﴿سَخَّرَ﴾، بينما النجوم جعلتها بصيغة ﴿مَسْخَرَاتٍ﴾ مع أن الكل مسخّر للإنسان ومسخرات بأمر الله سبحانه وتعالى، هذا ومن الممكن أن تكون هناك نكات أخرى لا مجال لتفصيلها هنا.

وقال سبحانه: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهُ﴾^(٦١٠).

أقول: لعل المراد بالألوان: الألوان التي تشاهد بالبصر، كما يمكن أن يكون المراد الأعم

^(٦٠٤) سورة الروم: ٢٤.

^(٦٠٥) سورة الروم: ٢٥.

^(٦٠٦) سورة النحل: ١٠.

^(٦٠٧) سورة النحل: ١١.

^(٦٠٨) راجع كتاب البلاغة، للإمام المؤلف (دام ظله).

^(٦٠٩) سورة النحل: ١٢.

^(٦١٠) سورة النحل: ١٣ و ١٢.

من الأشكال والطعوم والجحوم^(٦١١) وغير ذلك.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾^(٦١٢) وهكذا يأتي باب التنويع البلاغي في ذكر آياته وذكر ﴿الآية﴾ تارةً جماعاً وتارةً مفرداً، ولجهات أخرى أيضاً.

وقال عزوجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ الْبَرَّ لِتَأْكِلُوا مِنْهُ لَحْمًاً طَرِيًّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبِسُونَهَا وَتَرِيَ الْفَلَكَ مَا خَرَّ فِيهِ وَلِتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعِلْكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٦١٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾^(٦١٤) والمراد بالرواسي: الجبال ﴿أَنْ تَمِيدَ بَكُمْ﴾^(٦١٤) أي لأن لا تميد وتحرك بكم، فإن الجبال منزلة المسامير في الأرض حتى لا تتقطع بسبب التحرك وما أشبه ذلك^(٦١٥).

﴿وَأَنْهَارًا وَسَبَلًا لِعِلْكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٦١٦)، والسبل أيضاً من آيات الله سبحانه وتعالى، وإنما كان من الممكن أن تجعل الأرض بحيث لا سبل فيها.

وقال سبحانه: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٦١٧)، فإن السائرين في البر والبحر يهتدون بالنجوم عادة، فقوله: ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ من باب الجنس لا من باب الفرد.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٦١٨)، فكيف تتحذرون غير الخالق إله؟.

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(٦١٩).

^(٦١١) جمع (حجم).

^(٦١٢) سورة النحل: ١٣.

^(٦١٣) سورة النحل: ١٤.

^(٦١٤) سورة النحل: ١٥.

^(٦١٥) وقال تعالى: ﴿وَالْجَبَالُ أَوْتَادًا﴾ سورة النبأ: ٧.

^(٦١٦) سورة النحل: ١٥.

^(٦١٧) سورة النحل: ١٦.

^(٦١٨) سورة النحل: ١٧.

^(٦١٩) سورة النحل: ٦٥.

وقال تعالى: ﴿وَإِن لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لِعْبَرَةٌ نَسْقِيكُمْ مَا فِي بَطْوَنِهِ﴾^(٦٢٠).
أقول: الإتيان بالضمير المذكر المفرد باعتبار اللبن إذ الضمير المفرد يرجع إلى (ما) أو لغير ذلك مما هو مذكور في محله^(٦٢١).

﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمْ لَبَنًا خَالصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾^(٦٢٢).

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَحَذَّلُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ لعل المراد به السكر، لأن السكر يؤخذ مما ينبت من الأرض^(٦٢٣) ﴿وَرَزْقًا حَسَنًا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٦٢٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجَبَالِ بَيْوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾^(٦٢٥) والمراد بـ ﴿كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الثمرات المناسبة.

﴿فَاسْلُكِي سِبِّلَ رَبِّكَ ذَلِلًا﴾ رواحاً ومجيناً وصعوداً وزولاً.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطْوَنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ من أبيض وأصفر وأحمر.

﴿فِيهِ شَفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ومن الواضح أن العسل شفاء لكثير من الأمراض البلغمية وما أشبه ذلك^(٦٢٦) ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٦٢٧).

(٦٢٠) سورة النحل: ٦٦.

(٦٢١) وفي تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان، للإمام المؤلف: ج ٤ ص ١١٥: ﴿نَسْقِيكُمْ مَا فِي بَطْوَنِهِ﴾ أي ما في بطん كل واحد منها، فإنه يجوز إرجاع ضمير المفرد إلى الجمع، باعتبار كل واحد، كما قال سبحانه: ﴿وَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسْنَهُ﴾.

(٦٢٢) سورة النحل: ٦٦.

(٦٢٣) وفي تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٤: ١: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَحَذَّلُونَ مِنْهُ﴾ إن كل واحد من تلك الثمرات . على ما تقدم في الآية السابقة . ﴿سَكَرًا﴾ أي خلا، كما في بعض التفاسير).

(٦٢٤) سورة النحل: ٦٧.

(٦٢٥) سورة النحل: ٦٩٦٨.

(٦٢٦) وفي تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٤ ص ١١٩: ﴿فِيهِ شَفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ فإن العسل ينفع من الأمراض الباردة، فليس المراد أنه شفاء لجميع الأمراض، وإنما هو من قبيل القضايا

وقال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾^(٦٢٨) حيث يتأخر وفاته.

﴿لَكِي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمِ شَيْئًا﴾ لأن يصل إلى هذه الحالة، لا لأجل ذلك، ويمكن أن يكون المراد: لأجل ذلك حتى يكون سبباً لكسر كبرياء الناس وقلة غلوائهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(٦٢٩).

وقال سبحانه: ﴿الَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَصُورَكُمْ فَأَحْسِنُ صُورَكُم﴾

والمراد بـ﴿أَحْسِنُ صُورَكُم﴾: إما الصورة الظاهرة أو كيفية التركيب إلى مزايا وخصوصيات الإنسان فإن كلها يسمى صوراً، كما يحتمل الجمع ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَبَارِكْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِين﴾^(٦٣٠).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عُلْقَةٍ ثُمَّ يَخْرُجُكُمْ طَفَلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شَيْوَخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلِ وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مَسْمَى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾^(٦٣١) فإن جعل التراب طعاماً، ثم تحول الطعام إلى الدم، ثم إلى النطفة، ثم ذلك الخلق الآخر..! كلها بحاجة إلى عالم قادر في غاية القدرة وسعة العلم، وهذه أدلة عقلية أيضاً كما سبق.

وقال سبحانه: ﴿الَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لَتَرْكِبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكِلُون﴾^(٦٣٢)، أي بعضها تركبون، وبعضها تأكلون أنفسها أو نتائجها كاللبن وما أشبه ذلك.

الطبيعية، كقولك الشيء الفلاسي مليئ، لا تريده أنه في كل مزاج وطبع وحالة، بل تريده أن طبيعة ذلك).

(٦٢٧) سورة النحل: ٦٩.

(٦٢٨) سورة النحل: ٧٠.

(٦٢٩) سورة النحل: ٧٠.

(٦٣٠) سورة غافر: ٦٤.

(٦٣١) سورة غافر: ٦٧.

(٦٣٢) سورة غافر: ٧٩.

﴿ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ فإن الأنعام تخدم الإنسان في حوائجه ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾^(٦٣٣).

﴿وَيَرِبُّكُمْ آيَاتُهُ فَأَيُّ آيَاتُ اللَّهِ تَكْرُونَ﴾^(٦٣٤)، أي بأنها ليست آية، أو أنها لا تدل على إله حكيم خبير أو الإنكار العملي أو ما أشبه.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوْرُ اللَّيلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوْرُ النَّهَارَ عَلَى الْلَّيلِ وَسُخِّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مَسَمِّي﴾، حيث ينتهي هذا العالم بشمسه وقمره في يوم ما، وقد حدّده البعض من علماء الغرب^(٦٣٥).

﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾^(٦٣٦)، و(العزيز) هو النادر الوجود الكثير النفع، فهو تعالى مع عزته يغفر الذنوب بل غفار لها، وليس كالمستبددين الذين لا يعثرون بالناس وياخذون المذنبين بذنوبهم بل وغير المذنبين أيضاً.

وقال سبحانه: ﴿خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهو آدم (عليه السلام).

﴿ثُمَّ جَعَلْتُ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ^{١١}.

﴿وَأَنْزَلْتُ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَّةً أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بَطْوَنِ أَمْهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ حيث إن النطفة تصير علقة والععلقة تصير مضعة وهكذا..

﴿فِي ظُلْمَاتِ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تَصْرِفُونَ﴾^(٦٣٧) أي: إلى هنا وهناك: بأنه لا رب للكون إطلاقاً أو أن ربه الأصنام أو ما أشبه ذلك، وقال تعالى: ﴿تَصْرِفُونَ﴾ . بصيغة المجهول . باعتبار أن الصوارف هي التي تصرف الإنسان عن الحق وإن كان باختياره، وإن الإنسان بفطرته يعتقد بإله قادر حكيم ليس من جنس الصنم وما أشبه ذلك.

^(٦٣٣) سورة غافر: ٨٠.

^(٦٣٤) سورة غافر: ٨١.

^(٦٣٥) فقال بعضهم: إنه ستة عشر ملياراً من السنوات.

^(٦٣٦) سورة الزمر: ٥.

^(٦٣٧) سورة الزمر: ٦.

وقال تعالى: ﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾^(٦٣٨) الطين الساللة أي الحالص لا بزوابئه ونواقصه^(٦٣٩).

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه حلقاً آخر^(٦٤٠) أي: بإيجاد الروح فيه.

وقال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٦٤٠) و(تبارك) معناه الدوام والثبات من (بركت الإبل) إذا ثبتت على الأرض.

وقال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرِ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ﴾^(٦٤١) فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون^(٦٤١).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدْرَهُ مَنَازِلٌ﴾ أي قدر القمر أن يسير في منازل.

﴿لَتَعْلَمُوا عَدْدَ السَّنَنِ وَالْحَسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يَفْصِّلُ الْآيَاتَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٦٤٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَقَوَّنُونَ﴾^(٦٤٣)، فإن المخلوقات المختلفة كلها من صنع الله سبحانه وتعالى ومن آياته، ولعله إشارة إلى نفي وحدة الوجود، أو نفي إن الواحد لا يصدر منه إلا الواحد، على

^(٦٣٨) سورة (المؤمنون): ١٢.

^(٦٣٩) (من ساللة من طين) الساللة: اسم لما يسل من الشيء، فإن الإنسان في ابتداء خلقه يُسل ويخرج من التراب النظيف، إذ هو الذي يتبدل نباتاً، ولذا سمي طيناً، لأن التراب ما لم يخلط بالماء لا يكون نباتاً. تفسير تعریف القرآن للإمام المؤلف (دام ظله).

^(٦٤٠) سورة (المؤمنون): ١٣ و ١٤.

^(٦٤١) سورة (المؤمنون): ١٨ و ١٩.

^(٦٤٢) سورة يونس: ٥.

^(٦٤٣) سورة يونس: ٦.

ما ذكره أصحاب العقول العشرة، فإن ذلك إن صح فإنما يصح في الفاعل بالقسر لا في الفاعل بالإرادة فكيف بالباري تعالى، كما حق ذلك في الصحيح من علم الفلسفة.

وفي آية أخرى قال سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمِيَّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبَّاً فَمَنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ وجعلنا فيه جنات من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون ﴿لَيَأْكُلُوا مِنْ ثُمَرِهِ وَمَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ﴾^(٦٤٤)، أي أن أيديهم لم تعمل ذلك وإنما هو بعمل الله سبحانه وتعالى، هذا على تقدير أن يكون ﴿مَا عَمِلْتُهُ﴾ بصيغة النفي ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾^(٦٤٥).

وقال تعالى: ﴿سَبَّحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلُّهَا مَا تَبَتَّلَ الْأَرْضُ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦٤٦) فإن كثيراً من الأشياء كشفت إزدواجيتها بعد قرون من نزول هذه الآية، ولعل كثيراً من الأشياء أيضاً باقية لا نعرف زوجيتها، وسيعلم أو سوف يعلم ذلك مستقبلاً، أو لا يعلم إلى يوم القيمة.

وقال الله العزيز: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الظَّلَّالُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ إِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ﴾ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم^(٦٤٧)، وقال بعض علماء الفلك إن استقرار الشمس في آخر دورها النسر الواقع الذي هو نجمة تشاهد في السماء، أو غير ذلك.

وقال سبحانه: ﴿وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٦٤٨) فيبتدىء بالهلال ثم ينتهي إلى الهلال.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الظَّلَّالُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِلَكٍ يَسْبِحُونَ﴾^(٦٤٩) باختلاف التعبير حيث جعل الشمس لا تدرك القمر، وجعل القمر لا يدرك الشمس، حيث قال: ﴿وَلَا الظَّلَّالُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾.

^(٦٤٤) سورة يس: ٣٥.٣٣.

^(٦٤٥) سورة يس: ٣٥.

^(٦٤٦) سورة يس: ٣٦.

^(٦٤٧) سورة يس: ٣٧ و ٣٨.

^(٦٤٨) سورة يس: ٣٩.

^(٦٤٩) سورة يس: ٤٠.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزَلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَّعُوا وَيُنَشِّرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٦٥٠).

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾^(٦٥١).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرَ﴾^(٦٥٢) أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً و يجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قادر^(٦٥٢).

وقال سبحانه: ﴿أَوْلَمْ يَرَوُا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعِي بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بِلِي إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦٥٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكُ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتُ وَأَحْيَىٰ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الْذِكْرَ وَالْأَنْثَىٰ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تَمَنَّىٰ﴾^(٦٥٤).
إلى غيرها من الآيات الكثيرة.

(٦٥٠) سورة الشورى: ٢٨.

(٦٥١) سورة الشورى: ٢٩.

(٦٥٢) سورة الشورى: ٤٩ و ٥٠.

(٦٥٣) سورة الأحقاف: ٣٣.

(٦٥٤) سورة التحريم: ٤٦-٤٣.

روايات في هذا الباب

وأما الروايات فهي أكثر من الإحصاء:

ففي نهج البلاغة: (الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور ودللت عليه أعلام الظهور . إلى أن قال: . لم يطلع العقول على تحديد صفتة ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود، تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاددون له علواً كبيراً) ^(٦٥٥).

وعنه (ع) في خطبة من خطبه: (دليله آياته ووجوده إثباته) ^(٦٥٦).

وفي رواية أخرى: إن رجلاً أتاه فقال له: يا أمير المؤمنين، صفت لنا ربنا مثل ما نراه عياناً، لزداد له حباً وبه معرفة، فغضب ونادى: (الصلاحة جامدة، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (ص). أقول: لعل وجه غضب أمير المؤمنين علي (ع) أن السائل كان متعنتاً لكتنه (ع) لم ير بدأً من الجواب أمام الناس حتى لا يقولوا عجز أو ما أشبه ذلك، أو كان متعلماً لكنه أراد الصفة على نحو التجسيم كما هو في أذهان العوام غالباً، إلى غير ذلك من الاحتمالات.

ثم قال (ع): (الذي ابتدع الخلق على غير مثال امثاله، ولا مقدار احتذى عليه، من حلق معبود كان قبله، وأرانا من ملوكوت قدرته وعجائب ما نطقنا به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمه بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته، فظهرت البدائع التي أحدثتها آثار صنعته وأعلام حكمته، فصار كل ما خلق حجة له ودليله عليه، وإن كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبر ناطقة، ودلاته على المبدع قائمة) ^(٦٥٧).

وعن الإمام الرضا (ع) قال: (بصنع الله يستدل عليه، وبالعقل تعتقد معرفته، وبالفطرة

^(٦٥٥) نهج البلاغة: الخطبة ٤٩ الفقرة ١ و ٣ و ٤.

^(٦٥٦) الاحتجاج: ص ٢٠١.

^(٦٥٧) نهج البلاغة: الخطبة ٩١ الفقرة ١٩١٦.

تبثت حجته)^(٦٥٨).

وفي كلامة أخرى لعلي (ع): (والطريق إلى معرفته صنائعه الباهرة للعقول الدالة ذوي الاعتبار بما هو منها مشهور ومعقول)^(٦٥٩).

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع): روي إن عبد الله الديصاني أتى هشام بن الحكم إلى أن قال الراوي: فخرج عبد الله بن الديصاني حتى أتى باب أبي عبد الله (ع) فاستأذن عليه، فأذن له، فلما قعد قال له: يا جعفر بن محمد دلّني على معبودي، فقال له أبو عبد الله (ع): ما اسمك؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه، فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟ قال: لو كنت قلت له عبد الله، كان يقول: من هذا الذي أنت له عبد؟ فقالوا له: عد إليه فقل له يدلك على معبودك ولا يسألوك عن اسمك، فرجع إليه فقال: يا جعفر بن محمد دلّني على معبودي ولا تسألي عن اسمي، فقال له أبو عبد الله (ع): (اجلس، وإذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها، فقال له أبو عبد الله (ع): ناولني يا غلام البيضة، فناوله إياها، فقال له أبو عبد الله (ع): يا ديساني هذا حصن مكون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذاتية، فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذاتية، ولا الفضة الذاتية تختلط بالذهب المائعة، فهي على حالها، لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدرى للذكر خلقت أم للأئمّة، تنغلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبرًا؟

قال: فأطرق ملياً ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه)^(٦٦٠).

وعن هشام بن الحكم انه قال: فكان من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبد الله (ع) قال: فما الدليل عليه^(٦٦١)؟ قال أبو عبد الله (ع): (وجود الأفاعيل التي دلت على أن صانعاً صنعها، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني، علمت أن له بانياً

(٦٥٨) عيون أخبار الرضا ع: ج ١ ص ١٥١.

(٦٥٩) الخرائج والجرائح: ص ٥٥٥.

(٦٦٠) الكافي: ج ١ ص ٧٩ ح ٤.

(٦٦١) أبي (على صانع العالم).

وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهدء؟ قال: فما هو؟ قال: هو شيء بخلاف الأشياء، إرجع بقولي ((شيء)) إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا يغيبه الزمان - إلى أن قال: قال السائل: فإننا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً، قال أبو عبد الله (ع): لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنا مرتفعاً، لأننا لم نكلّف أن نعتقد غير الموهوم، ولكننا نقول كل موهوم بالحواس مدرك مما تجده الحواس وتمثله فهو مخلوق، ولا بد من إثبات صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين: إحداهما النفي إذ كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية التشبيه إذ كان التشبيه من صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه^(٦٦٢).

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: (ولو فَكَرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٍ وَالْبَصَائرُ مَدْخُولَةٌ، أَلَا يَنْظَرُونَ إِلَى صَغِيرٍ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَأَتَقْنَ تَرْكِيَّهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ، وَسُوَى لَهُ الْعَظَمُ وَالْبَشَرُ؟).

أنظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تناول بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى حجرها وتعدها في مستقرها، تجمع في حرها لبردها، وفي وردها لصدرها، مكفول برقها، مزروقة بوفقاها، لا يغفلها المنان، ولا يحرّمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس، ولو فكرت في مجريي أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنهما وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها وبناتها على دعائهما، لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر.

ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتكم الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقائق تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوى والضعيف في خلقه إلا سواء، وكذلك السماء والهواء والرياح والماء. فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار،

^(٦٦٢) التوحيد: ص ٤٤٦. ٤٤٦.

وتفجّر هذه البحار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القالب، وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفةات، فالويل من أنكر المقدّر وجحد المدّبر، زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع ولا اختلاف صورهم صانع، ولم يلحوظوا إلى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما أدعوا، وهل يكون بناء من غير بان أو جنایة من غير جان.

وإن شئت قلت في الحرادة إذ خلق لها عينين حمراوين، وأسرج لها حدقتين قمراوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونابين بهما تقرض ومنحرين بهما تقبض، يرهبها الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبحها ولو أجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرش في نزواتها وتقضى منه شهواتها، وخلقها كلها لا يكون إصبعاً مستدقّة، فتبارك الله الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكراهاً ويعفرّ له خدّاً ووجهاً ويلقي إليه بالطاعة سلماً وضعفاً ويعطى له القياد رهبة وخوفاً.

فالطير مسخرة لأمره أحصى عدد الريش منها والنفس وأرسى قوائمه على الندى والييس وقدر أقواتها وأحصى أجناسها: فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام، دعا كل طائر باسمه وكفل له برزقه وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها وعدد قسمها فبل الأرض بعد جفوفها وأخرج نبتها بعد جدوها^(٦٦٣).

أقول: قوله (ع) (سلماً وضعفاً) فإن الإنسان منقاد لما قدّره الله سبحانه وتعالى له من المسير إلى المصير والحيز وغير ذلك اختياراً أو ما أشبه وإن كان أعطى شخص طاعة لنمرود وفرعون وهامان ومن أشبههم.

ولا يخفى أن هذه العلائم والآيات الكثيرة وهي أكثر من أن يحصيها البشر بأجمعهم بل وأضعاف أضعافهم لا حاجة إلى جميعها إطلاقاً في الدلالة، بل شعرة واحدة في جسم الإنسان دليل على الخالق صنعاً وقدرة وحياة وعلماً وإرادة وغير ذلك مما يحتاجه كل مصنوع، ولو كان بقدر الشعرة أو أضعف منها، فإن الشعرة أيضاً كبيرة جدّاً حتى إنه تمكّنوا في البلاد الصناعية وبسبب الأدوات الحديثة المتطورة من تقسيم الشعرة الواحدة إلى ملايين الأجزاء^(٦٦٤)، وحيث إننا لا نقول بالجزء الذي لا يتحراً. مما ذكر في الفلسفة . فكل جزء من

(٦٦٣) نجح البلاغة: الخطبة ١٨٥ الفقرة ٩٢٧.

(٦٦٤) لقد قسموها إلى ستة ملايين جزء.

تلك الملائكة أيضاً قابلة للتحزئة والتجزئة... وقد روى محمد بن مسلم عن الباقير (ع) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾^(٦٦٥) قال: (فمن لم يدلّه خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك بالشمس والقمر والآيات العجیبات على أن وراء ذلك أمراً هو أعظم منه فهو في الآخرة أعمى، قال: فهو عما لم يعاين أعمى وأضل سبيلاً)^(٦٦٦). والظاهر: إن المراد التمثيل لالتفسیر، والله العالم.

^(٦٦٥) سورة الإسراء: ٧٢.

^(٦٦٦) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٨ ب ٣ ح ٢.

مبعث الهدایة

مسألة: الهدایة مبعثها الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٦٦٧).

وقال عزوجل: ﴿وَأَمَّا ثُمُودٌ فَهُدِينَا لَهُمْ﴾^(٦٦٨).

وفي الآية الكريمة: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٦٦٩).

وفي آية أخرى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمَهْتَدُ﴾^(٦٧٠).

وفي آية: ﴿إِنَا هَدِينَاهُ السَّبِيل﴾^(٦٧١).

اما الروايات فكثيرة:

قال أمير المؤمنين (ع): (من اهتدى بغير هدى الله سبحانه ضل)^(٦٧٢).

وقال الإمام زين العابدين (ع) في دعائه يوم عرفة: (وعرفت الهدایة من عندك فمن التمسك للدين أو دنيا وجدك سبحانه خضع لك من جرى في علمك)^(٦٧٣).

قال رسول الله ﷺ: قال الله جل جلاله: (عبادي كلكم ضال إلّا من هديته وكلكم فقير إلّا من أغنيته وكلكم مذنب إلّا من عصنته)^(٦٧٤).

وعن حдан بن سليمان قال: سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (ع) عن قول الله

^(٦٦٧) سورة القصص: ٥٦.

^(٦٦٨) سورة فصلت: ١٧.

^(٦٦٩) سورة الفاتحة: ٦.

^(٦٧٠) سورة الإسراء: ٩٧.

^(٦٧١) سورة الإنسان: ٣.

^(٦٧٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٥ الفصل العاشر.

^(٦٧٣) الصحيفة السجادية الجامعية: ص ٣١٨ وكان من دعائه ﷺ في يوم عرفة.

^(٦٧٤) بحار الأنوار: ج ٥ ص ١٩٨ ب ٧ ح ١٦، من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩٧ ب ٢ ح ٥٨٤٨.

عَزَّ وَجْلَهُ: ﴿فَمَنْ يَرِدَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(٦٧٥) قال: (من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه ومن يرد أن يضله عن جنته ودار كرامته في الآخرة لكرهه به وعصيائه له في الدنيا يجعل صدره ضيقاً حرجاً حتى يشك في كفره ويضطرب من اعتقاده قلبه حتى يصير كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)^(٦٧٦).

وقال الإمام الرضا (ع) في قوله عَزَّ وَجْلَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٦٧٧) (ليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلّا بإذن الله وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت مكلفة متعددة وإنما إيمانها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبد عنها)^(٦٧٨).

وعن سليمان بن خالد قال قال لي أبو عبد الله (ع): (يا سليمان إن لك قلباً ومسامع وإن الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه) الحديث^(٦٧٩).

وعن أبي عبد الله (ع) قال قال أمير المؤمنين (ع) يعني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: (يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام وإنما الله لئن يهدي الله عزوجل على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه شمس وغابت (الخبر)^(٦٨٠).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: (إذا جلست في الركعة الثانية فقل: بسم الله وبالله والحمد لله . إلى أن قال . الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لننهدي لو لا أن هدانا الله الحمد لله رب العالمين)^(٦٨١).

^(٦٧٥) سورة الأنعام: ١٢٥.

^(٦٧٦) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٠٠ ب ٧ ح ٢٢.

^(٦٧٧) سورة يونس: ١٠٠.

^(٦٧٨) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٠١ ب ٧ ح ٢٥.

^(٦٧٩) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٠٣ ب ٧ ح ٣١.

^(٦٨٠) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٤٣ ب ١٠ ح ١٩٩٥.

^(٦٨١) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٣٩٣ ب ٣ ح ٨٢٦٥.

وعن أبي عبد الله (ع) في حديث قال: (فإذا جعلت رحلك في الركاب فقل بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله والله أكبر، فإذا استويت على راحلتك واستوى بك محملك فقل الحمد لله الذي هدانا للإسلام وعلمنا القرآن ومن علينا ب Muhammad ﷺ) الخبر^(٦٨٢).

وعن موسى بن جعفر عن أبيه عن الحسين بن علي (ع) قال: (كنا جلوساً في المسجد إذ صعد المؤذن المنارة فقال الله أكبر الله أكبر، فبكى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وبكينا بيائاه، فلما فرغ المؤذن قال أتدرون ما يقول المؤذن قلنا الله ورسوله ووصيه أعلم، فقال: لو تعلمون ما يقول لضحكتم قليلاً ولبكيرتم كثيراً. إلى أن قال . أشهد أن لا إله إلا الله معناه أشهد أن لا هادي إلا الله ولا دليل إلا الله) الخبر^(٦٨٣).

وقال رسول الله ﷺ : (سألكم الله المهدى وسلوه مع المداية هداية الطريق وسلوا الله السداد وسلوه مع السداد سداد العمل) ^(٦٨٤).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: (إن الله يهدي ويضل) ^(٦٨٥).

وعن علي بن رئاب عن عبد صالح (ع) قال: (ادع بهذا الدعاء في شهر رمضان . إلى أن قال . واهدنا به لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) الخبر^(٦٨٦).

وفي حديث قدسي أن الله يقول . إلى أن قال . : (وينظر المؤمن إلى الكافر في حمدني على ما هديته) ^(٦٨٧).

إلى غير ذلك من الآيات والروايات..

فالله عز وجل هو المهدى، وفي طوله الكتاب والسنّة، والمراد بالسنّة: أقوال الموصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) وأفعالهم وتقريرهم، والعقل كما تقدم يميز بين الصحيح والباطل.

^(٦٨٢) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٣٨٧ ب ٢٠ ح ١٥٠٨٠.

^(٦٨٣) مستدرك الوسائل: ج ٤ ص ٦٥ ب ٣٧ ح ٤١٨٧.

^(٦٨٤) مستدرك الوسائل: ج ٥ ص ١٦١ ب ٢ ح ٥٥٦٢.

^(٦٨٥) الكافي: ج ١ ص ١٦٤ ح ٤.

^(٦٨٦) التهذيب: ج ٣ ص ١١١ ب ١٣ ح ٣٨٠.

^(٦٨٧) الكافي: ج ٢ ص ١٠ ح ٢.

فاللازم أن يتجنب العاقل طلب الهدى من غير الله سبحانه وتعالى وقرآن وحملة دينه (عليهم أفضـل الصلاة والسلام)، وإنـا فقد وقع في الضلال، كما رأينا ذلك في كثير من الفلاسفة الذين أرادوا أن يصلوا إلى الله عـز وجلـ من غير الطرق المقرـرة شرعاً. وقد قال رسول الله (ص): (إـنـي مـخـلـفـ فـيـكـمـ الثـقـلـيـنـ كـتـابـ اللهـ، وـعـتـرـتـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ، مـاـ إـنـ تـمـسـكـتـمـ بـهـمـاـ لـنـ تـضـلـلـواـ) ^(٦٨٨) فإـنـهـ إـذـاـ لـمـ يـكـنـ التـمـسـكـ كـانـ الضـلـالـ وـهـذـاـ هـوـ مـفـهـومـ كـلـمـةـ الرـسـوـلـ (صـ).

القرآن والهدى

عن النبي (ص) أنه قال: (إنـهـ قـالـ: إـنـهـ قـرـآنـ هـوـ نـورـ الـمـبـيـنـ وـالـحـبـلـ الـمـتـيـنـ وـالـعـرـوـةـ الـوـثـقـىـ) والـدـرـجـةـ الـعـلـيـاـ وـالـشـفـاءـ الـأـشـفـىـ وـالـفـضـيـلـةـ الـكـبـرـىـ وـالـسـعـادـةـ الـعـظـمـىـ، مـنـ اـسـتـضـاءـ بـهـ نـورـهـ اللهـ، وـمـنـ اـعـتـقـدـ بـهـ فـيـ أـمـرـهـ عـصـمـهـ اللهـ، وـمـنـ تـمـسـكـ بـهـ أـنـقـذـهـ اللهـ، وـمـنـ لـمـ يـفـارـقـ أـحـكـامـهـ رـفـعـهـ اللهـ، وـمـنـ اـسـتـشـفـىـ بـهـ شـفـاهـ اللهـ، وـمـنـ آـثـرـهـ عـلـىـ مـاـ سـوـاهـ هـدـاهـ اللهـ، وـمـنـ طـلـبـ الـهـدـىـ فـيـ غـيـرـهـ أـضـلـهـ اللهـ، وـمـنـ جـعـلـهـ شـعـارـهـ وـدـثـارـهـ أـسـعـدـهـ اللهـ، وـمـنـ جـعـلـهـ إـمـامـهـ الـذـيـ يـقـتـدـيـ بـهـ وـمـعـولـهـ الـذـيـ يـنـتـهـيـ إـلـيـهـ آـوـاهـ اللهـ إـلـىـ جـنـاتـ النـعـيمـ وـالـعـيـشـ السـلـيمـ) ^(٦٨٩).

وعن أمير المؤمنين علي (ع) قال: (سمـعـتـ رـسـوـلـ اللهـ (صـ) يـقـولـ: أـتـاـيـ جـبـرـائـيلـ فـقـالـ: يـاـ مـحـمـدـ سـيـكـونـ فـيـ أـمـتـكـ فـتـنـةـ، قـلـتـ: فـمـاـ الـمـخـرـجـ مـنـهـ؟ فـقـالـ: كـتـابـ اللهـ فـيـهـ بـيـانـ مـاـ قـبـلـكـمـ مـنـ خـبـرـ، وـخـبـرـ مـاـ بـعـدـكـمـ، وـحـكـمـ مـاـ بـيـنـكـمـ، وـهـوـ الـفـصـلـ لـيـسـ بـالـهـزـلـ، مـنـ وـلـاـهـ مـنـ جـبـارـ فـعـلـ بـغـيـرـهـ قـصـمـهـ اللهـ، وـمـنـ التـمـسـ الـهـدـىـ فـيـ غـيـرـهـ أـضـلـهـ اللهـ، وـهـوـ حـبـلـ اللهـ الـمـتـيـنـ، وـهـوـ الذـكـرـ الـحـكـيمـ، وـهـوـ الـصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ، لـاـ تـرـيـغـهـ الـأـهـوـيـةـ، وـلـاـ تـلـبـسـهـ الـأـلـسـنـةـ، وـلـاـ يـخـلـقـ عـلـىـ الرـدـ، وـلـاـ يـنـقـضـيـ عـجـائـبـهـ، وـلـاـ يـشـبـعـ مـنـهـ الـعـلـمـاءـ . إـلـىـ أـنـ قـالـ: وـمـنـ اـعـتـصـمـ بـهـ هـدـيـ إـلـىـ صـرـاطـ مـسـتـقـيمـ، هـوـ الـكـتـابـ الـعـزـيزـ الـذـيـ لـاـ يـأـتـيـهـ الـبـاطـلـ مـنـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـلـاـ مـنـ خـلـفـهـ، تـنـزـيلـ

^(٦٨٨) راجـعـ مـتـشـابـهـ الـقـرـآنـ: جـ ٢ـ صـ ٥٧ـ .

^(٦٨٩) تـفـسـيـرـ الـإـمـامـ الـحـسـنـ الـعـسـكـريـ عـ: صـ ٤٤٩ـ وـبـحـارـ الـأـنـوـارـ: جـ ٨٩ـ صـ ٣١ـ بـ ١ـ حـ ٣٤ـ .

من حكيم حميد) ^(٦٩٠).

وقال الإمام البهبي (ع): (قيل لرسول الله (ص): إن أمتك ستفتن، فسائل: ما المخرج من ذلك؟ فقال: كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى العلم في غيره أضلله الله) ^(٦٩١).

وفي دعاء الإمام السجاد (ع) لختم القرآن: (اللّهم اجعلنا من يعتصم بحبله، ويأوي من المتشابهات إلى حزب معقله، ويسكن في ظل جناحه، ويهتدي بضوء صباحه، ويقتدي بتبلّج أسفاره، ويستصبح بصبحه، ولا يلتمس المهدى في غيره) ^(٦٩٢).

أهل البيت $\hat{\wedge}$ والهداية

وعن أمير المؤمنين (ع): (... ثم أخذ الله سبحانه الشهادة للربوبية والإخلاص للوحدانية وبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاء يصائر الخلق انتخاب محمد وأراهم أن الهداية معه والنور له والإمامية في أهله تقديماً لسنة العدل ول يكن الأعذار متقدماً) ^(٦٩٣).

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله عليه السلام قال: (ولنا العصمة والخلافة والهداية) ^(٦٩٤).

وعن محمد بن سنان عن أبي جعفر (ع) قال:

(إن الله لم يزل فرداً متفرداً في الوحدانية ثم خلق مهداً وعلياً وفاطمة (صلوات الله عليهم). إلى أن قال .. وفوض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصريف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق لأنهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية) ^(٦٩٥).

وعن الإمام زين العابدين (ع) حينما أدخلوه الكوفة مع الأسرى لآل الرسول (ص) قال مخاطباً أهلهما:

^(٦٩٠) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣ ح ٢.

^(٦٩١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٦ ح ١١٠. وبحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٢٧ ب ١ ح ٣٠.

^(٦٩٢) الصحيفة السجادية الجامعية: ص ١٩٥.

^(٦٩٣) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٢١٢ ب ١ ح ١٨٤.

^(٦٩٤) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٢ ب ١ ح ٣٨.

^(٦٩٥) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٣٩ ب ١٠ ح ٢١.

(أليس جدي رسول الله ويلكم أهدي البرية من سبل المضلينا) ^(٦٩٦).

وسائل أبو حنيفة أبا عبد الله (ع) عن قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ^(٦٩٧) - إلى أن قال - قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال (ع): (نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد . إلى أن قال . وبنا هداهم الله للإسلام وهو النعمة التي لاتنقطع) ^(٦٩٨).

وعن سلمان الفارسي عن رسول الله (ص) في حديث مع ابنته فاطمة الزهراء ^ل . إلى أن قال لها : (وابناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيمة كلهم هادون مهديون) الحديث ^(٦٩٩).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: قال رسول الله (ص): (إن أهل بيتي المداة بعدي أعطاهم الله فهمي وعلمي وخلقوا من طيني) الحديث ^(٧٠٠).

وعن سلمان عن النبي (ص) في خطبة قال: (أيها الناس - إلى أن قال - هم أئمة هداة مهتدون) الحديث ^(٧٠١).

وعن صالح بن سهل الهمداني عن أبي عبد الله (ع) قال: في قول الله ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ ^(٧٠٢): إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ نُورٌ مِّنْ يَشَاءُ﴾ يهدي الله بالأئمة (ع) من يشاء ^(٧٠٣).

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ﴾ ^(٧٠٤) الآية، فأما من يهدي إلى الحق فهو محمد وآل محمد من بعده ^(٧٠٥).

^(٦٩٦) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١١٢ ب ٣٩ ح ١.

^(٦٩٧) سورة التكاثر: ٨.

^(٦٩٨) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٥٨ ب ١١.

^(٦٩٩) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٥٢ ب ٢ ح ٢١.

^(٧٠٠) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٣٧ ب ٧ ح ٨١.

^(٧٠١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٤٩ ب ٣٧ ح ١٤٢.

^(٧٠٢) سورة النور: ٣٥.

^(٧٠٣) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٩ ح ١٨ ب ١.

^(٧٠٤) سورة يونس: ٣٥.

^(٧٠٥) بحار الأنوار: ج ٩ ص ٢١٣ ب ١ ح ٩١.

وعن النبي (ص) قال في علي (ع): (...لا تستنكفوا من ولاته فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به ويزهق الباطل وينهى عنه) ^(٧٠٦).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: (إذا قام القائم (ع) دعا الناس إلى الإسلام جديداً وهداهم إلى أمر قد دثر وضل عنه الجمّهور، وإنما سمي القائم مهدياً لأنّه يهدي إلى أمر مضلّول عنه، وسمي القائم لقيامه بالحق) ^(٧٠٧).

وعن الحكم بن أبي نعيم عن أبي جعفر (ع): (...يا حكم، كلنا قائم بأمر الله، قلت: فأنت المهدي، قال: كلنا يهدي إلى الله) الخبر ^(٧٠٨).

وعن أبي جعفر الباقر (ع): (إنما سمي المهدي لأنّه يهدي إلى أمر حفي) ^(٧٠٩).

وعن أبي عبد الله عن أبيه عن جده (ع) قال: خطبنا أمير المؤمنين (ع) خطبة فقال فيها: (نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّه عبد الله رسوله . إلى أن قال: فجعله الله نوراً يهدي للتي هي أقوم) ^(٧١٠).

وعن أبي عبد الله (ع) قال قال أمير المؤمنين (ع) في خطبة (أنا المهادي وأنا المهتدى) ^(٧١١).

وعن عبد الله بن عباس قال: قام رسول الله (ص) فينا خطيباً فقال: (الحمد لله على آلاته . إلى أن قال: فعليكم بالسمع والطاعة للسابقين من عترتي فإنّهم يصدونكم عن البغي ويهدونكم إلى الرشد ويدعونكم إلى الحق ... هؤلاء الأبرار المهتدون المهتدى بهم) ^(٧١٢).

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله (ع): ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ ^(٧١٣)

^(٧٠٦) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٠١ ب ٥٢ ح ٨٦.

^(٧٠٧) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٣٠ ب ٢ ح ٧.

^(٧٠٨) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ١٤٠ ب ٥ ح ١٤.

^(٧٠٩) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٥٠ ب ٢٧ ح ١٠٣.

^(٧١٠) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٢٥ ح ٢٦.

^(٧١١) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٨ ب ١ ح ١٨.

^(٧١٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٧٤ ب ١١ ح ٨٥.

^(٧١٣) سورة الرعد: ٧.

فقال (ع): (رسول الله (ص) المنذر، وعلي (ع) الاهادي) ^(٧١٤).

وعن علي (ع): (وأنا الاهادي بالولاية) ^(٧١٥).

وعن رسول الله (ص) قال: (يا علي أنت الاهادي من ضل) ^(٧١٦).

وعن علي (ع): (وأنا تارك فيكم ما تركه رسول الله (ص)) : كتاب الله وعترتي وهي عترة الاهادي إلى النجاة) ^(٧١٧).

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة الموجودة في الوسائل والبحار والمستدرك وغيرها.

لا هداية في غير القرآن والعترة

وربما يتساءل: كيف لا تكون الهدایة في غير القرآن؟

ومن المعلوم أن المراد بالقرآن الأعم من العترة الطاهرة اللهم لا نهم هم المفسرون له والمعنّيون

بـ.

فالجواب: إن مورد الهدایة عدة أمور:

أولاً: (العقيدة) فإن الهدایة في العقيدة خاصة بالقرآن، إذ في القرآن الكريم الدلالة على الإله وصفاته ^(٧١٨) والرسالة وتوابعها ^(٧١٩) والمعاد وخصوصياته، فمن لم يأخذ بما في القرآن من هذه الأمور عقيدة يكون ضالاً، وبدون التمسك بالخصوصيات الموجودة في الكتاب حول هذه الثلاثة الأصول وما يتبعها لا يمكن الوصول إلى الحقيقة، وعدم الوصول هو الضلال في عقیدته بالإله بصفته أو صفاتيه والرسالة بامتداداتها والمعاد بأحواله.

وثانياً: (الشريعة) كالعبادات التي فرضها القرآن من طهارة وصلوة وزكاة وصوم وحج وما

^(٧١٤) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٧٩ ب ٣٣ ح ٤٣.

^(٧١٥) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ١٥٣ ب ٩ ح ٤١.

^(٧١٦) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٢٢٢ ب ٤ ح ١٣.

^(٧١٧) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٤٥ ب ٢ ح ١.

^(٧١٨) كالعدل وسائر صفاته الجمالية والجلالية.

^(٧١٩) أي الإمامة.

أشبه..، فمن لم يعمل بها وكان تاركاً لما افترضه الشارع المقدس، يكون في ضلال من الطريق المستقيم.

وثالثاً: (المعاملات) من بيع وشراء ومن واجبات ومحرمات وما أشبه ذلك..، فإن كلها في القرآن الحكيم بأصولها، فمن لم يأخذ بها وخالفها كان منحرفاً، والمنحرف ضال.

ورابعاً: (الأحوال الشخصية) من نكاح وطلاق وإرث ونحوه..، فمن زاد أو نقص عما رسمه القرآن كان متنكباً عن الطريق.

خامساً: (سائر الأحكام) من قضاء وحدود وقصاص وديات، فإن أصول كل ذلك في القرآن الحكيم، والسنّة المطهّرة مفسّرة لها، فمن حاد عنها كان تائهاً في الفتنة.

وسادساً: (الأخلاق الصحيحة أخذها، والفاسدة تركاً) كالصدق والكذب، والأمانة والخيانة، والحرية واللامرية، والأخوة واللأخوة، والأمة الواحدة واللامة الواحدة، وما أشبه ذلك..، والمراد بالأخلاق معناه العام لا الخاص، فإن الشخص الذي لا يتمسك بالقرآن في هذه الأمور يكون منحرفاً عن حادة الصواب.

الهداية نسبية

لا يقال: فلماذا لا نشاهد في حياة من لا يأخذ بالقرآن ضنكًا بل يعيشون في أمن ورفة، وليس من المعقول أن يكون الضال في أمن ورفة؟

لأنه يقال: إنهم يعيشون بالقرآن أيضاً . ولو بنسبة . من تكريّمهم للإنسان وحقوقه، وأخذهم بعض الحريات المعقولة، واهتمامهم بأحقرهم وأمتهم الواحدة، وعملهم بالمعاملات الصحيحة وما أشبه..، والصحيح من ذلك مأحوذ من القرآن والسنّة، قال أمير المؤمنين (ع): (الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم) ^(٧٢٠).

كما أننا نشاهد الذين على هذه الشاكلة، لكنهم يزيدون وينقصون في الأمور الستة التي ذكرناها . عملاً . وقعوا في اخترافات فرعية أو أصلية، وحتى أن عقلاهم ومفكّرهم أذعنوا بذلك في عشرات الكلمات المنقوله عنهم، المرتبطة بأصول معتقداتهم وفروعها.

كما أن المسلمين الذين لم يعملوا بأصل أو فرع مما بينه القرآن الحكيم وقعوا في ضيق

^(٧٢٠) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧ الفقرة الخامسة.

وشدة مما معناه الضلال، فإن الضلال كلي مشكك، ولا يلزم أن يكون بنحو الموجبة الكلية دائمًا ولا عدمه كلياً، فمن أخذ بشيء من الأصول والفروع كان بمقداره مهتدياً، وبمقدار تركه ضالاً.

من أسباب اختلاف المسلمين

لا يقال: فلماذا اختلف المسلمون مع وجود القرآن فيهم؟

لأنه يقال: الاختلاف بسبب أمور:

منها: العناد، فإن القانون الصحيح لا يمكن أن يهدي المعاند، فالمعاند يعيش في الدنيا في وبال.. وفي الآخرة في النار، كما في الدعاء: (أقسمت ... وأن تخلد فيها العاندين) ^(٧٢١).

ومنها: الجهل..

ومنها: الاختلاف في الاجتهاد، ومثله غير ضار بأخذ الجميع بالجامع فإن الأصول مسلمة.

هذا وقد ذكر المتكلمون آيات المبدأ والمعاد، وذكر الفقهاء آيات الأحكام، وذكر علماء الأخلاق ما يرتبط بالأخلاق، إلى غير ذلك..

ومن راجع تلك الروايات بدقة يرى صدق قول الإمام المجتبى (ع) فيما رواه عن رسول الله (ص) حيث قال: (من ابتغى العلم في غيره ^(٧٢٢) أضل الله ^(٧٢٣)) حيث أن كل انحراف ضلال.

إلى غيرها من الروايات وغيرها..

العقل والصفات الثبوتية والسلبية

^(٧٢١) مفاتيح الجنان: دعاء كميل.

^(٧٢٢) أي في غير القرآن.

^(٧٢٣) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٢٧ ب ١ ح ٣٠.

مسألة: ضرورة العقول تدل على:
 أن للكون إلهًا حالقاً، إذ لا يمكن مصنوع بدون صانع ولا يعقل ذلك.
 وإن هذا الإله حيٌّ، إذ الميت ليس منشأ الأثر، وكيف يكون الميت موجباً للحياة وهو
 فاقد الحياة؟.
 وأن هذا الإله عالم، لأن آثار العلم ظاهرة في مخلوقاته.
 وأنه قادر، لأنه بلا قدرة لا يتمكن الصنع.
 إلى غير ذلك من (الصفات الثبوتية)، ولذا نرى حتى الذين ينكرون الأنبياء(ع) يعتقدون
 بوجود الباري سبحانه وتعالى، أما أن هذا الإله من هو وما هي صفاتاته؟ فالاختلاف في
 ذلك.

ليس كمثله شيء

كما أن ضرورة العقول تدل على أنه تعالى لا يشبهه شيء من المخلوقين، وأنه عزوجل
 مبادر لهم ولأوصافهم.
 وهذا الأمر الثاني وإن لم يكن بتلك البداهة بالنسبة إلى الأمر الأول إلا أن الأدلة
 القاطعة العقلية والنقلية دلت على ذلك، وهذه تسمى بـ (الصفات السلبية).
 قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصْفُونَ﴾^(٧٢٤).
 وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٧٢٥).
 وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٧٢٦).
 وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٧٢٧).
 وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٧٢٨).

^(٧٢٤) سورة (المؤمنون): ٩١.

^(٧٢٥) سورة آل عمران: ١٨٢، وسورة الأنفال: ٥١، وسورة الحج: ١٠.

^(٧٢٦) سورة الطور: ٤٣، وسورة الحشر: ٢٣.

^(٧٢٧) سورة الشورى: ١١.

وقال سبحانه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سَبَّانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٧٢٩).

وقال تعالى: ﴿سَبَّانُهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٧٣٠).

وقال عزوجل: ﴿سَبَّانُهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عَلَوْا كَبِيرًا﴾^(٧٣١).

وقال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سَبَّانُهُ هُوَ الْغَنِي﴾^(٧٣٢).

وعن عبد الرحمن ابن أبي بحران قال: سألت أبا جعفر (ع) عن التوحيد فقلت: أتوهّم شيئاً؟ فقال: (نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الأوهام؟، إنما يتوهّم شيء غير معقول ولا محدود)^(٧٣٣).

والمراد: إن التوهّم بهذا القدر لا بشيء فوق ذلك.

وفي توحيد المفضل عن الإمام الصادق (ع) قال: (إن العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار، ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته، فإن قالوا: فكيف يكلّف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به؟ قيل لهم: إنما كلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه، وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونفيه، ولم يكلفوا الإحاطة بصفته)^(٧٣٤).

وسائل أبو جعفر الثاني(ع): هل يجوز أن يقال لله إنه شيء؟ قال: (نعم، يخرجه من الحدّين: حدّ التعطيل وحد التشبيه)^(٧٣٥).

وعن أمير المؤمنين (ع) في خطبة خطبها بعد النبي (ص): (الحمد لله الذي أعجز

^(٧٢٨) سورة النساء: ١٧١.

^(٧٢٩) سورة التوبة: ٣١.

^(٧٣٠) سورة يونس: ١٨، سورة الروم: ٤٠، سورة الزمر: ٦٧.

^(٧٣١) سورة الإسراء: ٤٣.

^(٧٣٢) سورة يونس: ٦٨.

^(٧٣٣) الكافي: ج ١ ص ٨٢ ح ١.

^(٧٣٤) توحيد المفضل: ص ١٧٧ المجلس الرابع.

^(٧٣٥) الكافي: ج ١ ص ٨٢ ح ٢.

الأوهام أن تمال إلا وجوده) ^(٧٣٦).

وفي دعاء الصباح الذي رواه أمير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص): (يا من دل على ذاته بذاته، وتنزه عن مجازاته مخلوقاته) ^(٧٣٧).

ومعنى (دل على ذاته بذاته) أن ذاته هي التي خلقت الأشياء، والخلق يدل على الخالق. وعن صفوان بن يحيى قال: سأله أبو قرعة الحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا (ع) فاستأذنته في ذلك فأذن له، فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله للتوحيد، فقال أبو قرعة: إنا رؤينا أن الله عزوجل قسم الكلام والرؤية بين اثنين، فقسم موسى (ع) الكلام ولهم (ص) الرؤية، فقال أبوالحسن (ع): (فمن المبلغ عن الله عزوجل إلى الشقين الجن والإنس، لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار، ولا يحيطون به علمًا، وليس كمثله شيء، أليس محمدًا (ص)? قال: بلـ، قال: فكيف يحيـء رجل إلى الخلق جميـاً فيخبرـهم أنه جاء من عند الله وانه يدعـهم إلى الله بأـمر الله، ويقول: لا تدركـه الأ بصار وهو يدركـ الأ بصار ولا يحيـطـون به علمـاً وليس كـمثلـه شيءـ، ثم يقول: أنا رأـيـه بـعيـني وأـحـطـ به علمـاً وهو على صـورـةـ البـشـرـ؟ـ، أما تـسـتـحـيـونـ ما قـدـرـتـ الزـنـادـقـةـ أن تـرـمـيـهـ بـهـذـاـ أـنـ يـكـونـ يـأـتـيـ عنـ اللهـ بشـيءـ ثـمـ يـأـتـيـ بـخـلـافـهـ مـنـ وـجـهـ آـخـرـ؟ـ) ^(٧٣٨).

وفي رواية أخرى عن الرضا (ع)، قال السائل: رحمك الله فأو جدي كيف هو؟ وأين هو؟ قال: (ويلك إن الذي ذهبت إليه غلط، هو أين الأين وكان لاين، وهو كيـفـ الكـيـفـ وكان ولا كـيـفـ، ولا يـعـرـفـ بـكـيـفـوـفـيـةـ وـلـاـ بـأـيـنـوـنـيـةـ وـلـاـ يـدـرـكـ بـحـاسـةـ وـلـاـ يـقـاسـ بـشـيءـ، قالـ الرـجـلـ: فإذاـ إـنـهـ لـاـ شـيءـ إـذـاـ لـمـ يـدـرـكـ بـحـاسـةـ مـنـ الـحـوـاسـ، فقالـ أبوـ الـحـسـنـ (ع)ـ:ـ وـيلـكـ لـمـاـ عـجـزـتـ حـوـاسـكـ عـنـ إـدـرـاكـ أـنـكـرـتـ رـبـوـيـتـهـ،ـ وـنـحـنـ إـذـ عـجـزـتـ حـوـاسـنـاـ عـنـ إـدـرـاكـهـ أـيـقـنـاـ أـنـهـ رـبـنـاـ خـلـافـ الأـشـيـاءـ .ـ إـلـىـ أـنـ قـالـ:ـ فـلـمـ لـاـ تـدـرـكـ حـاسـةـ الـبـصـرـ؟ـ قـالـ:ـ لـلـفـرـقـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ خـلـقـهـ الـذـيـنـ تـدـرـكـهـمـ حـاسـةـ الـأـبـصـارـ مـنـهـمـ وـمـنـ غـيرـهـمـ،ـ ثـمـ هـوـ أـجـلـ مـنـ أـنـ يـدـرـكـهـ بـصـرـ أوـ يـحـيـطـ بـهـ وـهـمـ أـوـ

^(٧٣٦) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢١ ب ٤ ح ١

^(٧٣٧) الدعاء والزيارة: الفصل الأول، الباب الشامن، ص ١٢٠ . مفاتيح الجنان: الباب الأول، الفصل السادس، ص ٩٧

^(٧٣٨) التوحيد: ص ١١١ ح ٩ ب ٨، وشبهه في الكافي: ج ١ ص ٩٥ ح ٢.

يضبطه عقل) ^(٧٣٩).

أقول: وسبب كونه أَجَلٌ أَنَّهُ غَيْر مَحْدُودٌ، وَاللَّامَحُودُ أَجَلٌ مِّنْ أَنْ يَحْدَدَ بِمَحْدُودٍ سَوَاءَ كَانَ عَقْلًا أَوْ هَمَّا أَوْ بَصْرًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

وفي التوحيد فيما عرض عبد العظيم الحسني (رضوان الله عليه) من دينه على علي بن محمد الهادي \circ : (أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، خَارِجٌ عَنِ الْحَدَّيْنِ: حَدَّ الْأَبْطَالِ وَحَدَّ التَّشْبِيهِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِجَسْمٍ وَلَا صُورَةً وَلَا عَرْضًا وَلَا جُوْهَرًا، بَلْ هُوَ مَحْسُّمُ الْأَجْسَامِ وَمَصْبُورُ الصُّورِ وَخَالِقُ الْأَعْرَاضِ وَالْجُوَاهِرِ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُهُ وَجَاعِلُهُ وَمَحْدُثُهُ) ^(٧٤٠).

وعن أمير المؤمنين (ع): (بِهَا تَحْلِي صَانِعَهَا لِلْعُقُولِ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعَيْنَيْنِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرْكَةُ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحَدُهُ؟ إِذَا لَتَفَوَّتْ ذَاتُهُ وَلَتَجْزَأْ كَنْهُهُ وَلَا امْتَنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءُ إِذْ وَجَدَ لَهُ أَمَامًا، وَلَا تَمَسَّ التَّمَامُ إِذْ لَزَمَهُ النَّقْصَانُ، وَإِذَا لَقِمَتْ آيَةُ الْمَصْنَوْعِ فِيهِ، وَلَتَحْوَلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ) ^(٧٤١).

وعن موسى بن جعفر (ع) في حديث: (لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَلْقِهِ حِجَابٌ غَيْرَ حَلْقِهِ، احْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ، وَاسْتَرَ بِغَيْرِ سُتْرٍ مَسْتُورٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ) ^(٧٤٢).

وفي نَحْجِ الْبَلَاغَةِ عَنْ نُوفِ الْبَكَالِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَعِوَاقِبُ الْأَمْرِ) . إِلَى أَنْ قَالَ: . بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقْنَى وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ، . إِلَى أَنْ قَالَ: . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كَرْسِيُّ أَوْ عَرْشٍ أَوْ سَمَاءً أَوْ أَرْضًا أَوْ جَاهَّ أَوْ إِنْسًا، لَا يَدْرُكُ بُوْهُمْ، وَلَا يَقْدِرُ بُفَهْمِ، وَلَا يَشْغُلُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَنْقَصُهُ نَائِلٌ، وَلَا يَنْظُرُ بَعِينٌ، وَلَا يَحْدُدُ بَأْيَنٍ، وَلَا يَوْصُفُ بِالْأَزْوَاجِ، وَلَا يَخْلُقُ بَعْلَاجًا، وَلَا يَدْرُكُ بِالْحَوَاسِ، وَلَا يَقْاسِ بِالنَّاسِ . إِلَى أَنْ قَالَ: . فَإِنَّمَا يَدْرُكُ بِالصَّفَاتِ ذُووَا

^(٧٣٩) التوحيد: ص ٢٥١ و ٢٥٢ ب ٣٦ ح ٣، عيون أخبار الرضا (ع): ج ١ ص ١٣١ و ١٣٢ ب ١١ ح ٢٨.

^(٧٤٠) التوحيد: ص ٨١ باب التوحيد ح ٣٧ . وشبّهه في صفات الشيعة: ص ٤٨ ح ٦٨.

^(٧٤١) نَحْجُ الْبَلَاغَةِ: الْخُطْبَةُ ١٨٦ الفَقْرَةُ ٧ . ١٠٠ ح ٧.

^(٧٤٢) التوحيد: ص ١٧٩ ب ٢٨ ح ١٢ .

المهيات والأدوات، ومن ينقضي إذا بلغ أمد حده بالفناء، فلا إله إلاّ هو، أضاء بنوره كل ظلام وأظلم بظلمته كل نور^(٧٤٣).

والمراد بـ«بظلمته» أي الظلمة التي خلقها، لأن الظلمة مخلوقة على ما ذهب إليه جملة من الحكماء، ويدل عليه الآية المباركة: **«جعل الظلمات والنور»**^(٧٤٤)، وفي الدعاء: **«سبحان خالق الظلمة»**^(٧٤٥)، وعدم وجود واسطة في أذهاننا وبرؤيتنا لا يدل على العدم، حالهما حال الموت والحياة كما قال سبحانه: **«خلق الموت والحياة»**^(٧٤٦) والكلام في ذلك مذكور مفصلاً في الكتب الكلامية والفلسفية.

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع): (من نظر في الله كيف هو؟ هلك)^(٧٤٧).

وقد ردَّ رسول الله (ص) اليهود الذين كانوا يقولون عزير ابن الله: (إن كنتم إنما تريدون بالبنوة الولادة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بوطء آبائهم لهنّ، فقد كفرتم بالله وشَبَهُتموه بخلقه، وأوجبتم فيه صفات المحدثين، ووجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً، وأن له خالقاً صنعه وابتدعه)^(٧٤٨).

وعن أمير المؤمنين (ع): (التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمنه)^(٧٤٩).

وعن الإمام الباقر (ع): (تكلّموا فيما دون العرش، ولا تتكلّموا فيما فوق العرش، فان قوماً تكلّموا في الله عز وجل فتاهوا حتى كان الرجل ينادي من بين يديه فيجيب من

^(٧٤٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢ الفقرات ١، ٥، ١٣، ١٥، ١٧.

^(٧٤٤) سورة الأنعام: ١.

^(٧٤٥) راجع بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٢٠٧ ب ٣٧ ح ٣٧ وفيه: تسبيح علي بن موسى (ع) في اليوم العاشر والحادي عشر (سبحان خالق الظلمة). وراجع صحيفة السجادية الجامعية: ص ٥٥ الرقم ٢١ دعاؤه (ع) عند الصباح والمساء، وفيه: (الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته).

^(٧٤٦) سورة الملك: ٢.

^(٧٤٧) الحسان: ص ٢٣٧ ب ٢٤ ح ٢٠٨.

^(٧٤٨) تفسير الإمام العسكري (ع): ص ٥٣١ ح ٣٢٣.

^(٧٤٩) نهج البلاغة: قصار الحكم. ٤٧٠.

خلقه)^(٧٥٠) ولعل المراد بقوله (حتى كان الرجل ينادي...) المعنوية لالمادية، كما ورد: (إن من التفت في صلاته قلب الله وجهه وجه حمار)^(٧٥١) حيث يراد المعنوية لا المادية، وان كان من المحتمل أن تراد أيضاً بالنسبة إلى القالب المثالي الموجود في داخل هذا البدن أو ما أشبه ذلك. وعن الباقي (ع): (كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانٍه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم)^(٧٥٢).

وعن الصادق (ع): (إن الله تبارك وتعالى خلوق من خلقه، وخلقه خلوق منه، وكل ما وقع عليه اسم شيءٍ مما خلا الله عزّ وجلّ فهو مخلوق، والله خالق كل شيءٍ، تبارك الذي ليس كمثله شيءٍ)^(٧٥٣).

أقول: قد ذكرنا في الكتب الأدبية^(٧٥٤) لا يبعد أن يكون الكاف في «كمثله» كاف تزيين، حاله حال (ال) التزيين، وان لم أجده من ذكره من الأدباء.

وعن الصادق (ع) في رواية: (أما التوحيد فإن لا تجوز على ربك ما جاز عليك، وأما العدل فإن لا تنسب إلى خالقك ما لا يملك عليه)^(٧٥٥).

وعن أمير المؤمنين (ع) في خطبة من خطبه: (وتوحيدك تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)^(٧٥٦).

وفي رواية أخرى عنه (ع): (مبائن لجميع ما أحدث في الصفات ومتمنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات)^(٧٥٧).

وفي رواية عن الرضا (ع): (فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إيهاد وحد من

^(٧٥٠) التوحيد: ص ٤٥٥ ب ٦٧ ح ٧.

^(٧٥١) راجع غولي اللثالي: ج ١ ص ٣٢٢ ب ١ ح ٥٨٥ وفيه: (قال (ص): أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار?).

^(٧٥٢) بحار الأنوار: ج ٦٦ ب ٣٧ ص ٢٩٣ ح ٢٣.

^(٧٥٣) التوحيد: ١٠٥ ب ٧ ح ٣.

^(٧٥٤) راجع: المنصورية، البلاغة، المقدمات للإمام المؤلف (دام ظله).

^(٧٥٥) معاني الأخبار: ص ١١ باب معنى التوحيد والعدل ح ٢.

^(٧٥٦) الاحتجاج: ص ٢٠١.

^(٧٥٧) عيون أخبار الرضا (ع): ج ١ ص ١٢١ ب ١١ ح ١٥.

اكتنفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا به صدق من نهاده، ولا صمد صمد من أشار إليه، ولا إيهاد عن من شبهه، ولا له تذلل من بعضه، ولا إيهاد أراد من توهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول . إلى أن قال: . ومن وصفه فقد أخذ فيه، لا يتغير الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدد بتحديد المحدود، أحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلّ لابتهاج رؤية، باطن لا بمزايله، مبائن لا بمسافة، قريب لا بمدانة، لطيف لا بتجسم . إلى أن قال (ع): . بها تجلّ صانعها للعقل، وبها احتجب عن الرؤية – إلى أن قال – فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه^(٧٥٨).

وفي رواية: إن الإمام الحسين (ع) قال لนาصر: (يا نافع، إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في التباس، مائلاً على المنهاج، ظاعنا في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، يابن الأزرق: أصف إلهي بما وصف به نفسه، وأعرفه بما عرف به نفسه: لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيد غير منفصل، يوحد ولا يبعض، معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال)^(٧٥٩).

وفي رواية قام رجل إلى الإمام الرضا (ع) فقال له: يابن رسول الله، صفت لنا ربنا، فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا، فقال الرضا (ع): (إنه من يصف ربّه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس، مائلاً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، أعرفه بما عرف به نفسه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه، ومتداهن في بعده لا بنظير، لا يمثل بخليقته، ولا يجور في قضيته، الخلق إلى ما علم منقادون، وعلى ما سطر في المكتنون من كتابه ماضون، ولا يعملون خلاف ما علم منهم ولا غيره يريدون، فهو قريب غير ملتزق، وبعيد غير متقص، يتحقق ولا يفشل، ويوحد ولا يبعض، يعرف بالآيات ويثبت بالعلامات، فلا إله غيره الكبير المتعال، حدثني أبي عن أبيه عن جده عن أبيه (ع) عن رسول الله (ص) أنه قال: ما عرف الله من

^(٧٥٨) التوحيد: ص ٣٥، ٣٧، ٨١ باب التوحيد ح ٢، وشبهه في عيون أخبار الرضا (ع) : ج ١

ص ١٤٩ باب التوحيد، وتحف العقول: ص ٦١ باب خطبه (ع) في إخلاص التوحيد ٥١.

^(٧٥٩) روضة الوعظين: ص ٣٤.

شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ، وَلَا وَصْفَهُ بِالْعَدْلِ مِنْ نِسْبَةِ إِلَيْهِ ذَنْبِ عَبْدِهِ^(٧٦٠).
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي هِيَ فَوْقَ حَدِّ التَّوَاتِرِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَا دَلَّ عَلَيْهَا الْعُقْلُ
السَّلِيمُ وَالْبَرْهَانُ الْقَوِيمُ.

ثُمَّ لَا يَخْفَى أَنَّ مَا تَقْدِمُ مِنَ الْإِمَامِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ مِنْ قَوْلِهِ: (لَيْسَ بَيْنِهِ وَبَيْنِ خَلْقِهِ
حِجَابٌ غَيْرَ خَلْقِهِ) الظَّاهِرُ أَنَّ الْمَرَادَ: أَنَّ كَوْنَ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِ الْإِنْسَانِ مُخْلُوقًا، هُوَ الْحِجَابُ
الْفَاَصِلُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، إِذَا لَا يُشَبِّهُ الْخَالِقُ الْمُخْلُوقَ كَمَا لَا يُشَبِّهُ الْمُخْلُوقَ الْخَالِقَ.
وَحِيثُ ذَكَرْنَا تَفْصِيلَ بَعْضِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ بِالْأَدْلَةِ الْعُقْلِيَّةِ فِي مَوَاضِعِهَا لِحَاجَةِ إِلَى
الْتَّكْرَارِ، وَاللَّهُ الْمَادِيُّ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

لَا يَقْاسُ بِخَلْقِهِ

وَالْحَاصلُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْاسُ بِخَلْقِهِ إِطْلَاقًا.
نَقْلًاً: كَمَا تَقْدَمَتْ جَمِيلَةُ مِنَ الْآيَاتِ وَالرِّوَايَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكِ.
وَعَقْلًاً: لِاسْتِحَالَةِ شَبَهِ الْمَحْدُودِ بِغَيْرِ الْمَحْدُودِ، وَاللَّهُ غَيْرُ مَحْدُودٍ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صَفَاتِهِ لِأَنَّهَا
عِنْ ذَاتِهِ، فَيُقَالُ: عَالِمٌ مِنْ جَهَةِ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ، وَقَادِرٌ لِأَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى الْأَشْيَاءِ، وَحِيَ لِأَنَّهُ
يَزَوِّلُ الْأَشْيَاءَ وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ...، لِأَنَّهَا مُتَعَدِّدَةٌ، فَهُوَ مُثْلُ مَا يُقَالُ: زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ
وَأَبُو عُمَرْ وَأَخُو بَكْرٍ، فَإِنَّ الْإِضَافَاتِ تَخْتَلِفُ لَا ذَاتَ.

مَنَاقِشَةُ آرَاءِ الْفَلَاسِفَةِ

فَمَنْ قَالَ بِالْفَيْضِ، كَفِيْضَانَ الْحَوْضِ مَا يَسْتَلِمُ السَّنْخِيَّةُ، أَوْ أَنَّ الْوَاحِدَ لَا يَصْدِرُ مِنْهُ إِلَّا
الْوَاحِدُ، أَوْ أَنَّ بِسِيطَ الْحَقِيقَةِ كُلُّ الْأَشْيَاءِ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ مِنْهَا. كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ . لَمْ
يَسْتَدِلُوا عَلَيْهَا بِدَلِيلٍ بَرْهَانِيٍّ، بَلْ قَدْ عَرَفُتُ الدَّلِيلَ عَلَى خَلَافَهَا.

لَا لِلْقَوْلِ بِالْفَيْضِ

^(٧٦٠) التَّوْحِيدُ: ص ٧٤ بَابُ التَّوْحِيدِ ح ٩ و ١٠ .

أما انه من قبيل «الفيض» الذي زعموه فمن أين؟

بل لو كان المخلوق من سخن الخالق لزم وحدة الصفات وسائر الجهات وذلك مستحيل، لأن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، وبذلك ترتفع شبهة النسخية.

هل أن الواحد لا يصدر منه إلا الواحد

وأما «ان الواحد لا يصدر منه إلا الواحد» فغير تام في الواحد بالإرادة، إذ ما ذكروه من الدليل آت في غير الإرادي، فإنهم استدلّوا له بأنه لو صدر من الواحد غير الواحد لزم صدور كل شيء من كل شيء، وهذا الدليل لا يأتي في الواحد بالإرادة ك والله سبحانه وتعالى.. هذا بالإضافة إلى إشكالات أخرى ذكرها المتكلمون مثل: انه إذا كانت القاعدة صحيحة في الله سبحانه وتعالى لزم استحالة التعديدية إطلاقاً، وغير ذلك..

لا للقول ببسط الحقيقة

وأما مسألة «بسط الحقيقة» فذلك متوقف على وحدة حقيقة الوجود في الواجب والممكן، وهو بحاجة إلى الدليل، بينما الدليل على عدمه، إذ «الوجود» كـ «الشيء» وـ «الكائن» وما أشبه ذلك من الألفاظ الأخرى التي يطلق على الله وعلى كل المخلوقات، والاشتراك في اللفظ لا يدل على الاشتراك في المعنى..

ومن باب تقريب الذهن نقول: هل الاشتراك في لفظ الممكן أو ما أشبه بين الجوهرة والعرض يستلزم كونهما من سخن واحد؟

لا للقول بوحدة الوجود

وعلى كل حال، فالقول بوحدة الوجود أو الموجود أم ما أشبه ذلك، خلاف الأدلة عقلاً ونقلأً.

الإشكال في كلام الأسفار

وما تقدم ظهر الإشكال فيما استنبطه الأسفار حيث قال في بعض كلماته: (فكمما وفقني الله بفضله ورحمته على الاطلاع على الملاك السرمدي والبطلان الأزلي

للماهيات الإمكانية والأعيان الجوازية، فكذا هداني بالبرهان النير العرشي إلى صراط مستقيم من كون الموجود والوجود منحصر في حقيقة واحدة شخصية، لا شريك له في الم وجودية الحقيقة، ولا ثانٍ له في العين، وليس في دار الوجود غيره ديار، وكلما يتراءى في عالم الوجود أنه غير الواجب المعبد فإنما هو من ضرورات ذاته وتجليات صفاته التي هي في الحقيقة عين ذاته، كما صرّح به لسان العرفاء بقوله: فالمنقول عليه سوى الله وغيره أو المسمى بالعالم فهو بالنسبة إليه تعالى كالظل للشخص فهو ظل الله . إلى أن قال: . فكلما ندركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات، فمن حيث هوية الحق هو وجوده، ومن حيث أخلاف المعاني والأحوال المفهومة منها المنتزع عنها بحسب العقل الفكري والقدرة الحسية فهو أعيان الممكنات الباطلة الذوات، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور والمعاني إسم الظل، كذلك لا يزول عنه إسم العالم وما سوى الحق، وإذا كان الأمر على ما ذكرته فالعالم متوجه ماله وجود حقيقى، فهذا حكاية ما ذهب إليه العرفاء الالهيون والأولياء المحققون).

وقال في مقام آخر:

(إن العرفاء قد اصطلحوا في إطلاق الوجود المطلق والوجود المقيد على غير ما أشتهر بين أهل النظر، فإن الوجود المطلق عند العرفاء عبارة عما لا يكون مخصوصاً في أمر معين محدوداً بحدّ خاص، والوجود المقيد بخلافه كالإنسان والفلك والنفس والعقل، وذلك الوجود المطلق هو كل الأشياء على وجه أبسط، وذلك لأنه فاعل كل وجود مقيد وكما له، ومبداً كل فضيلة أولى بتلك الفضيلة من ذي المبدأ، فمبداً كل الأشياء وفياضها يجب أن يكون هو كل الأشياء على وجه أرفع وأعلى، فكما أن السواد الشديد يوجد فيه جميع الحدود الضعيفة السوداوية التي مراتبها دون مرتبة ذلك السواد الشديد على وجه أبسط، وكذلك المقدار العظيم يوجد فيه كل المقادير التي دونه من حيث حقيقة مقداريتها، لا من حيث تعيناها العدمية من النهايات والأطراف، فالخط الواحد الذي هو عشرة أذرع مثلاً، يشمل الذراع من الخط والذراعين منه وتسعة أذرع منه على وجه الجمعية الاتصالية، وإن لم يشتمل على أطرافها العدمية التي تكون لها عند الانفصال عن ذلك الوجود الجماعي، وتلك الأطراف العدمية ليست داخلة في الحقيقة الخطية التي هي طول مطلق، حتى لو فرض وجود خط غير متنه لكان أولى وأليق لأن يكون خطأً من هذه الخطوط المحدودة، وإنما هي داخلة في مهية هذه

الحدودات الناقصة لا من جهة حقيقتها الخطية بل من جهة ما لحقها من النقائص والقصورات، وكذلك الحال في السواد الشديد واحتتماله على السوادات التي هي دونه، وفي الحرارة الشديدة واحتتمالها على الحرارات الضعيفة، فهكذا حال أصل الوجود وقياس إحاطة الوجود الجمعي الواجي الذي لا أتم منه بال موجودات المقيدة المحدودة بحدود، يدخل فيه الأعدام ونقائص خارجة عن حقيقة الوجود المطلق داخله في الوجود المقيد^(٧٦١).

إلى آخر كلامه الذي يظهر للملاحظ أن فيها إشكالات وإشكالات ولا يطابق ما ورد من الآيات والروايات الشريفة والأدلة العقلية مما نحن لسنا بصدده ذكرها الآن.

وحيث إن العقل كما ذكرناه سابقاً. مضافاً إلى الآيات والروايات الصريحة . يرى بالضرورة الإثنينية وعدم الوحدة للبراهين المتعددة، فإذا فرض تمسكهم بما استظهروه من بعض الآيات أو الروايات مما هو قريب من قولهم، فإنها تفسّر بغيرها من الآيات والروايات والأدلة العقلية القطعية كما ذكره العلامة الحلي (قدس سره) بمناسبة في شرح التجريد.

فقد استدلّوا بآيات، مثل:

قوله سبحانه: ﴿اللّٰهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٧٦٢).

وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٧٦٣).

وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ إِلَّا هُوَ رَابِّهِمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنِّي مَا كَانُوا﴾^(٧٦٤).

ومن الواضح أن هذه الآيات وغيرها أدل على خلاف ما يزعمون فمعنى ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أن الله غير السماوات والأرض، وأنه ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ لا أنه نفس حبل الوريد، وأنه رابعهم وسادسهم لا أنه هو هم.

ومثلها في عدم الدلالة بل الدلاله العكسية ما استدلوا به مما روي عن النبي(ص): (انه فوق كل شيء وتحت كل شيء، قد ملأ كل شيء عظمته، فلم يخل منه أرض ولا سماء ولا

^(٧٦١) الأسفار: ج ٦ ص ١١٦ و ١١٧.

^(٧٦٢) سورة النور: ٣٥.

^(٧٦٣) سورة ق: ١٦.

^(٧٦٤) سورة المجادلة: ٧.

بَرْ وَلَا بَحْرٌ وَلَا هَوَاءٌ^(٧٦٥).

وقال الطيبي: في رروا: (لو دلitem بجبل إلى الأرض السفلية لم بط على الله)^(٧٦٦).

وما ورد: (أنه قال موسى (ع): أقرب أنت فأنجيك أم بعيد أنت فأناديك؟ فإني أحس حسن صورتك ولا أراك أين أنت، فقال الله: أنا خلفك وأمامك وعلى يمينك وعلى شمالك، أنا جليس عند من يذكرني وأنا معه إذا دعاني)^(٧٦٧).

وعن علي (ع) حيث قال: (وبعظمته ونوره عاده الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة، -إلى أن قال: - هو هاهنا وهاهنا وهاهنا، وهو فوق وتحت، محيط بنا ومعنا)^(٧٦٨).

وقال (ع): (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده و معه).

وما عن موسى بن جعفر (ع) في دعائه: (وملأ كل شيء نورك)^(٧٦٩).

وما عن الصادق (ع): (ليس بين الخالق والمخلوق شيء)^(٧٧٠).

^(٧٦٥) لم نعثر على هذه الرواية في المصادر الحديثية، وفي بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٣٠ ب ٢١ ح ٢٦ (سأل ابن الحنفية عن الصمد فقال: قال علي لـ : تأويل الصمد: لا اسم ولا جسم ولا مثل وشبه ولا صورة ولا تمثال ولا حد ولا حدود ولا موضع ولا مكان ولا كيف ولا أين ولا هنا ولا ثمة ولا ملأ ولا خلأ ولا قيام ولا قعود ولا سكون ولا حركة ولا ظلماني ولا نوراني ولا روحاني ولا نفساني، ولا يخلو منه موضع، ولا يسعه موضع ولا على لون ولا على خطر قلب ولا على شم رائحة، منفي عنه هذه الأشياء).

^(٧٦٦) أنظر بحار الأنوار: ج ٥ ص ٥٤ ب ٨ ح ٤٥ بيان والستن للترمذى محمد بن عيسى بن سورة ٢٠٩٢٧٩ هـ: باب تفسير القرآن، الحديث ٣٢٢٠، وفيه: (عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال: (والذى نفس محمد بيده لو أنكم دلitem رجلاً بجبل إلى الأرض السفلية لم بط على الله، ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾).

^(٧٦٧) أما ما ورد في مصادرنا ففي عدة الداعي: ص ٢٥٠ ب ٥ ح ١٣ (إن موسى سأله ربه فقال: يا رب أقرب أنت مني فأنجيك أم بعيد فأناديك؟ فأوحى إليه: يا موسى أنا جليس من ذكري).

^(٧٦٨) إرشاد القلوب: ٣٠٩:

^(٧٦٩) الأمان من أحطار الأسفار والأزمان: ص ٧٩.

وفي دعاء عرفة: (أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الْقَدُّوسِ الَّذِي أَشْرَقْتَ بِهِ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ،
وَانْكَشَّفْتَ بِهِ الظَّلَّمَاتِ).^(٧٧١)

وقوله (ع): (كَيْفَ يَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ؟ أَيْكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ
الظَّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الْمُظَهَّرُ لَكَ؟).^(٧٧٢)

والمراد بما في الدعاء (أَيْكُونُ لِذَلِكَ مِنَ الظَّهُورِ..) أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْمُظَهَّرُ
لِوُجُودِ الْغَيْرِ الَّذِي هُوَ آيَةٌ لَهُ تَعَالَىٰ، وَالْمُظَهَّرُ لِنَفْسِهِ تَعَالَىٰ أَيْضًاٰ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ذُو آيَةٍ.

وقوله (ع): (جَعَلَ الْخَلْقَ دَلِيلًا عَلَيْهِ، فَكَشَّفَ بِهِ عَنْ رِبِّيْتِهِ).^(٧٧٣)
إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مَا ظَاهِرُهَا بَلْ نَصْحَاهَا يَدِلُّ عَلَىٰ قَوْلِ الْمُوَحَّدِينَ^(٧٧٤)، لَا قَوْلِ الْقَائِلِينَ بِوَحْدَةِ
الْوُجُودِ أَوِ الْمُوْجُودِ.

وَلَوْ فَرَضَ مُسْتَحِيلًا بَعْضُ ظَاهِرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ فِيمَا ذُكِّرُوهُ، فَهِيَ مَعَارِضَةٌ مَعَ
الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ الْأُخْرَى الصَّرِيقَةِ فِي الْعَدْمِ، مَا الْجَمْعُ يَقْتَضِي مَا ذُكِّرَنَاهُ.

كَقُولَهُ عَزَّوَ جَلَّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نُوْمٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عَنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَا يُؤْوِدُهُ حَفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.^(٧٧٥)
وَقُولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ﴾.^(٧٧٦)

(٧٧٠) التوحيد: ص ١٩٢ ح ٦.

(٧٧١) البلد الأمين: ص ١٤٦.

(٧٧٢) بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ١٤٢ ب ٤ ح ٧.

(٧٧٣) الإرشاد: ج ١ ص ٢٢٤.

(٧٧٤) لَا يَخْفَى مَا فِي هَذِهِ الْكَلْمَةِ مِنْ عُمْقِ الْمَعْنَىِ، فَإِنَّ مَنْ قَالَ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ أَوِ الْمُوْجُودِ لَا يَعْتَبِرُ مُوْحَدًا
حَقِيقِيًّاً.

(٧٧٥) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٧٧٦) سورة الشورى: ١١.

وقوله سبحانه: ﴿لَا تدركه الأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٧٧٧).

ومثل قوله (ص): (تنزه عن مجانسة مخلوقاته)^(٧٧٨).

وقول علي (ع): (توحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة، انه رب خالق غير مربوب مخلوق)^(٧٧٩).

وقوله (عليه الصلاة والسلام): (مبادر لجميع ما أحدث في الصفات)^(٧٨٠).

وقوله (ع): (ومازال ليس كمثله شيء، عن صفة المخلوقين متعاليا، وانكسرت الأ بصار عن أن تناهه، فيكون بالعيان موصوفاً وبالذات التي لا يعلمه إلا هو عند خلقه معروفا)^(٧٨١).

وقول الباقي (ع): (إن الله تبارك وتعالى خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، وكلما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله عز وجل)^(٧٨٢).

وقول الصادق (ع): (من شبه الله بخلقه فهو مشرك، إن الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكلما وقع في الوهم فهو بخلافه)^(٧٨٣).

وقول الإمام الرضا (ع): (فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إيهاد وحد من أكتنه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا به صدق من نهاده، ولا صمد صمد من أشار اليه، ولا إيهاد عن من شبهه، - إلى أن قال - فقد جهل الله من استوصفه - إلى أن قال - فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع في صانعه)^(٧٨٤).

^(٧٧٧) سورة الأنعام: ١٠٣.

^(٧٧٨) بحار الأنوار: ج ٨٤ ص ٣٣٩ ب ١٣ ح ١٩.

^(٧٧٩) الاحتجاج: ص ٢٠١.

^(٧٨٠) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٢١ ح ١٥.

^(٧٨١) التوحيد: ص ٥٠.

^(٧٨٢) التوحيد: ص ١٠٦.

^(٧٨٣) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٩٩ ب ١٣ ح ٣٠.

^(٧٨٤) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٨ ب ٤ ح ٣.

إلى غير ذلك مما لو جمع لكان كتاباً بل أكثر.

التجلّي

مسألة: التجلّي في اللغة العربية بمعنى الظهور^(٧٨٥)، وبهذا المعنى صادق بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى.. سواء كان الظهور بعد الخفاء أو لا، والمراد بأن الله ظهر بعد الخفاء: ظهر آثاره، فإنه لم يكن خلق فلم يكن ظهور، من باب السالبة بانتفاء الموضوع، فلما خلق صار ظهور كما في الحديث القدسي: (خلقت الخلق لكي أعرف)، فهو ر بما يكون كقولهم: تجلّت الشمس في أفق السماء أي ظهرت من الضباب والسحاب، فتأمل، وقولهم: تجلّت العلة بعلوها بنفس المعنى، فإن المعلول سبب ظهور العلة، كما قال (ع):

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد^(٧٨٦)

لا معنى لما قالته الفلاسفة

أما قول بعضهم بأن المراد: تجلّي الحقيقة الواحدة بأطوارها وأشكالها كتجلي ماء البحر بصورة الأمواج، فهذا لا معنى له بالنسبة إلى الله تعالى إطلاقاً، بل الدليل العقلي والنقلي كلاماً ينفيانه، وربما قال بعض الحكماء ومن إليهم ذلك بمعنى تجلّي حقيقة الوجود بالوجودات والأكوان الخاصة بالشروط المخصوصة في الأزمان المختلفة، لكن ذلك ليس إلا مجرد اللفظ.

وبذلك تبيّن أن استدلال بعض القائلين بوحدة الوجود أو الموجود بآلفاظ التجلّي وما أشبه ذلك الواردة في الآيات والروايات غير مرتبطة بما ذكروه إطلاقاً: كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَا تَجَلَّ رُبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَّكَّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعْقاً﴾^(٧٨٧).

^(٧٨٥) راجع لسان العرب (مادة جلي).

^(٧٨٦) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٦٧.

^(٧٨٧) سورة الأعراف: ١٤٣.

وقوله (ص): (فَتَحَلَّ لَخْلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ يَرَى) ^(٧٨٨).

وقول علي (ع): (فَتَحَلَّ لَهُمْ سَبَّانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوِهِ) ^(٧٨٩).

إذ واضح أن المراد بذلك ظهوره علةً للموجودات، فإنه لو لم يكن موجوداً لم يكن له سبحانه وتعالى تجلٌّ وظهور من باب السالبة بانتفاء الموضوع.

وقول الرضا (ع): (هَا تَحْلِي صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ) ^(٧٩٠).

وقوله (ع): (مَتَجَلٌ لَا باسْتَهْلَالِ رَؤْيَا) ^(٧٩١).

وفي دعاء السمات: (وَبِحَمْدِكَ الَّذِي تَحْلَّيْتَ بِهِ مَوْسِيَ كَلِيمَكَ (ع) فِي طُورِ سِينَاءِ، وَلِإِبْرَاهِيمَ خَلِيلَكَ (ع) مِنْ قَبْلِ مَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَلِإِسْحَاقَ صَفِيفَكَ (ع) فِي بَئْرِ شَيْعِ، وَلِيَعْقُوبَ نَبِيَّكَ (ع) فِي بَيْتِ إِيلِ) ^(٧٩٢).

^(٧٨٨) علل الشرائع: ص ١١٩ ب ١ ح ٩.

^(٧٨٩) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧ الفقرة ٢.

^(٧٩٠) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦ الفقرة ٧.

^(٧٩١) الكافي: ج ١ ص ١٣٨ ح ٤.

^(٧٩٢) مصباح المتهجد: ص ٤١٨ ح ٤.

التجلّي الخاص

ومعنى»التجلّي« ظهور آياته في تلك الأماكن^(٧٩٣) وغيرها، حتى أذعن الشخص المواجه لتلك الآيات . نبياً كان أو غير نبي . بوجود الله سبحانه وتعالى، فان كان قبل ذلك مذعنًا صار إذعنه في مرتبة أرفع من سابقه كما قالوا في مراتب اليقين، وفي الأنبياء (ع) فهو من باب اطمئنان القلب بهذا السبب أكثر فأكثر كما قال سبحانه: ﴿أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلِّي وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي﴾^(٧٩٤).

وقد ورد عن الرضا (ع) قال: (﴿فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ باية من آياته ﴿جَعَلَهُ دَّكَّا وَخَرَّ مُوسَى صَعْقَادًا﴾^(٧٩٥))^(٧٩٦).

وعن علي (ع): (فَأَبْدَى اللَّهُ جَلَّ شَأْوَهُ بَعْضَ آيَاتِهِ، وَتَجَلَّ رَبُّنَا لِلْجَبَلِ فَتَقْطَعُ الْجَبَلُ فَصَارَ رَمِيمًا، وَخَرَّ مُوسَى صَعْقَادًا﴾^(٧٩٧).
والتجلي لهؤلاء العظام غير التجلي لكل مؤمن عادي أو للكافر، فإن الله يتجلّى لجميع الخلق حتى تكون له الحجة عليهم، أما التجلي لأوليائه وأنبيائه وأصنفيائه، فهو يوجب لهم مزيد العناية والشوق والخوف واللذة وما أشبه.

وعن أبي الحسن الرضا (ع) قال: (قال رسول الله (ص): لما أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاوَاتِ، بَلَغَ بِي جَبَرِيلُ مَكَانًا لَمْ يَطُأْ جَبَرِيلُ قَطُّ، فَكَشَفَ لِي فَأَرَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبَّ)^(٧٩٨).

^(٧٩٣) ما ورد في دعاء السمات.

^(٧٩٤) سورة البقرة: ٢٦٠.

^(٧٩٥) سورة الأعراف: ١٤٣.

^(٧٩٦) عيون أخبار الرضا ع: ج ١ ص ٢٠١.

^(٧٩٧) التوحيد: ص ٢٦٣.

^(٧٩٨) التوحيد: ص ١٠٨.

والرؤبة من نور العظمة إما في مراتب النور وإما في مراتب إدراك النبي(ص)، فإن كليهما قابل للزيادة، وفي القرآن الكريم: ﴿ وَقَلْ رَبْ زَنْيِ عَلَمًا ﴾^(٧٩٩).

نعم بالنسبة إلى مراتب نور الله لا متهى لها، أما في مراتب إدراك النبي(ص) فحيث أنه ممك فمهما بلغ من الارتفاع لا يصل إلى الالامعنة الإلهية.

وعن أبي عبد الله (ع) قال: (جاء حير إلى أمير المؤمنين (ع): فقال يا أمير المؤمنين: هل رأيت رئاً حين عبده؟ فقال: ويلك ما كنت أعبد رئاً لم أره؟ قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأ بصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان)^(٨٠٠).

وفي دعاء عرفة للإمام الحسين (ع): (إلهي ترددت في الآثار يوجب بعد المزار، فاجمعني عليك بخدمة توصلي إليك . إلى أن قال: . إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك، وهذا حال لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول إليك، وبك أستدل عليك، فاهدني بنورك إليك،-إلى أن قال - إلهي حققني بحقائق أهل القرب، وأسلك بي مسلك أهل الجذب . إلى أن قال: . أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك، حتى لم يحببوا سواك، ولم يلجموا إلى غيرك، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم، إلهي ماذا وجد من فدك، وما الذي فقد من وجدك؟، لقد خاب من رضي دونك بدلًا، ولقد خسر من بغي عنك متحولًا . إلى أن قال: . يا من أذاق أحباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين . إلى أن قال: . أنت الذاكر قبل الذاكرين، وأنت الباقي بالإحسان قبل توجه العابدين . إلى أن قال: . إلهي أطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنك حتى أقبل عليك)^(٨٠١).

وقد فسرنا هذا الدعاء مفصلاً في كتاب «شرح الدعاء والزيارة»^(٨٠٢) مما لا حاجة هنا إلى تفسيره.

^(٧٩٩) سورة طه: ١١٤.

^(٨٠٠) الكافي: ج ١ ص ٩٧ ح ٦.

^(٨٠١) الإقبال: ص ٣٤٩ و ٣٥٠.

^(٨٠٢) يقع الكتاب في عشرة مجلدات / مخطوط.

وعن زين العابدين (ع): (الحمد لله على ما عرّفنا من نفسه، وألمّنا من شكره) ^(٨٠٣).

ومن المحتمل أن تكون «من» تبعيضة لا نشوية، لأن الإنسان بما هو هو لا يعرف إلا بعض نفس الله، أي آثاره تعالى، ولا يتمكن إلا بعض شكر الله وذلك من لوازم الامكان، كما لا يعرف بنفسه بما هي هي من دون إلهام الله سبحانه وتعالى أو وحيه إلا بعض خصوصيات الشكر لا كله.

وعن يعقوب ابن إسحاق قال: (كتبت إلى أبي محمد (ع) أسأله: كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟ فوقع (ع) يا أبا يوسف جلّ سيدِي ومولاي والمنعم علىّ وعلى آبائي أن يُرى، قال: وسائله هل رأى رسول الله (ص) ربّه؟ فوقع (ع): إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب) ^(٨٠٤).

وعن أبي بصير عن الصادق (ع) قال: قلت له: أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيمة؟ قال: (نعم، وقد رأوه قبل يوم القيمة، فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم: ألسنت بربكم قالوا: بلّى، ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن المؤمنين ليرونـه في الدنيا قبل يوم القيمة، ألسنت تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلـت فدـاك فأـحدـثـ بـهـذاـ عنـكـ؟ فـقالـ: لاـ، فـإـنـكـ إـذـاـ حـدـثـ بـهـ فـأـنـكـهـ منـكـرـ جـاهـلـ بـعـنـيـ ماـ تـقـولـهـ ثـمـ قـدـرـ أـنـ ذـلـكـ تـشـبـيـهـ كـفـرـ، وـلـيـسـ الرـؤـيـةـ بـالـقـلـبـ كـالـرـؤـيـةـ بـالـعـيـنـ، تـعـالـيـ اللهـ عـمـاـ يـصـفـهـ المـشـبـهـونـ وـالـمـلـحـدـونـ) ^(٨٠٥).

وفي المناجاة المشهورة في شهر شعبان: (وأن أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تحرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعزم قدسك) ^(٨٠٦).

(٨٠٣) الصحيفة السجادية: ص ٤٢.

(٨٠٤) التوحيد: ص ١٠٨ باب ما جاء في الرؤية ح ٢.

(٨٠٥) التوحيد: ص ١١٧ ح ٢٠.

(٨٠٦) الإقبال: ص ٦٨٧.

ثم إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يجعل الدليل عليه بحيث يشاهد الإنسان ذلك الدليل فيصل إليه، هذا من جانب، كما يعطي الإدراك للإنسان حتى يسببه يتمكن من الوصول إليه، فالأمر منه واليه، حتى جانب الإدراك أيضاً من الله عزوجل.

ولذا ورد عن أمير المؤمنين (ع) قوله: (هو الدال بالدليل عليه، والمؤدي بالمعرفة إليه).^(٨٠٧)

ثم إن هذا هو التجلّي الخاص لعباد الله المؤمنين من الأنبياء والصالحين والأولياء المقربين.

^(٨٠٧) الاحتجاج: ص ٢٠١.

التجلّي العام

وهناك لله سبحانه وتعالى تجلٍّ أعمٌ، خصوصاً في الشدائِد، كما أُشير إلى ذلك في آيات من القرآن الحكيم، مثل قوله سبحانه: ﴿إِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينِ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يَشْرِكُونَ﴾^(٨٠٨).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَّهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينِ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كُفُورٍ﴾^(٨٠٩).

وقال سبحانه: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يَزْجِي لَكُمُ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لَتَتَبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٨١٠) ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾^(٨١١).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرِينَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتِهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ أُحْيَطُ بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينِ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَا مِنَ الشَاكِرِينَ﴾^(٨١٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٨١٣).

^(٨٠٨) سورة العنكبوت: ٦٥.

^(٨٠٩) سورة لقمان: ٣٢.

^(٨١٠) سورة الإسراء: ٦٦ و ٦٧.

^(٨١١) سورة يونس: ٢٣ و ٢٤.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيْكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضْرِعًا وَخَفِيَّةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنْكَوْنَ مِنَ الشَاكِرِينَ﴾ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيْكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٨١٢﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا بَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكَمُ الْضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَأْرُونَ﴾ ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ الْضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْرَكُونَ ﴿لَيَكْفِرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا﴾
فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٨١٣﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إِذَا مَسَ الْإِنْسَانَ ضَرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوْلَنَاهُ نَعْمَةً مَنَا قَالَ إِنَّمَا أَوْتَيْتَهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فَسْتَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨١٤).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِجُنْبَهُ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلِمَا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأْنَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَيْهِ ضُرُّ مَسَهُ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨١٥).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَ الْإِنْسَانَ ضَرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ وَجْهِ اللَّهِ أَنْدَادًا لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٨١٦).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَيْتُكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَكُمْ السَّاعَةُ أُغْيِرُ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ **﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسُونَ مَا**

إلى غيرها من الآيات والروايات الدالة على التجلي العام لله سبحانه وتعالى بالمعنى الذي ذكرناه، حتى على المشركين والمنافقين ومن أشبههم من غير المؤمنين، هذا بالإضافة إلى ما

٨١٢) سورة الأنعام: ٦٣ و ٦٤.

٨١٣) سورة النحل: ٥٥.٥٣

٨١٤) سورة الزمر: ٤٩.

١٢ . سورة يو نس : (٨١٥)

٨٦) سورة الزمر :

٨١٧) سورة الأنعام: ٤٠ و ٤١.

يدل على التجلي الخاص للأولياء المقربين.

وقد تكون من مصاديق التجلي: الهدایات المؤشر إليهما في القرآن الحكيم:

فقوله سبحانه: **﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**^(٨١٨) يراد به الإيصال إلى المطلوب.

وقوله تعالى: **﴿وَمَا ثُمُودٌ فَهُدِينَاهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعُمَى عَلَى الْهُدَى﴾**^(٨١٩) يراد به الهدایة العامة وإرادة الطريق وإن لم تكن موصلة، وذلك للاشكال في القابل فإن الذي أُرِيَ له كان معانداً، أو ما أشبهه.

لا دلالة على وحدة الوجود

وعلى أي حال فقد عرفت أن أمثل هذه الآيات والروايات حتى ما ورد فيها من لفظ التجلي وما أشبهه ، لا ترتبط بقول بعضهم بوحدة الوجود أو بوحدة الموجود وما أشبهه .. لا من قريب ولا من بعيد، وإن استدل ببعضها بعض الفلاسفة الذين رأوا ذلك.

ثم إن بعضهم استدل لما زعمه من وحدة الوجود أو الموجود بما رواه في الروضات من أن كمبل ابن زياد قال لأمير المؤمنين (ع) ما الحقيقة؟ فقال علي(ع): (مالك والحقيقة؟ قال: أولشت صاحب سرئ؟ قال (ع): بلـى، ولكن يرـشحـ عـلـيـكـ ماـ يـطـفـحـ مـنـيـ، قالـ كـمـيلـ: أوـ مـثـلـكـ يـخـيـبـ سـائـلـاًـ؟ـ فـقـالـ (ع)ـ:ـ الـحـقـيـقـةـ كـشـفـ سـبـحـاتـ الـجـلـالـ مـنـ غـيرـ إـشـارـةـ،ـ فـقـالـ:ـ زـدـيـ يـانـاـ،ـ فـقـالـ (ع)ـ:ـ مـحـوـ الـمـوـهـومـ وـسـحـوـ الـمـعـلـومـ).ـ

لكن هذا الحديث غير مرتبط لا بوحدة الوجود ولا بوحدة الموجود بل يدل على نفيهما، فإن الظاهر من الحديث . حيث قال (ع): (كشف سمات الجلال من غير إشارة) . نفي الوحدة فيهما، وكذلك قوله (ع): (محو الموهوم وسحو المعلوم).

وللشرح الإجمالي لهذا الحديث نقول:

إن هناك صوراً وأشكالاً وحجوماً وأزمنة وأمكنة وما أشبه من الأشياء الكثيرة التي خلقها

^(٨١٨) سورة الحمد: ٦.

^(٨١٩) سورة فصلت: ١٧.

الله سبحانه، فلابد وأن يكون جامعاً للجميع وهو الحقيقة المخلوقية، كما أن هناك جاماً لظاهر سقوط الأشياء من حجر ومدر وشجر وتفاح وزجاج وما أشبه، والجامع بينها من جهة السقوط: الجاذبية، كذلك ظاهر الكهربائيات في حوائج الإنسان المختلفة كالبرادة والغسالة والمبردة والمصباح والمروحة وألف شيء وشيء، والحقيقة الجامعة بينها الكهرباء، إلى غير ذلك.

فكميل (رضوان الله عليه) سأله عن الحقيقة العامة في جميع الكائنات . وإنما المثالان اللذان ذكرناهما بالنسبة إلى فعتين من الكائنات ..

والجواب: إن الإنسان إذا أراد معرفة الباطن كشف له التنزه للخالق عن كل ذلك، وبهذا التنزه جل سبحانه عن مشابهة هذه الأشياء المخلوقة المدركة بالحواس الخمس، إذ كلها صفة الممكن، والله غير الممكّن، وكلها محدود والله غير محدود، وكلها غير أزلي ولا أبدى، والله سبحانه أزلي أبدى سرمدي، وهذا معنى قوله (ع): (كشف سمات الجن).

ثم إنك لا تتمكن من الإشارة إلى ذاته سبحانه، إذ ذاته لا تدخل تحت الحد، والإشارة إنما تكون بالنسبة إلى ما هو محدود، وهذا معنى قوله (ع): (من غير إشارة)..

وإذا وجه الإنسان حقيقة الخالق بقدر معرفته بالأثر، مثل معرفة الإنسان الجاذبية وآثارها والكهرباء وآثارها، كان ما يوهم أنه هو سبحانه يمحى، إذ كل موهوم فهو غير الله وإنه ليس باليه، وأما المعلوم الحقيقي وهو الله يسحون ويظهرون، فيعلم الإنسان أنه شيء واقعي لا كالأشياء، وهو خالق لكل شيء وليس يشبهه شيء ..

وبهذا يظهر أن أمير المؤمنين علياً (ع) أجاب كمبل بأن الله عزوجل ليس حقيقة الأشياء كما يزعمه الفلاسفة لا على نحو وحدة الوجود ولا على نحو وحدة الموجود بل هو خالقها.

المعرفة أمر فطري

مسألة: ثم من الواضح أن المعرفة فطري لـ كل إنسان، حتى إذا كان من أشد المنكرين، والى هذا أشار سبحانه.. حيث تظهر الفطرة عند الشدائـ خصوصاً ، إذ لا ملجاً من الله إلا إليه.

وقد مرت آيات تدل على ذلك في مسألة سابقة، قال سبحانه: ﴿فِإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرٌّ دُعَانًا﴾^(٨٢٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الْضَّرُّ دُعَانًا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾^(٨٢١).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيْكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضْرِبُّاً وَخَفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنْكَوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ قُلْ اللَّهُ يَنْجِيْكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كُرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ^(٨٢٢).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الْضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَأْرُونَ﴾^(٨٢٣).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتُكُمُ السَّاعَةُ أَغْيِرُ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسُونَ مَا تُشْرِكُونَ^(٨٢٤).

^(٨٢٠) سورة الزمر: ٤٩.

^(٨٢١) سورة يونس: ١٢.

^(٨٢٢) سورة الأنعام: ٦٣ و٦٤.

^(٨٢٣) سورة التحـلـ: ٥٣.

^(٨٢٤) سورة الأنعام: ٤١ و٤٠.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾^(٨٢٥).

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يَسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بَرِيقٌ طَيْبَةٌ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمْ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحْيَطُ بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنْكُونُ مِنَ الشَاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٨٢٦).

وقال تعالى: ﴿رَبِّكُمُ الَّذِي يَزِيْجِي لَكُمُ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾^(٨٢٧).

وقال سبحانه: ﴿إِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يَشْرُكُونَ﴾^(٨٢٨).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَّهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾^(٨٢٩).

ومن الواضح أن هذه الآيات إنما تعرضت لبعض ما كان مرتبطاً بحياة السامعين لرسول الله (ص) مصداقاً أو ما اشبهه، وإنما فمظاهر الفطرة في الآيات الكونية أكثر من ذلك، مثلاً: تظهر الفطرة عند الزلازل وعند البراكين، وعند الصواعق، وعند الأمطار الغزيرة جداً، وعند هجوم حيوانات مفترسة أو ما أشبه إلى غير ذلك مما هو كثير، فإن الإنسان إذا لم يجد ملحاً في مشاكله توجه بفطرته إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا التوجه الفطري دليل عليه عزوجل وعلى أن خالق الفطرة هو الذي وجهها إلى نفسه كما قال سبحانه: ﴿سَنَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي

^(٨٢٥) سورة الزمر: ٨.

^(٨٢٦) سورة يونس: ٢٢ و ٢٣.

^(٨٢٧) سورة الإسراء: ٦٦ و ٦٧.

^(٨٢٨) سورة العنكبوت: ٦٥.

^(٨٢٩) سورة لقمان: ٣٢.

الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم انه الحق ^(٨٣٠) ، فالأنفس تدل على الله، والآفاق تدل على الله، والاضطرارات تدل على الله سبحانه أيضاً، إلى غيرها وغيرها.. قال عزوجل: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ التَّيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ^(٨٣١).

وبهذه المضامين روایات كثيرة في البحار والعلوم وغيرها:

فعن الحسن بن علي بن محمد ^ن : (في قول الله عزوجل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ^(٨٣٢) فقال: ﴿اللَّهُ﴾ هو الذي يتأنّه إليه عند الحاجة والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه، وتقطع الأسباب من جميع من سواه، تقول: بسم الله أي أستعين على أمري كلها بالله الذي لا تتحقق العبادة إلا له المغيث إذا استغث، والمحبب إذا دعى) ^(٨٣٣).

وهو ما قال رجل للإمام الصادق (ع): يا بن رسول الله، دلني على الله فقد أكثر علي الجادلون وحّيّوني، فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم. قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغريك؟ قال: نعم. قال: فهل تعلق قلبك هنا لك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورتك؟ قال: نعم. قال الصادق (ع): فذلك الشيء هو الله القادر على الإنحاء حيث لا منجي وعلى الإغاثة حيث لا مغيث) ^(٨٣٤).

وقام رجل إلى علي بن الحسين ^{عليه السلام} فقال: أخبرني ما معنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؟ فقال علي بن الحسين ^{عليه السلام}: حدثني أبي عن أخيه عن أمير المؤمنين ^{عليه السلام} أن رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ما معناه؟ فقال (ع): إن قولك ﴿الله﴾ أعظم الأسماء من أسماء الله تعالى وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يتسمى به غير الله ولم

^(٨٣٠) سورة فصلت: ٥٣.

^(٨٣١) سورة الروم: ٣٠.

^(٨٣٢) سورة الحمد: ١.

^(٨٣٣) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤١ ب ٣ ح ١٦.

^(٨٣٤) معاني الأخبار: ص ٥، باب معنى (الله) عزوجل.

يتسّم به مخلوق، فقال الرجل: فما تفسير قوله تعالى: «الله»؟ قال: هو الذي إليه يتأله عند الحاج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه وقطع الأسباب من كل من سواه، وذلك أن كل مترئس في الدنيا أو متعظم فيها وان عظم غناه وطغيانه وكثرة حاج من دونه إليه فإنهم سيحتاجون حاج لا يقدر عليها هذا المتعظم، وكذلك هذا المتعظم يحتاج حاج لا يقدر عليها فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته حتى إذا كفى بهم عاد إلى شركه، أما تسمع الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَكُمْ السَّاعَةُ أَغْيَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٨٣٥) بل إيه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون^(٨٣٥) فقال الله تعالى لعباده: أيها القراء إلى رحمتي، إني قد ألمتكم الحاجة إلى في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت، إلى فافرعوا في كل أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلغ غايتها، فإني إذا أردت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت منعكم لم يقدر غيري على إعطائكم، فأنا أحق من سُئل وأولى من تُصرّع إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم: «بسم الله الرحمن الرحيم» أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لتحق العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث، والجحيب إذا دعى «الرحمن» الذي يرحم ببسط الرزق علينا «الرحيم» بنا في أديانا ودنيانا وآخرتنا، خفف علينا الدين وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتمييزنا عن أعدائه ثم قال: قال رسول الله ﷺ: من حزنه أمر تعاطاه فقال: بسم الله الرحمن الرحيم وهو يخلص الله ويقبل عليه بقلبه إليه لم ينفك عن إحدى اثنتين إما بلوغ حاجته الدنيا واما ما يعد له ويدخر لديه، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين^(٨٣٦).

معنى التجلّي

ثم إنه لما كان (تجلّي الله) بمعنى ظهور آثاره، فالتجلي قد يكون بالكرم، وقد يكون

^(٨٣٥) سورة الأنعام: ٤١ و ٤٠.

^(٨٣٦) بحار الانوار: ج ٨٩ ص ٤٨٤ ب ٢٩ ح ٤٨٤، وتفسير الإمام الحسن العسكري (ع): ص ٢٧ و ٢٨.

باللطف، وقد يكون بالعلم، وقد يكون بالعظمة، وما أشبه ذلك من الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى، مثلاً: تخلّي الله سبحانه وتعالى في (بحر سوف) كان بغرق فرعون وجماعته، وتخلّي الله سبحانه وتعالى على رسول الإسلام (ص) في غار حراء بإلقاء النبوة إليه، وهكذا..

هل حجاب بين الله وخلقه؟

مسألة: من الواضح أن الله سبحانه وتعالى لما لم يكن جسماً ولا عرضاً ولا مشابهاً لهما..
فليس بين الله وبين خلقه حجاب.

أما ما في الدعاء من: (احتجب)^(٨٣٧) فالمراد: أن الله سبحانه وتعالى غير ظاهر للخلق إلاّ بالآثار، كما أن المحتجب لا يظهر لمن وراء الحجاب.
وكذا قوله سبحانه: ﴿أَوْ مَنْ وَرَاءَ حِجَابٍ﴾^(٨٣٨)، إلى غير ذلك.

ومن هنا روي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: (من زعم انه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك، لأن الحجاب والمثال والصورة غيره، وإنما هو واحد موحد، فكيف يوحد من زعم انه يعرفه بغيره؟ إنما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنما يعرف غيره، والله خالق الأشياء لا من شيء)^(٨٣٩).

ومعنى (عرفان الله بالله) أن الله يعرف بآثاره، فليس هناك شيئاً أحدهما معرف لآخر من قبيل الحجاب أو الصورة أو المثال، وإنما هو شيء واحد وله آثار والآثار تدل عليه.

^(٨٣٧) راجع مصباح الکعفمي: ص ٢٧٥ وفيه: (يا من احتجب بشعاع نوره عن نواضر خلقه).

^(٨٣٨) سورة الشورى: ١، ٥، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيَا أَوْ مَنْ وَرَاءَ حِجَابٍ أَوْ يَرْسُلُ رَسُولًا فِيَوْحِي بِاَذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ﴾.

^(٨٣٩) التوحيد: ص ١٤٣ ح ٧.

وهذا هو تفسير حديث آخر عن الصادق (ع) فيما رواه تحف العقول حيث قال (ع):
 (تعرفه وتعلم علمه وتعرف نفسك به، ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك، وتعلم أن ما
 فيه له وبه، كما قالوا ليوسف (ع): ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا
 أَخِي﴾^(٨٤٠) فعرفوه به، ولم يعرفوه بغيره، ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهّم القلوب^(٨٤١).
 أقول: فالمراد أن الله سبحانه وتعالى هو معروف بنفسه، وحتى أن نفس الإنسان معروف
 للإنسان بسببه عز وجل، لأن الله هو المعطى للعلم والمعرفة، فليس الإنسان يعرف نفسه
 بنفسه من قبل نفسه، حيث أن الله سبحانه فطره بهذه الكيفية التي هي قابلة للمعرفة ومدركة
 للواقع، فإذا أفاض عليه العلم تحركت فطرته للمعرفة، كما ورد في القرآن الحكيم.

من آيات الفطرة

قال سبحانه: ﴿فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٨٤٢)، فإن
 خلق الله عز وجل بالنسبة إلى المعرفة وقابلية العلم والعرفان لا تبديل له.
 ولا يخفى أن المعرفة تطلق على ما سبق أن عرفه الإنسان. كما قاله الشيخ البهائي (قدس
 سره) . حسب ما ذكره المحدث القمي (قدس سره) في مادة عرف في السفينة^(٨٤٣)، لأن
 الإنسان سبق أن عرف الله في عالم الذر.

وفي آية أخرى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًاٌ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٨٤٤).
 وفي رواية زرارة عن البارق (ع) حيث فسر قول رسول الله (ص): (كل مولود يولد على

^(٨٤٠) سورة يوسف: ٩٠.

^(٨٤١) تحف العقول: ص ٣٢٨ كلامه (ع) في وصف المحبة.

^(٨٤٢) سورة الروم: ٣٠.

^(٨٤٣) سفينة البحار: ج ٢ ص ١٧٩.

^(٨٤٤) سورة فاطر: ٤٣.

الفطرة، يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه^(٨٤٥).

والظاهر أنها من علاقة السبب والسبب، فإن المعرفة فرع الفطرة على الظاهر والله العالم.

وقد ورد في حديث آخر عن زراة عن الصادق (ع): (في قول الله: ﴿فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٨٤٦) قال: فطّرهم على التوحيد)^(٨٤٧).

وفي رواية هشام بن سالم عنه (ع) (قال: قلت ﴿فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾

قال: التوحيد)^(٨٤٨).

صيغة الفطرة

والفطرة من الداخل . إذا لم تحرّف بسبب الإنسان أو بني نوعه أو ما أشبه . تجعل للإنسان لوناً خاصاً من الخضوع والخشوع لخالق السماوات والأرض، والتسل وطلب الحاجات إليه، إلى غير ذلك مما هو ظاهر المؤمنين، قال سبحانه: ﴿صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^(٨٤٩).

لا يقال: فإذا كانت الفطرة وصيغتها هي الحكمة، فكيف كان الناس فترة ما بين الرسل أو ما أشبه على لون خاص من اللا كفر واللا إسلام؟

لأنه يقال: من طبيعة البشر أن يكون على لون واحد في هذا الباب حتى يأتي المصلح أو المفسد فيفرقهم فرقين، قال الله سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(٨٥٠) .. فالفطرة التي تقارن الحجة الباطنة مع الحجة الظاهرة كلها تسبب لون المؤمنين

^(٨٤٥) الكافي: ج ٢ ص ١٢ ح ٤.

^(٨٤٦) سورة الروم: ٣٠.

^(٨٤٧) التوحيد: ص ٣٢٩ ح ٤.

^(٨٤٨) الكافي: ج ٢ ص ١٢ ح ١.

^(٨٤٩) سورة البقرة: ١٣٨.

^(٨٥٠) سورة البقرة: ٢١٣.

وصبغة الله، وبدون الحجة الظاهرة يكون الناس كما وصفتهم الروايات:

فعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله ﷺ **كان الناس أمة واحدة** قال (ع): **(كان هذا قبل النوح (ع) أمة واحدة فبما الله فأرسل الرسل قبل نوح، قلت: أعلى هدى كانوا أم على ضلاله؟ قال: بل كانوا ضاللاً كانوا لا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين)** ^(٨٥١).

ولا تنافي بين قوله: **(هذا قبل نوح) و قوله (فأرسل الرسل قبل نوح) فإن قبله (ع) أيضاً كانوا رسلاً، لأن رسالات الله لم تقطع منذ آدم (ع) ..**

والمراد بـ **(لا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين)** يعني لم يكونوا مؤمنين مغض الإيمان، ولا كافرين مغض الكفر، ولا مشركين مغض الشرك، وإنما كانوا على صبغة واحدة خليطة من الفطرة وغير الفطرة، حتى إذا جاءت الرسل والأنبياء (ع) فتفرقوا إلى تابع لهم وغير تابع، فصار بعضهم مؤمنين كامل الإيمان، وبعضهم كافرين كامل الكفر حتى أنكروا الله سبحانه وتعالى عناداً، وقسم منهم أشركوا فخلطوا الإيمان بالله بأصنامهم قال عز وجل: **﴿ ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفي ﴾** ^(٨٥٢).

وفي رواية أخرى عن تفسير البرهان، قال (ع): **(وذلك انه لما انقرض آدم (ع) وصالح ذريته، بقي شيث (ع) وصيه لا يقدر على إظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذريته، وذلك أن قabil تواعد بالقتل كما قتل أخاه هابيل، فسار فيهم بالتجيئ والكتمان، فزادوا كل يوم ضاللاً، حتى لم يبق على أرض معهم إلا من هو سلف، ولحق الوصي بجزيرة في البحر يعبد الله، فبما الله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل . إلى أن قال: . قلت: أفضلاً كانوا قبل النبيين أم على هدى؟ قال (ع): لم يكونوا على هدى، كانوا على فطرة الله التي فطّرهم عليها لا تبديل لخلق الله، ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهديهم الله، أما تسمع يقول**

^(٨٥١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤٠٤ ح ٣٠٦ من سورة البقرة.

^(٨٥٢) سورة الزمر: ٣.

إبراهيم(ع): ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾^(٨٥٣)، ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾^(٨٥٤).

وما ذكر في هذه الروايات وأمثالها إنما من باب المصدق، وإنما فمن طبيعة البشر أن يكونوا على صبغة واحدة بزيادة أم نقيصة، وتفريط أو إفراط، واعتدال أو انحراف حتى يظهر فيهم مصلح فينقلبوا قسمين، أو يظهر فيهم مفسد فينقسموا كذلك، ومن هنا قال (ع) كما في العلل: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ خَلْقَ النَّاسِ عَلَى الْفَطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا، لَا يَعْرِفُونَ إِيمَانًا بِشَرِيعَةٍ وَلَا كُفَرًا بِجَحْدِهِ، ثُمَّ ابْتَعَثَ اللَّهُ الرَّسُلُ إِلَيْهِمْ يَدْعُونَهُمْ إِلَى إِيمَانٍ بِاللَّهِ هَذَا هُدَى اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَهِدِهِ) ^(٨٥٥).

والمراد بـ«هداه»: المدحيات الخاصة، وإنما فالمدحيات العامة شاملة للكل كما سبق.

لا حجية لمكافحتهم

مسألة: قسم من القائلين بوحدة الوجود أو وحدة الموجود، استدلوا بدليل آخر أشبه بالاستحسان الذي دل الدليل على خلافه، وهو عبارة عما يدعونه من المكافحة..

فبعضهم يرى ذلك في النوم!

وبعضهم زعم أنه يراه في حالة تسمى بحالة ما بين اليقظة والنوم!

حتى قالوا إنهم يرون الله سبحانه وتعالى في المنام! . في زعمهم ..

ولكن ليس هذا^(٨٥٦) إلا من أضغاث الأحلام وإلقاءات الشياطين..

فهل مثل هذا النوم دليل على الحقائق؟

وإنما كانت الحقائق متصادمة أو متناقضة وهو خلف، والإنسان . كما هو المحسوس له

^(٨٥٣) سورة الأنعام: ٧٧.

^(٨٥٤) مثله في تفسير العياشي: ج ١ ص ٤٠٥ و ١٠٥ ح ٣٠٩.

^(٨٥٥) علل الشرائع: ص ١٢١ ب ٩٩ ح ٥.

^(٨٥٦) إن صدقوا في مقولتهم.

والمحذف في الكتب الحديثة . : إذا نام خرج بعض روحه من بدنـه دون بعض ، فالبعض الخارج يسبب شللـ الحواس والبعض الباقي يسبب استمرارـة تشغيلـ الأجهزة ، ولكنـ كـنهـ النـوم وـحقـيقـتهاـ مجـهـولةـ إلىـ الـيـومـ .

ومـاـ ذـكـرـهـ (ـفـروـيدـ)ـ (ـ٨٥٧ـ)ـ وـغـيرـهـ فيـ تـفـسـيرـ الـأـحـلـامـ لـيـسـ إـلـاـ تـكـهـنـاتـ وـتـخـرـصـاتـ لـاـ يـفـيدـ عـلـمـاـ وـلـاـ عـمـلـاـ .

وـأـمـاـ مـاـ وـرـدـ فيـ الـرـوـاـيـاتـ مـنـ تـفـسـيرـ الرـؤـيـاـ وـبـيـانـ بـعـضـ مـاـ يـرـتـبـطـ بـهـ فـمـصـدـقـ مـنـ دـوـنـ رـيـبـ ،ـ حـيـثـ أـنـ الـعـالـمـ بـالـوـاقـعـ (ـعـ)ـ أـخـبـرـ بـهـ .

فـفـيـ الـكـافـيـ بـسـنـدـهـ عـنـ أـبـيـ بـصـيرـ قـالـ:ـ قـلـتـ لـأـبـيـ عـبـدـ اللـهـ (ـعـ):ـ جـعـلـتـ فـدـاكـ ،ـ الرـؤـيـاـ الصـادـقـةـ وـالـكـاذـبـةـ مـخـرـجـهـمـاـ مـنـ مـوـضـعـ وـاحـدـ؟ـ قـالـ:ـ (ـصـدـقـتـ ،ـ أـمـاـ الـكـاذـبـةـ الـمـخـلـفـةـ فـاـنـ الرـجـلـ يـرـاهـاـ فـيـ أـوـلـ لـيـلـةـ فـيـ سـلـطـانـ الـمـرـدـةـ الـفـسـقـةـ ،ـ وـإـنـاـ هـيـ شـيـءـ يـخـيـلـ إـلـىـ الرـجـلـ ،ـ وـهـيـ كـاذـبـةـ مـخـالـفـةـ لـاـ خـيـرـ فـيـهـ ،ـ وـأـمـاـ الصـادـقـةـ إـذـاـ رـأـهـاـ بـعـدـ الـثـلـثـيـنـ مـنـ الـلـيـلـ مـعـ حـلـولـ الـمـلـائـكـةـ وـذـلـكـ قـبـلـ السـحـرـ ،ـ فـهـيـ صـادـقـةـ لـاـ تـخـلـفـ إـنـ شـاءـ اللـهـ ،ـ إـلـاـ أـنـ يـكـوـنـ جـنـبـاـ أـوـ يـنـامـ عـلـىـ غـيـرـ طـهـورـ أـوـ لـمـ يـذـكـرـ اللـهـ حـقـيـقـةـ ذـكـرـهـ ،ـ فـإـنـاـ تـخـلـفـ وـتـبـطـئـ عـلـىـ صـاحـبـهـ)ـ (ـ٨٥٨ـ)ـ .

أـقـوـلـ:ـ وـالـظـاهـرـ أـنـ الـإـمـامـ (ـعـ)ـ بـيـنـ بـعـضـ الـمـصـادـيقـ ،ـ فـهـوـ عـلـىـ نـحـوـ الـقـضـيـةـ الـطـبـيـعـيـةـ لـاـ الـكـلـيـةـ ،ـ وـبـعـارـةـ أـخـرـىـ:ـ اـنـهـ مـنـ بـابـ الـمـقـضـيـ لـاـ الـعـلـيـةـ التـامـةـ .

وـرـوـيـ عـنـ عـوـفـ بـنـ مـالـكـ قـالـ:ـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ (ـصـ):ـ (ـالـرـؤـيـاـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ:ـ مـنـهـاـ تـخـوـيـفـ مـنـ الشـيـطـانـ لـيـحـزـنـ بـهـ اـبـنـ آـدـمـ ،ـ وـمـنـهـاـ أـمـرـ يـحـدـثـ بـهـ نـفـسـهـ فـيـ الـيـقـظـةـ فـيـرـاهـ فـيـ الـمـنـامـ ،ـ وـمـنـهـاـ جـزـءـ مـنـ سـتـةـ وـأـرـبـعـينـ جـزـءـ مـنـ الـنـبـوـةـ)ـ (ـ٨٥٩ـ)ـ .

أـقـوـلـ:ـ الـمـرـادـ أـنـ الـنـبـوـةـ كـلـهـاـ مـطـابـقـ لـلـوـاقـعـ ،ـ أـمـاـ الـرـؤـيـاـ فـجـزـءـ مـنـ سـتـةـ وـأـرـبـعـينـ جـزـءـ مـنـهـاـ مـطـابـقـ لـلـوـاقـعـ ،ـ أـوـ أـنـ الـنـبـوـةـ سـتـةـ وـأـرـبـعـونـ جـزـءـ ،ـ وـالـرـؤـيـاـ الصـادـقـةـ وـاـحـدـةـ مـنـهـاـ ،ـ أـوـ مـاـ أـشـبـهـ

(٨٥٧) راجـعـ كـتـابـ (ـنـقـدـ نـظـرـيـاتـ فـرـويـدـ)ـ لـلـإـمـامـ الـمـؤـلـفـ .

(٨٥٨) الـكـافـيـ:ـ جـ ٨ـ صـ ٩١ـ حـ ٦٢ـ .

(٨٥٩) بـحـارـ الـأـنـوـارـ:ـ جـ ٥٨ـ صـ ١٩٣ـ بـ ٤٤ـ حـ ٧٣ـ .

ذلك..

وعلى أيّ، فلا يمكن الاستناد بالرؤيا، إذ لا كبرى كليلة في المقام، ولذا لم يجعل الشارع الرؤية حجة إطلاقاً، فهي لا تصلح لإثبات درهم أو نفي درهم، فهل تصلح لإثبات وحدة الوجود أو وحدة الموجود أو ما أشبه ذلك مما زعموه؟؟
خصوصاً إذا أرادوا بها إثبات ما أثبت العقل والنقل حلافه..

وحتى بعض الصادقين الذين ربما يرون في عالم المكاشفة . على اصطلاحهم . بعض الأشياء من الأمور الخارجية كمجيء زيد أو موت عمرو أو شفاء بكر، ففي أكثر الأحيان لا يكون مطابقاً مع الواقع.

هذا والإنسان لا يعرف حتى حقائق الأشياء التي يلمسها بيديه ويراها ببصره ويسمعها بأذنه، فكيف يعرف حقائق الأشياء التي لا يمكن له الاطلاع عليها إطلاقاً من عالم واجب الوجود جل جلاله؟؟

وهكذا لا يصل الإنسان عادة إلى معرفة حقائق عالم الروح وعالم الجن وعالم الشياطين وعالم النفس وما أشبه، مع أنه قد يلتقي ببعض الأرواح والأجنحة والشياطين دون بعضها، وكأن الله سبحانه وتعالى أراد عدم معرفة الإنسان لهذه الأشياء معرفة تفصيلية، أو أراد تأخيرها، فمن الممكن أن يعرفها الإنسان كلاً أو في الجملة بعد . ربما . ميلارات من السنوات، كما تحقق في العلم الحديث . حسب ما ذكره بعض علمائهم . أن الباقي من عمر الدنيا ستة عشر ملياراً ، ولكنهم أيضاً مختلفون في الباقي من عمرها حسب موازينهم العلمية الحديثة.. وربما تغيرت آرائهم.

بين القول بوحدة الوجود والسفسطة

وعلى أي حال: فالقول بوحدة الوجود أو وحدة الموجود كالقول بالسفسطة وان العالم كله وهم أو خيال، كلاهما ليس لهما من الواقع شيء إطلاقاً، وكل منهما عدل للآخر في البطلان، وان حاول أن يستدل كل طرف على ما ذهب إليه بما زعمه من أدلة، حتى أن القائلين بالسفسطة استندوا لكلامهم بما يقارب من ألف دليل من اشتباكات الحواس أو ما أشبهه، وقد تعرضنا لبعض أدلةهم في بعض كتبنا ^(٨٦٠) المرتبطة بهذا الأمر.

بين القدرة والعلم

مسألة: الظاهر أن القدرة غير العلم، أما في الإنسان فواضح، لأن بينهما عموم من وجهه، إذ الإنسان قد يعلم ولا يقدر، وقد يقدر ولا يعلم، وقد يجتمعان. وأما في الله سبحانه وتعالى فكل شيء فيه عين ذاته، وقد تقدم معنى تعدد الصفات، وكونه قادراً عليماً ككونه حياً مدركاً، فالاختلاف في المتعلق والنسبة كما مثلنا سابقاً ^(٨٦١). أما من قال: أن القدرة والعلم بينهما عموم مطلق، فإن الإنسان ربما يكون عالماً بشيء ولا يكون قادراً عليه إلا أن يكون عالماً به، فهو من الخلط.

ثم إن الله عزوجل قادر بذاته لا أنه قادر بالقدرة، كما هو واضح عقلاً ونقلأً: فعن محمد بن عيسى، عن محمد بن عرفة قال: قلت للرضا (ع): خلق الله الأشياء بالقدرة أم بغير القدرة؟ فقال: (لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة، لأنك إذا قلت خلق الأشياء بالقدرة، فكأنك قد جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلة له بها خلق الأشياء،

^(٨٦٠) راجع كتاب (وقفة مع الوجوديين) للإمام المؤلف (دام ظله).

^(٨٦١) انظر ما تقدم من الصفات الشبوانية لله عزوجل.

وهذا شرك . إلى أن قال: . بل هو سبحانه قادر بذاته لا بالقدرة^(٨٦٢) .

أقول: مثل أن نقول إنه عالم بذاته لا أنه عالم بالعلم، وانه حي بذاته لا انه حي بالحياة، إلى غيرها من الصفات الشبوطية.

ثم لا يخفى ان القدرة إنما تتعلق بشيء ممكنا في ذاته وجوداً وعدماً، دون الممتنع والواجب، مثل الجمع بين الصدرين وارتفاع النقيضين أو ما أشبه ذلك، وليس ذلك نقصاً في القدرة بل النقص في القابل وفي متعلق القدرة وهو الامتناع الذاتي ..

ومن هنا تبين أن ما يسأله البعض من مصاديق الامتناع الذاتي غلط، فالاشكال حينئذ في القابل لا الفاعل، اذ يلزم أن يكون السؤال في دائرة القدرة والمقدور.

مثلاً:

القول بأن الله قادر على أن يعدم نفسه؟

أو يخلق إلهاً آخر مثله؟

أو ألف سؤال وسؤال من هذا القبيل.. فكلها مما لا وجه له، فهو مثل أن يقال: هل العين قادرة على أن تسمع؟ أو الأذن قادرة أن ترى؟ أو ما أشبه ذلك..

هذا بالإضافة إلى أن الشيء قد يستحيل فلا تتعلق للقدرة به، مثل استحالة أن يخلق غير القادر شيئاً أو غير العالم شيئاً فيه آثار العلم، والإمام (ع) أشار إلى الجواب الثاني: فعن الصادق (ع) قال: (قيل لأمير المؤمنين (ع): هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو يكبّر البيضة؟ قال: إن الله تعالى لا ينسب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون^(٨٦٣) .

وهناك في بعض الروايات جوابان آخران مرجعهما إلى بيان ما يمكن في مورد السؤال غير ما تقدم عن الإمام (ع) وهو بيان مالا يمكن منه: فأحد الجوابين: أن يصغر الدنيا أو يكبّر البيضة..

^(٨٦٢) عيون أخبار الرضا : ج ١ ص ١١٧ و ١١٨ ح ٧.

^(٨٦٣) التوحيد: ص ١٣٠ ب ٩ ح ٩.

والثاني: انطباع صورة الكبير في عدسة العين مثلاً..
 وقد أجاب الإمام (ع) في هذين الجوابين بأن الله سبحانه وتعالى قادر عليهما، والظاهر
 أنه (ع) كان يحيط كلاً بحسبه..
 فالجواب الأول هو الجواب البرهاني، أما الجوابان الآخرين فكانا بقدر ذهن السائل.
 كما انه ورد في رواية أن الإمام (ع) أجاب عن انه: لماذا لا يرى الله سبحانه وتعالى؟
 بقوله (ع) : لأنه إذا كان يرى كان تذهب هيبيته.

إيجاد المعدوم وإعدام الموجود

وعلى أي .. فالله سبحانه وتعالى ليس مضطراً إلى فعل أو ترك، بل هو قادر على كل شيء، وهذا هو معنى القدرة المطلقة، فهو عز وجل قادر على أن يبدل الحي ميتاً أو الميت حيّاً، والمعدوم موجوداً أو الموجود معدوماً.
 أما قول من يزعم باستحالة تبديل العدم وجوداً، أو تبديل الوجود عدماً، فقد ردّه الحكماء والمتكلّمون في كتبهم المفصلة، وأشارنا إلى ذلك في كتاب شرح التجريد^(٨٦٤) وغيره^(٨٦٥) مما لا حاجة إلى تكراره هنا.
 لا يقال: يستحيل القدرة على الفعل والترك، لأنه إن وجدت علته وجب فلا يقدر على الترك، وإن لم توجد امتنع فلا يقدر على الفعل.

لأنه يقال: بالإضافة إلى أنه مصادم للبديهة، إن المراد أن القادر يوجد العلة في وجوده..
 فيكون الأمران يبيده، بخلاف الممتنع حيث لا يمكن إيجاده، وكذلك بالنسبة إلى الواجب الكائن الذي لا يمكن إعدامه.

^(٨٦٤) القول السديد في شرح التجريد.

^(٨٦٥) انظر شرح منظومة السبزواري للإمام المؤلف.

القائلون بالجبر

مسألة: ثم إن هناك جماعة قالوا بالجبر بالنسبة إلى أفعال الإنسان، وقد استدلّوا على ذلك ببعض ظواهر الأدلة الثلاثة: الكتاب والسنّة والعقل.

أدلةهم من الكتاب

أما الكتاب:

فقوله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاؤنَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٨٦٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤنَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٨٦٧).

وقال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يُضلِّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾^(٨٦٨).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٨٦٩) بناءً على أن المراد بـ ﴿مَا تَعْمَلُونَ﴾ أفعالكم، لا ما تعلّمونه من الأوثان.

وقال سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٨٧٠) حيث إن أعمال العباد من الشيء أيضاً.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٨٧١).

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾^(٨٧٢).

^(٨٦٦) سورة التكوير: ٢٩.

^(٨٦٧) سور الإنسان: ٣٠.

^(٨٦٨) سورة المدثر: ٣١.

^(٨٦٩) سورة الصافات: ٩٦.

^(٨٧٠) سورة الرعد: ١٦.

^(٨٧١) سورة الزمر: ٦٢.

^(٨٧٢) سورة الأنعام: ١٠٧.

وقال سبحانه: ﴿وَكُلٌّ شَيْءٌ فَعَلَوْهُ فِي الزَّبَرِ﴾^(٨٧٣).
 وقال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصْوَلِهَا فِي أَذْنِ اللَّهِ﴾^(٨٧٤).
 وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوْهُا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَرِيدُ﴾^(٨٧٥).
 وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلَوْهُ فَذِرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(٨٧٦).
 وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرَ اللَّهِ﴾^(٨٧٧) وإطلاقه يقتضي أن يكون الأفعال أيضاً
 من خلق الله عز وجل.
 وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمِنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تَكْرِهُ النَّاسَ
 حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٨٧٨) وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله.
 إلى غيرها من الآيات الدالة بظاهرها على أن أفعال العباد كلها مرتبطة بالله سبحانه
 وتعالى، فيكون الإنسان مجبوراً فيها.
 وكذلك قالوا بالنسبة إلى التروك، فكل مالا يفعله الإنسان هو مجبور في عدم فعله.

أدلةهم من السنة

أما الدليل الثاني وهو الروايات، فهي كثيرة أيضاً:
 مثل ما عن أبي محمد العسكري (ع): قال الرضا (ع) فيما يصف به الرب: (لا يجور
 في قضيته، الخلق إلى ما علم منقادون، وعلى ما سطر في المكتوب من كتابه ماضون، ولا
 يعملون خلاف ما علم منهم ولا غيره يريدون)^(٨٧٩).
 وعن ابن مسakan عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: (لا يكون شيء في الأرض ولا في
 السماء إلا بهذه الخصال السبع: بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل، فمن زعم

^(٨٧٣) سورة القمر: ٥٣ و ٥٢.

^(٨٧٤) سورة الحشر: ٥.

^(٨٧٥) سورة البقرة: ٢٥٣.

^(٨٧٦) سورة الأنعام: ١٣٧.

^(٨٧٧) سورة فاطر: ٣.

^(٨٧٨) سورة يونس: ٩٩ و ١٠٠.

^(٨٧٩) التوحيد: ص ٤٧ باب التوحيد ح ٩.

انه يقدر على نقض واحدة فقد كفر) ^(٨٨٠).

وفي رواية حمدان بن سليمان قال: كتبت إلى الرضا (ع) أسأله عن أفعال العباد أخلوقة أم غير مخلوقة؟ فكتب (ع): (أفعال العباد مقدرة في علم الله عزوجل قبل خلق العباد بألفي عام) ^(٨٨١).

وفي رواية عن الحسين بن علي عليه السلام قال: سمعت أبي علي بن أبي طالب (ع) يقول: (الأعمال على ثلاثة أحوال: فرائض وفضائل ومعاصٍ، فأما الفرائض فبأمر الله تعالى وبرضى الله وبقضاءه وتقديره ومشيئته وعلمه، وأما الفضائل فليست بأمر الله، ولكن برضى الله وبقضاء الله وبقدر الله وبمشيئته وعلمه، وأما المعاصي فليست بأمر الله ولكن بقضاء الله وبقدر الله وبمشيئته وعلمه، ثم يعاقب عليها) ^(٨٨٢).

وعن الصادق (ع) كما في رواية التوحيد قال: قال رسول الله (ص): (ومن زعم أن العاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله أدخله الله النار) ^(٨٨٣).

وقال علي (ع): (الاستطاعة تملّكها مع الله أو من دون الله، وإياك أن تقول واحدة منهمما فترتّد، فقال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: قل أملكها بالله الذي أنشأ ملكتها) ^(٨٨٤).

وفي دعاء الصحيفة السجادية : (اللّهم وإنك من الضعف خلقتنا، وعلى الوهن بنينا، ومن ماءهين ابتدأنا، فلا حول لنا إلا بقوتك ولا قوة لنا إلا بعونك) ^(٨٨٥).

وقال (ع): (اللّهم إني أصبحت وأمسيت عبداً داخراً لك لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرا إلا بك) ^(٨٨٦).

^(٨٨٠) الكافي: ج ١ ص ٤٩ ح ١٤٩.

^(٨٨١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٦ ح ٣٤.

^(٨٨٢) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٩ ب ١ ح ٣٦.

^(٨٨٣) التوحيد: ص ٣٥٩.

^(٨٨٤) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٥٦ ب ١ ح ١٠٣.

^(٨٨٥) الصحيفة السجادية الجامعية: ص ٧٣، رقم الدعاء ٣٠ في الاشتياق الى طلب المغفرة من الله.

^(٨٨٦) الصحيفة السجادية: ص ١٤.

إلى غيرها من الروايات.

الجواب عن أدلةهم

أقول: أما الجواب عما استدلوا به من الآيات فيظهر بمحلاً حظة ما اكتنف بها من القرائن أو الآيات الأخرى، مثلاً:

قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٨٨٧) مكتنف بقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ
آهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكِلُونَ مَالَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغٌ عَلَيْهِمْ ضَرِبًا بِالْيَمِينِ﴾^(٨٨٨) فأقبلوا
إِلَيْهِ يَرْفَوْنَ^(٨٨٩) قال أتعبدون ما تتحتون^(٨٩٠) والله خلقكم وما تعملون^(٨٨٨) فإن المراد
أصنامكم، حيث قال إبراهيم (ع) لقومه: إن أنتم وأصنامكم مخلوقات الله سبحانه وتعالى
فكيف تعبدون ما هو مخلوق الله وتصنعونه بأيديكم؟.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٨٨٩) ظاهر في
ذلك، حيث قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كُمْ لَا يَخْلُقُ أَفْلَأَ تَذَكَّرُونَ﴾^(٨٩٠).
وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ
يَخْلُقُونَ﴾^(٨٩١).

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَّاً أَنْ تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾^(٨٩٢) هذا
خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين^(٨٩٣).
إلى غير ذلك من القرائن النقلية والعقلية، المقامية والمقالية، وخاصة الآيات الدالة على

^(٨٨٧) سورة الصافات: ٩٦.

^(٨٨٨) سورة الصافات: ٩٦-٩١.

^(٨٨٩) سورة الزمر: ٦٢.

^(٨٩٠) سورة النحل: ١٧.

^(٨٩١) سورة النحل: ٢٠.

^(٨٩٢) سورة لقمان: ١٠ و ١١.

نفي الجبر، والمقابلة لادعاء ظهور ما سبق من الآيات، حيث دلت هذه على أن الأعمال مترتبة بالانسان نفسه وأنه المحاسب عليها إن خيراً فخير أو شرّاً فشر، مثل:

قوله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٨٩٣).

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾^(٨٩٤).

وقوله عزّ وجل: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّنُونَ﴾^(٨٩٥).

وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُغَيِّرًا نَعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يَغِيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(٨٩٦).

وقوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾^(٨٩٧).

وقوله عزّ وجل: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾^(٨٩٨).

وقوله سبحانه: ﴿وَجَاؤُوا عَلَىٰ قَمِصِهِ بَدْ كَذْبٍ قَالَ بَلْ سُوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾^(٨٩٩).

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرَئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٩٠٠).

وقوله عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعُوكُمْ فَاسْتَجِبْتُمْ لِي﴾^(٩٠١).

وقوله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٩٠٢).

^(٨٩٣) سورة مريم: ٣٧، سورة ص: ٢٧، سورة الذاريات: ٦٠.

^(٨٩٤) سورة البقرة: ٧٩.

^(٨٩٥) سورة الأنعام: ١١٦، سورة يونس: ٦٦، سورة النجم: ٢٣، و ٢٨.

^(٨٩٦) سورة الأنفال: ٥٣.

^(٨٩٧) سورة المائدة: ٣٠.

^(٨٩٨) سورة النساء: ١٢٣.

^(٨٩٩) سورة يوسف: ١٨.

^(٩٠٠) سورة الطور: ٢١.

^(٩٠١) سورة إبراهيم: ٢٢.

^(٩٠٢) سورة غافر: ١٧.

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تَجْزَوْنَ مَا كَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٩٠٣).

وقوله عزّ وجل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهِ﴾^(٩٠٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾^(٩٠٥).

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٩٠٦).

وقوله عزّ وجل: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٩٠٧).

وقوله سبحانه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾^(٩٠٨).

وقوله تعالى: ﴿لَمْ تُلْبِسُنَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾^(٩٠٩).

وقوله عزّ وجل: ﴿لَمْ تَصْدُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٩١٠).

وقوله سبحانه: ﴿وَوْضُعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفَقِينَ مَا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَلِيَّنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغْادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٩١١).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ﴾^(٩١٢).

وقوله عزّ وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلَمُونَ﴾^(٩١٣).

إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تُرْبَوْنَ عَلَى الْمُثَاثِ..

^(٩٠٣) سورة الجاثية: ٢٨.

^(٩٠٤) سورة الأنعام: ١٦٠.

^(٩٠٥) سورة الأنعام: ١٦٠.

^(٩٠٦) سورة الشورى: ٤٠.

^(٩٠٧) سورة البقرة: ١٩٤.

^(٩٠٨) سورة البقرة: ٢٨.

^(٩٠٩) سورة آل عمران: ٧١.

^(٩١٠) سورة آل عمران: ٩٩.

^(٩١١) سورة الكهف: ٤٩.

^(٩١٢) سورة الحج: ١٠.

^(٩١٣) سورة يونس: ٤.

الروايات النافية للجبر

أما الروايات النافية للجبر فهي أكثر وأكثر:

فعن أبي الحسن الرضا عن أبيه، عن جعفر بن محمد : (من زعم أن الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلّفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ولا تقبلوا شهادته ولا تصلوا وراءه ولا تعطوه من الزكاة شيئاً) ^(٩١٤).

وفي رواية منسوبة إلى الإمام الصادق (ع) في (معاني الأخبار) انه سأله رجل فقال له: إن أساس الدين التوحيد والعدل، وعلمه كثير ولا بد لعاقل منه، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه ويتهيأ حفظه، فقال (ع): (أما التوحيد فإن لا تجوز على ربك ما جاز عليك، وأما العدل فإن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه) ^(٩١٥).

وقال أبو الحسن الثالث (ع): (فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ، فهو قول من زعم أن الله جل وعز أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه وردد عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ^(٩١٦) وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدِمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ^(٩١٧) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلَمُونَ﴾ ^(٩١٨) مع آي كثيرة في ذكر هذا، فمن زعم أنه مجرّد على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله، وقد ظلمه في عقوبته، ومن ظلم الله فقد كذب كتابه، ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر باجتماع الأمة) كذا في تحف العقول ^(٩١٩).

^(٩١٤) عيون أخبار الرضا لـ: ج ١ ص ١٢٤.

^(٩١٥) معاني الأخبار: ص ١١، والتوحيد: ص ٩٦ ب ٦٦ ح ١.

^(٩١٦) سورة الكهف: ٤٩.

^(٩١٧) سورة الحج: ١٠.

^(٩١٨) سورة يونس: ٤٤.

^(٩١٩) تحف العقول: ص ٤٦١.

وعن أيوب بن نوح عن الرضا عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله (ص): (خمسة لا تطفأ نيرانهم ولا تموت أبداً لهم: رجل أشرك، ورجل عقَّ والديه، ورجل سعى بأخيه إلى السلطان فقتله، ورجل قتل نفساً بغير نفس، ورجل أذنب وحمل ذنبه على الله عزّ وجلّ) ^(٩٢٠).
وعن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي (ص) (يكون في آخر الزمان قوم يعملون بالمعاصي ثم يقولون: الله قدّرها علينا، الرّاد عليهم يومئذ كالشاهد كشاهر سيفه في سبيل الله) ^(٩٢١).

وروي أن رجلاً سأله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر؟ فقال (ع): (ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله، يقول الله للعبد: لم عصيت؟ لم فسقت؟ لم شربت الخمر؟ لم زيت؟ فهذا فعل العبد، ولا يقول له: لم مرضت؟ لم علت؟ لم قصرت؟ لم ابيضضت؟ لم اسوددت؟ لأنّه من فعل الله تعالى) ^(٩٢٢).

أقول: ومن الواضح أن المراد فيما لم يكن مرضه بسبب نفسه أو قصوره أو تقصيره أو بسبب والديه، وهكذا بالنسبة إلى الإيضاض والسوداد الاختياري فإنه يمكن أن يبيّض المسود وبالعكس بالعلاج وما أشبه.

وعن الطرائف كما في (البحار) ^(٩٢٣) حكى أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري، والى عمرو بن عبيد، والى واصل بن عطاء، والى عامر الشعبي: أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر؟

فكتب إليه الحسن البصري: إن أحسن ما انتهي إليه ما سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أنه قال: (يا ابن آدم أتظن أن الذي نهاك دهاك وإنما دهاك أسفلك وأعلاك والله بريء من ذاك) ^(٩٢٤).

^(٩٢٠) كنز الفوائد: ج ٢ ص ٤٧.

^(٩٢١) متشابه القرآن: ج ١ ص ٢٠٢.

^(٩٢٢) الطرائف: ص ٣٣٠.

^(٩٢٣) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٥٩ ب ١ ح ١٠٨، الطرائف: ص ٣٢٩ و ٣٣٠.

^(٩٢٤) وفي بحار الأنوار: (من ذاك).

أقول: الظاهر أن المراد من «أسفلك» القضايا الشهوانية الجنسية، والمراد بـ «أعلاك»: العين واللسان والأذن.

وكتب إليه عمرو بن عبيد: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين (ع): (لو كان الوزر^(٩٢٥) في الأصل محتوماً لكان الموزر^(٩٢٦) في القصاص مظلوماً).

وكتب إليه واصل بن عطاء: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): (أيَدِلَكَ عَلَى الطَّرِيقِ وَيَأْخُذُ عَلَيْكَ الْمُضِيقَ).

وكتب إليه الشعبي: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): (كُلُّ مَا اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ مِنْهُ فَهُوَ مِنْكُمْ، وَكُلُّ مَا حَمَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْهُ).

فلما وصلت كتبهم إلى الحجاج وقف عليها وقال: لقد أخذوها من عين صافية.

أقول: الظاهر أن قوله (ع): «كَلِمَا حَمَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْهُ» من باب الموجبة الجزئية لا الكلية فان هناك ما لا يحمد الإنسان عليه الله تعالى ومع ذلك فهو من الله عزوجل، مثل أن يكون خلقه مشوهاً إلى غير ذلك من الأمثلة، فتأمل.

وفي رواية أن رجلاً قدم على النبي (ص) فقال له رسول الله ﷺ: (أَخْبَرْتِي بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِ؟ فَقَالَ: رَأَيْتَ قَوْمًا يَنْكِحُونَ أَمْهَاتِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ وَأَخْوَاتِهِمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ؟ قَالُوا: قَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا وَقَدْرُهُ! فَقَالَ النَّبِيُّ (ص): (سَيَكُونُ مِنْ أَمْتِي أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مِثْلَ مَقَالَتِهِمْ، أَوْلَئِكَ مَجْوُسُ أَمْتِي)^(٩٢٧).

وفي رواية عنه (ص) أنه قال: (لَعْنَتُ الْقَدْرِيَّةَ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينِ نَبِيًّا، قِيلَ: وَمِنْ الْقَدْرِيَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ سَبِّحَهُنَّهُ قَدَرَ عَلَيْهِمُ الْمُعَاصِي وَعَذَّبَهُمْ عَلَيْهِ)^(٩٢٨).

وعن صباح الحذاء عن أبي جعفر (ع) قال: سأله زرارة وأنا حاضر، فقال أفرأيت ما افترض الله علينا في كتابه وما نهانا عنه جعلنا مستطعين لما افترض علينا مستطعين لترك ما

^(٩٢٥) وفي بحار الأنوار: (الزور).

^(٩٢٦) وفي بحار الأنوار: (الموزر).

^(٩٢٧) الطرائف: ص ٤٣.

^(٩٢٨) الطرائف: ص ٤٣.

نمانا عنه؟ فقال: نعم^(٩٢٩).

وفي رواية: (أنه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدر على العبد الشر ويريده منه ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيع أخذه)^(٩٣٠).

وعن العيون قال الرضا (ع) في روايته عن آبائه عن الحسين : دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين (ع) فقال: أخبرني عن خروجنا إلى أهل الشام بأقضاء من الله وقدره؟ فقال له أمير المؤمنين (ع): (أجل يا شيخ، فوالله ما علوم طلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بأقضاء من الله وقدر)، فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال: مهلا يا شيخ لعلك تظن قضاءً حتماً وقدراً لازماً، لو كان ذلك كذلك لبطل الشواب والعقاب والأمر والنهي والزجر، ولسقط معنى الوعد والوعيد، ولم يكن على مسيء لائمة ولا على محسن ممددة، ولكن المحسن أولى باللائمة من المذنب، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الأمة ومحوسها، يا شيخ إن الله عز وجل كلف تخيراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا **﴿فَوْيِلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾**^(٩٣١).

فنهض الشيخ وهو يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوبحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربّك عنا فيه إحسانا
فليس معلنة في فعل فاحشة قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا
لا لا ولا قائلاً ناهييه أوقعه فيها عبدت إذاً يا قوم شيطانا
ولا أحب ولا شاء الفسوق ولا قتل الولي له ظلماً وعدوانا
أني يحب وقد صحت عزيمته ذو العرش أعلن ذاك الله إعلانا^(٩٣٢)
أقول: ولعل الأولوية في الفقرتين: إننا مع جعلنا فيك الإحسان لم تحسن أنت شيئاً وإن

^(٩٢٩) التوحيد: ص ٣٤٧ ب ٥٦ ح ٤.

^(٩٣٠) الاحتجاج: ص ٣٤١.

^(٩٣١) سورة ص: ٢٧.

^(٩٣٢) عيون أخبار الرضا (ع): ج ١ ص ١٤٠ ب ١١ ح ٣٨.

المسيء غير ملوم لأننا لم نجعل فيه خيراً فالحق في عدم الإحسان.

وعن الاحتجاج أنه روي عن علي بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواء في نفي الجبر والتغويض أنه قال : روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه سأله رجل بعد انصرافه من الشام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بأقضاء وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين (ع) : (نعم ياشيخ، ما علوم تلعة ولا بطيتم بطن وادٍ إلا بقضاء من عند الله وقدر، فقال الرجل : عند الله أحتسب عنائي والله ما أرى لي من الأجر شيئاً، فقال علي (ع) : بل فقد عظيم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرين، فقال الرجل : وكيف لا نكون مضطرين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا؟ فقال أمير المؤمنين (ع) : لعلك أردت قضاءً لازماً وقدراً حتماً، ولو كان كذلك لبطل الشواب والعقاب وسقط الوعيد والأمر من الله والنهي، وما كانت تأتي من الله لائمة لذنب ولا حمدة لحسن، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وجنود الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور والبهتان وأهل العمى والطغيان، هم قدرية هذه الأمة ومحوسها، إن الله تعالى أمر تخيراً وكلف يسيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يرسل الرسل هزلاً ولم ينزل القرآن عبشاً ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً **﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾**^(٩٣٣) ثم تلا عليهم **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ﴾**^(٩٣٤).

قال: فنهض الرجل مسروراً وهو يقول: أنت الإمام الذي نرجو بطاعته، الأبيات^(٩٣٥).
أقول: ولعل وجه كون المذنب أولى بالذنب من المحسن وعدم كون المحسن أولى بالمدح من المذنب: الإشارة إلى كونهما متساوين في عدم استناد الإحسان أو الإساءة إليهما، لأن كليهما على هذا الفرض . من فعل الله سبحانه.

وعن الصدوق في اعتقاداته: (سئل الصادق (ع) عن قول الله عزوجل: **﴿وَقَدْ كَانُوا**

^(٩٣٣) سورة ص: ٢٧.

^(٩٣٤) سورة الإسراء: ٢٣.

^(٩٣٥) الاحتجاج: ص ٢٠٨ و ٢٠٩.

يدعون إلى السجود وهم سالمون^(٩٣٦) قال: مستطيعون للأخذ بما أمروا به والترك لما هوا عنه وبذلك ابتلوا^(٩٣٧).

وقال أبو جعفر (ع): (إنَّ في التوراة مكتوبًا: يا موسى إني خلقتك واصطفيتك وقويتك، وأمرتك بطاعتي ونحيتك عن معصيتي، فإنْ أطعْتني أعتنك على طاعتي وان عصيتي لم أعنك على معصيتي، يا موسى ولي الملة عليك في طاعتك لي، ولي الحجَّة عليك في معصيتك)^(٩٣٨).

وفي الاحتجاج: سأَلَ الزنديق أبا عبد الله (ع) عن مسائل كثيرة . إلى أن قال .. فأخبرني عن الله عَرَوْجَلَ كَيْفَ لَمْ يَخْلُقْ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مَطِيعِينَ مُوْحَدِينَ وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ قَادِرًا؟ قال (ع): (لَوْ خَلَقْتَهُمْ مَطِيعِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ثَوَابٌ لَأَنَّ الطَّاعَةَ إِذَا مَا كَانَتْ فَعَلُوهُمْ لَمْ يَكُنْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَكِنْ خَلَقْتَهُمْ بَطَاعَتَهُ وَنَحَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِرَسْلِهِ وَقَطَعَ عَذَرَهُمْ بِكِتَبِهِ لِيَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ يَطِيعُونَ وَيَعْصُونَ وَيَسْتَوْجِبُونَ بَطَاعَتِهِمْ لِهِ الشَّوَابُ وَمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ الْعَقَابِ، قَالَ: فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنَ الْعَبْدِ هُوَ فَعْلُهُ وَالْعَمَلُ الْشَّرُّ مِنَ الْعَبْدِ هُوَ فَعْلُهُ، قَالَ (ع): الْعَمَلُ الصَّالِحُ، مِنَ الْعَبْدِ بِفَعْلِهِ وَاللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَالْعَمَلُ الْشَّرُّ مِنَ الْعَبْدِ بِفَعْلِهِ وَاللَّهُ عَنْهُ نَهَاهُ، قَالَ: أَلَيْسَ فَعْلُهُ بِالْآلَةِ الَّتِي رَكِبَهَا فِيهِ؟ قَالَ (ع): نَعَمْ وَلَكِنْ بِالْآلَةِ الَّتِي عَمِلَ بِهَا الْخَيْرُ قَدْرُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي نَهَاهُ عَنْهُ، قَالَ: فَإِلَى الْعَبْدِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، قَالَ (ع): مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَطِيقُ تَرْكَهُ وَلَا أَمْرَهُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَسْتَطِعُ فَعْلَهُ، لَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ صَفَتِهِ الْجُورُ وَالْعَبْثُ وَالْظُّلْمُ وَتَكْلِيفُ الْعِبَادِ مَا لَا يَطِيقُونَ، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ كَافِرًا أَيْسَطِيعُ إِلَيْهِنَّ وَلَهُ عَلَيْهِ بِتَرْكِهِ إِيمَانَ حِجَّةَ؟ قَالَ (ع): إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ جَمِيعًا مُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ وَنَحَاهُمْ، وَالْكُفَّرُ اسْمٌ يُلْحَقُ الْفَعْلَ حِينَ يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ، وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْعَبْدُ حِينَ خَلَقَهُ كَافِرًا، إِنَّمَا كَفَرَ مِنْ بَعْدِ أَنْ بَلَغَ وَقْتًا لَزَمْتَهُ الْحِجَّةَ مِنَ اللَّهِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْحَقَّ فَجَحَدَهُ فَإِنَّكَارَهُ الْحَقَّ صَارَ كَافِرًا، قَالَ: أَفَيْحُوزُ أَنْ يَقْدِرَ عَلَى الْعَبْدِ الشَّرُّ وَيَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَهُوَ لَا يَسْتَطِعُ الْخَيْرَ أَنْ يَعْلَمَهُ وَيَعْدِبَهُ عَلَيْهِ؟ قَالَ (ع): إِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِعَدْلِ اللَّهِ وَرَأْفَتِهِ أَنْ يَقْدِرَ عَلَى الْعَبْدِ الشَّرُّ وَيَرِيهِ

^(٩٣٦) سورة القلم: ٤٣ .

^(٩٣٧) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٩ ب ١ ح ١١ نقلًا عن اعتقادات الصدوق.

^(٩٣٨) التوحيد: ص ٤٠٦ ب ٦٣ ح ٢ .

منه ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيع أحده) ^(٩٣٩).

إلى غيرها من الروايات الكثيرة التي تنص على نفي الجبر و يجدها الإنسان في البحار وغيره، ولعل المتبع يجد أكثر من ألف رواية في هذا الشأن تصريحاً أو ظهوراً أو تلويناً أو إشارةً.

^(٩٣٩) الاحتجاج: ص ٣٤١٣٤٠.

سؤالان

وهنا سؤالان:

الأول: إن الله كيف جعل شدة حالة النفرة عن المعاصي في المعصومين (ع) ويثبّتهم بالثواب العظيم على أعمالهم، ولم يجعل هذه الحالة في سائر الناس، فإن أحسنوا كان ثوابهم أقل وإن أساءوا يعاقبون؟

الثاني: إنه كيف يثبّт الولدان المخلّدين والحوّر العين في الجنان مع أنه لم يخلق فيهم الشهوة، فليكن الإنسان كذلك؟

والجواب: إن مقتضى كون الله فیاضاً بمعنى الخلق الإبداعي . لا بمعنى الإفاضة من الحوض كما يقوله بعض القائلين بوحدة الوجود أو الموجود - أن يخلق كل ما من شأنه الخلق، ومن الطبيعي أن يكون الخلق مختلفاً لكنه لا يظلم أحداً، كما خلق الفضة والذهب والتراب ... إلخ.

وإثابة المعصوم (ع) أكثر فضل، واللازم أن لا يظلم، لا أن لا يتفضّل على أحد بأكثر من غيره، هذا بالإضافة إلى مسألة القابليات وعلو المعرفة والعالم الأخرى وما أشبه. وقد ذكرنا تفصيل الجواب في التفسير الموضوعي للقرآن الحكيم مما لاحاجة هنا إلى تكراره.

استدلالهم بالعقل

الثالث من أدلة القائلين بالجبر: هو الدليل العقلي، وهو أمور:

الأمر الأول

الأول: إن الله تعالى كان عالماً بكل شيء ومنها أفعال العباد، فيجب أن تقع أفعالهم على طبق علمه وإلا لزم جهله والجهل على الله محال.

والجواب: وقوع الأفعال نتيجة إرادة الإنسان لا العلم به، نعم كون الإنسان مريداً جعله الواجب تعالى، والفعل مستند . أولاً . إلى الإرادة الحرة المنتهية إلى الواجب، ولا يلزم في الممكن أكثر من ذلك، وفي الرواية تصريح بذلك، ففي الكافي عن أبي عبد الله (ع): (إن الله لم يجبر أحداً على معصيته ولأراد إرادة حتم الكفر من أحد، ولكن حين كفر كان في ارادة الله أن يكفر، وهم في إرادة الله وفي علمه أن لا يصيروا إلى شيء من الخير) ^(٩٤٠).

الأمر الثاني

الثاني: إن علمه فعلي وهو عين ذاته، وحيث لذاته العلية لكل شيء يجب أن يكون علمه أيضاً علة لكل شيء ومنها أفعال العباد، فيجب وقوعها.

والجواب: العلم تابع للمعلوم لا أنه علة له، كما قاله نصير الدين الطوسي (قدس سره) في الشعر المنسوب إليه ردأ على ما زعمه أحد الجبرية حيث قال الأخير:

من می خورم وهرکه چو من اهل بود می خوردن من به نزد او سهل بود
می خوردن من حق زازل می دانست گرمی نخورم علم خدا جهل بود ^(٩٤١)
فأجابه نصير الدين الطوسي (قدس سره) بقوله:

این نکته نگوید آنکه او اهل بود زیراکه جواب شبهه اش سهل بود

^(٩٤٠) الكافي: ج ١ ص ١٦٢ ح ٣.

^(٩٤١) ومضمونها نثراً: أنا أشرب الخمر وكل من كان أهلاً مثلّي
يرى شرب خمري سهلاً
فلو لم أشربه لكان علمه جهلاً
شرب خمري كان يعلم الله به من الأزل

علم ازلي علّت عصيان كردن نزد عقلاً زغایت جهل بود^(٩٤٢)
 ولو كان العلم علة لكان زيد البريء سبباً لجريمة عمرو، حيث كان زيد يعلم أنه
 سيتكتب الحرم، ولو صح ذلك لكان علمنا بأن غداً تطلع الشمس سبباً لظهور الشمس.
 إلى غير ذلك من الأمثلة الواضحة في ردّ هذا الدليل.

الأمر الثالث

الثالث: إن الشيء ما لم يوجد . بالفتح . أي ما لم يكن موجوداً، لم يوجد بالكسر . ، وحيث أنه لا وجود حقيقة للمكنات في ذاتها فلا إيجاد لها حقيقة فيكون الإيجاد مطلقاً حتى لأفعال العباد له تعالى شأنه .
 والجواب: إن علم الله سبحانه وتعالى عين الذات، والذات علة لاختيار العبد، فاختيار العبد مستند إلى ذاته تعالى، أما عمله فهو مستند إلى مشيئة نفسه لا إلى مشيئة الله سبحانه وتعالى .

لأن الجواب على هذه الشبهة سهل^(٩٤٢) ومضمونها نثراً: لا يقول بهذا الكلام من كان أهلاً
 يكون عند العقلاء في غاية الجهل فتصور علم الأزلي علة العصيان

الأمر الرابع

الرابع: إن أفعالنا معلولة لإرادتنا، والإرادة غير اختيارية، ولا يجوز العقاب على أمر غير اختياري فإنه قبيح عند العقل والعقلاء.

والجواب: ليس إيجاد الممكنات مطلقاً بلا واسطة من الله، فان ما يعمله الإنسان فهو مستند إلى الله تعالى بواسطة، لأن الإنسان بنفسه، وتحيئ المقدمات التكوينية التي جعلها الله في الكون لوجود العمل، هما مستندان إلى الله عزوجل دون العمل الصادر عن الإنسان، وعلى هذا فليس الإنسان مجبوراً في عمله بسبب الاستناد^(٩٤٣) إلى الله مباشرة.

الأمر الخامس

الخامس: إن الاختيار . أي اختيار الفعل الذي هو علة لوجود الفعل . يكون حادثاً ولا بد له من محدث، ومحدثه إن كان باختيار آخر لزم تسلسل الاختيار فينا، وان لم يكن باختيارنا بل بالغير فنحن مجبورون في كل فعل على الاختيار الخاص، ولا بد من انتهاء اختيارنا إلى الاختيار الأزلي فيلزم الاضطرار في الفعل، ولذا قال الشاعر:

إنما صورة اختيار وأنا في اضطرار إلى الذي كان منا

والجواب: إرادة الفعل أو الترك اختيارية، أي أن الإرادة تتعلق بالفعل تارة والترك أخرى باختيار الإنسان، وإنما كانت ذات الإرادة غير اختيارية، على أن الإرادة اختيارية وان كان أصل كون الإنسان مختاراً غير اختياري.

الأمر السادس

والسادس: إن الفعل تابع للاختيار، والاختيار ممكن، والله خالق كل ممكن فالفعل من حلقه أيضاً.

^(٩٤٣) أي استناد نفسه واستناد المقدمات الكونية.

والجواب: إن هذا الممكن مستند إلينا لا إلى الله تعالى فنحن المختارون وإن كان خلق الاختيار من الباري عزوجل دون الفعل.

الأمر السابع

السابع: المشيئة والإرادة الأزلية تعلقتا بكل شيء، ومن هذه الكلية: الأفعال، فيلزم الجبر لأن الأفعال متعلقة بإرادة الله ومشيئته.

والجواب: إن المشيئة والإرادة من صفات الفعل فلا تكونان أزليتين، وفرق بين صفات الفعل وصفات الذات، فكلما لا يمكن أن يقال كان ولم يكن، فهو من صفات الذات، مثل العلم والقدرة والحياة وما أشبه، وكلما يمكن أن يقال كان أعلم يكن، فهو من صفات الفعل، مثل: إن الله خلق زيداً في يوم كذا لا في يوم كذا، ورزق عمروأ في سنة كذا لا سنة كذا، وأمامات خالداً في مدينة كذا لا في مدينة كذا، وهكذا..، وهذا هو الفرق بين صفات الفعل وصفات الذات على ما ذكر تفصيله في علم الكلام.

إلى غير ذلك من الأدلة التي ذكروها على الجبر ما لا يستقيم صغيراً أو كبرىً أو كليهما.

الكسب ورده

مسألة: ثم إن أبا الحسن الأشعري وأتباعه لما لزمه إشكالات وإنكار ضرورات من الفرق بين الحركات الاختيارية والحركات غير الاختيارية وما شابه ذلك، التجئوا إلى ارتكاب قول آخر هو أيضا غير صحيح، فذهبوا إلى إثبات الكسب للعبد، فقالوا: الله تعالى خالق لفعل والعبد يكتسب..

ولما طلبوه بتحقيق الكسب.. وما هو؟ وأي وجه يقتضيه؟ وأي حاجة تدعوه إليه؟ اختلقو في الجواب بما لا صحة له.

فقال بعضهم: معنى الكسب خلق الله تعالى الفعل عقيب اختيار العبد لفعل وعدم الفعل عقيب اختياره عدم، فمعنى الكسب: الخلق عقيب إرادة الفعل عند اختيار الفعل. والى جواب هذا أشار السبزواري (رحمه الله) بقوله:

وهل بتوليد أو إعداد ثبت أو بالتوافي عادة الله جرت
وجري عادة خطأ شديدا وليس العلية توليدا^(٩٤٤)
وقال بعضهم: معنى الكسب: أن الله تعالى يخلق الفعل من غير أن يكون للعبد فيه أثر النسبة، وإنما العبد يؤثر في وصف كون الفعل طاعة أو معصية، فأصل الفعل من الله تعالى ووصف كونه طاعة أو معصية من العبد.

وجواب هذا واضح: إذ لا يمكن التفكير بين الأصل والوصف مع أن قوله بالجبر كلي يشمل كلا الأمرين، فالوصف حينئذ مخلوق لله سبحانه وتعالى.

وقال بعضهم: إننا نعلم بالكسب وأنه صادر من العبد، لكن الكسب غير معلوم لنا ما هو؟ فهو مثل القول: بأن الله موجود لكننا لا نعلم وجود الله سبحانه وتعالى كيف هو، ولا أين هو، ولا حيث هو؟ إلى غير ذلك..

والجواب: فرق بين المعقول وغير المعقول، وهذا ما أحب به المسلمين المسيحيين حيث

^(٩٤٤) اللعالي المنتظمة (قسم المنطق من شرح المنظومة للسبزواري: ج١): ص ٢٨٣ القياس.

يقولون بالثلاثة في حال أنه واحد، ثم يقولون: لا نعلم كيف هو؟ فأجيب عن ذلك: بأنه تناقض والتناقض محال، فلا يعقل أن يكون واحد وثلاثة وثلاثة وواحد في آن. أما قولنا: إننا لا نعلم حقيقة الله سبحانه وتعالى، فإننا نعلم أصل وجوده بآثاره لكننا لا نعلم حقيقته، ففرق بين عدم هذا وعدم ذاك.

والكلام في هذا المقام طويل نكتفي منه بهذا القدر، وقد تعرضنا في الجملة لهذا المبحث في شرح التجريد^(٩٤٥)، وشرح المنظومة^(٩٤٦)، وغيرهما من كتبنا الكلامية، كما أشرنا إلى ذلك أيضاً في شرح الكفاية^(٩٤٧) بمناسبة.

^(٩٤٥) القول السديد في شرح التجريد.

^(٩٤٦) شرح منظومة السبزواري.

^(٩٤٧) الوصول إلى كفاية الأصول.

القضاء.. والقدر

مسألة: في القضاء والقدر..

القضاء بمعنى الانتهاء لغة وعرفا.

فقد يكون تكوييناً مثل: **﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾**^(٩٤٨).

ومنه: **﴿فَإِذَا قَضَيْتَ الصَّلَاةَ﴾**^(٩٤٩).

وكذلك قوله سبحانه حكاية عن السحر: **﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضِ﴾**^(٩٥٠).

وقول يوسف (ع): **﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانٌ﴾**^(٩٥١).

وقد يكون تشريعياً مثل: **﴿وَقُضِيَ رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾**^(٩٥٢) فإن هذا بمعنى الانتهاء التشريعي، أي إنتهى الأمر بهذه الصيغة، ومنه يسمى القاضي قاضياً، وهذا مبني على ما اخترناه في الأصول^(٩٥٣) من عدم وجود الاشتراك اللغطي، وإنما في الكل جامع ولذلك الجامع يكون مصاديق.

أما من قال بأن القضاء له معان:

مثل: **الخلق، ومثل قوله سبحانه: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾**.

ومثل الفراغ من الأمر، كقوله تعالى حكاية عن يوسف (ع): **﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانٌ﴾**^(٩٥٤).

^(٩٤٨) سورة فصلت: ١٢.

^(٩٤٩) سورة الجمعة: ١٠.

^(٩٥٠) سورة طه: ٧٢.

^(٩٥١) سورة يوسف: ٤١.

^(٩٥٢) سورة الإسراء: ٢٣.

^(٩٥٣) راجع (الأصول) و(الوصول إلى كفاية الأصول) للإمام المؤلف.

^(٩٥٤) سورة يوسف: ٤١.

ومثل الإعلام والإنبار كقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾^(٩٥٥).

ومثل الأمر والإيجاب والحكم مولوياً أو إرشادياً كقوله سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٩٥٦) قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾^(٩٥٧).

إلى غير ذلك مما ذكروا. فليس كما ينفي، ولهذا نشاهد أن بين الجميع الجامع الذي ذكرناه، وهو الانتهاء تكويناً أو تشريعاً، فقوله سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ معنى أنهينا هذا الخبر إليهم بما ذكرناه في الكتاب المنزّل عليهم.

والقدر أيضاً لغةً وعرفاً يعني واحد وهو التقدير بجعل الحدود للشيء، ومعنى (رحم الله امرءاً عرف قدره)^(٩٥٨) أي حدوده في كل شؤونه، مثل حدود مصرفه وحدود كلامه وحدود حركته وسكنه وحدود علمه وغير ذلك.. لأن من لم يعرف الحدود فرط أو أفرط.

وما ورد في القرآن من هذا اللفظ فهو بهذا الجامع، مثل قوله سبحانه: ﴿وَقَدْرٌ فِيهَا أَقْوَاتُهَا﴾^(٩٥٩).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾^(٩٦٠)

وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^(٩٦١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرٍ﴾^(٩٦٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَكُنْ يَنْزَلُ بِقَدْرٍ مَا يَشَاءُ﴾^(٩٦٣).

أما قول بعضهم: إنه قد يكون بمعنى الخلق ومثل قوله: ﴿وَقَدْرٌ فِيهَا أَقْوَاتُهَا﴾^(٩٦٤).

^(٩٥٥) سورة الإسراء: ٤.

^(٩٥٦) سورة الإسراء: ٢٣.

^(٩٥٧) سورة غافر: ٢٠.

^(٩٥٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٣ ح ٤٦٦ الفصل الأول في النفس.

^(٩٥٩) سورة فصلت: ١٠.

^(٩٦٠) سورة القمر: ٤٩.

^(٩٦١) سورة النمل: ٥٧.

^(٩٦٢) سورة المؤمنون: ١٨.

^(٩٦٣) سورة الشورى: ٢٧.

وقد يكون بمعنى: وضع الأشياء في مواضعها ومثل لذلك بقوله عزّ وجل: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾^(٩٦٥).

وقد يكون بمعنى: تلك الأوضاع والخصوصيات المقدرة والإخبار عنها وكتابتها في اللوح، كقوله تعالى: ﴿إلا أمرأته قدّرناها من الغابرين﴾^(٩٦٦).
ففيه الاشكال الذي ذكرناه في من جعل للقضاء معانٍ متعدّدة.

ويدل على ذلك ما نشاهده من أن اللفظة الواحدة يتadar منها في العرف المعنى الواحد، أو يفهم منها ذلك، والمراد عرف أهل اللسان، فإن العرف قد يكون عاماً، وقد يكون خاصاً، أي: عرف هذه اللغة^(٩٦٧) أو عرف هذه المهنة أو عرف هذا العلم إلى غير ذلك..

^(٩٦٤) سورة فصلت: ١٠.

^(٩٦٥) سورة القمر: ٤٩.

^(٩٦٦) سورة النمل: ٥٧.

^(٩٦٧) وهم اللغويون.

نسبة الأفعال إلى القضاء والقدر

مسألة: ثم لا إشكال في أن غير أفعال الإنسان^(٩٦٨) ومن أشبهه من الملائكة والحوار والجن والشياطين والحيوانات، تتعلق بالقضاء والقدر، فالقول: بأن الأشياء بقدر الله وقضائه يراد بذلك التكوي니 بأسبابها ومقدماتها وشرائطها وما أشبه ذلك سواء كانت وجودات أو أعداما، إيجاداً أو إعداماً.

أما بالنسبة إلى الأفعال الاختيارية للإنسان ومن أشبه، فالمراد بالقضاء والقدر: أن الله سبحانه وتعالى قدر هذا التقدير وحكم بهذا الحكم، مثلاً: قدر في الصلاة المصلحة وفي شرب الخمر المفسدة وحكم بالأول إيجاباً وبالثاني سلباً، كما أن الله عز وجل قدر أن يكون الإنسان مختاراً.

وفي البحار عن الاحتجاج أن رجلاً واجه أمير المؤمنين (ع) . مما ذكرنا بعض كلامه سابقاً . وقال لعلي (ع) فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال(ع): (الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية والمعونة على القرية إليه والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا، وأما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محيط للأعمال، فقال الرجل: فرجت عني يا أمير المؤمنين فرّج الله عنك^(٩٦٩) .

ثم أنه قد روى عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع: بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر)^(٩٧٠) .

أقول: وكفره لأنه لم يعترف بما يرتبط بالله سبحانه وتعالى وأنكره، ومن الواضح أن

^(٩٦٨) أي الأفعال غير الاختيارية كنبضات القلب وما أشبه.

^(٩٦٩) الاحتجاج: ص ٢٠٩، وبحار الأنوار: ج ٥ ص ٩٦ ب ٣ ح ٢٠.

^(٩٧٠) الكافي: ج ١ ص ١٤٩ ح ١.

الإنسان لا يقدر على نقض ارادات الله لا التكوينية ولا التشريعية..

ومعنى الحديث: (المشيئة) التطلب وابتداء الفعل، و(الارادة) التهيؤ للفعل والثبوت عليه، و (قدر) بمعنى تعين الحدود له، و (القضاء) بمعنى الحكم بذلك، و (الإذن) أي الإذن تكوينياً أو تشريعياً، فالتكويني مثل قوله سبحانه: ﴿كُمْ مِنْ فَتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلِبْتُ فَتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٩٧١)، والمراد بـ(الكتاب) أنه سبحانه كتبه في اللوح المحفوظ أو في المكان الذي يكتب فيه، والمراد بـ(الأجل) أن لكل شيء مدة، فإن الأجل قد يطلق على آخر المدة مثل قوله سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلَهُمْ﴾^(٩٧٢) وقد يطلق على كل المدة كما يقال: أجل فلان خمسون سنة، وقد يطلق على أول المدة كما قال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٩٧٣) وكان أول هذا التشريع ذلك الوقت، وبذلك ظهر أن تعلق مشيئة الله سبحانه بالتكوينيات تكوينها، وتعلق مشيئته بالفعل الاختياري للإنسان وغيره في المقدمات . كخلق الإنسان مختاراً وما أشبه . الصادر هذا الفعل عن قدرة الإنسان التي أعطاها الله إياه، وتكون هي العلة المستقلة له، لا أن مشيئة الله علة ثانية حتى يلزم توارد العلتين المستقلتين على معلول واحد، إما كل مستقلأً وذلك محال لأن الشيء الواحد لا يكون له إلا علة واحدة، وإما بالكسر والانكسار وذلك يلزم منه أن يكون كل واحد من العلتين جزء علة، إما متساوياً أو مختلفاً، والمفروض أن العلة واحدة لا جزء عنتين، فعلة فعل الإنسان الاختياري إرادته و اختياره، أما مشيئة الله سبحانه وتعالى فهي تتعلق بمقدمات ذلك، الفعل وأسبابه والدواعي إليه وحدود القدرة المفاضة إليه بشرائطه ودفع الموانع وما أشبه ذلك، فالمراد بالروايات نفي التفويض لا إثبات الجبر وإلا كان ذلك من أظهر التناقض، تعلت كلما تهم (عليهم السلام جميعاً) عن ذلك، فالإنسان العاقل منزه عن مثل ذلك فكيف بالشخص المعصوم .

وهناك جملة كبيرة من الروايات تشير إلى ما ذكرناه:

فعن يونس عن الرضا (ع) قال: قلت: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى،

^(٩٧١) سورة البقرة: ٢٤٩.

^(٩٧٢) سورة الأعراف: ٣٤.

^(٩٧٣) سورة المائدة: ٣٢.

فقال: (لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى)، قال: قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه، قلت: فما معنى قدر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه، قلت: فما معنى قضى؟ قال: إذا قضاه أمضاه فذلك الذي لا مرد له)^(٩٧٤).

والظاهر من قوله (ع) في معنى (شاء) أنه ابتدأ الفعل: ما ذكرناه في تفسير الرواية^(٩٧٥)، أما ما ذكره العالمة المجلسي (قدس الله سره) من أن ابتداء الفعل هي الكتابة في اللوح أو أول ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه مما يؤدي إلى وجود المعلول غير ظاهر.

فعن معلى بن محمد قال: سئل العالم (ع): كيف علم الله؟ قال: (علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى، فأمضى ما قضى وقضى ما قدر وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة وبمشيئته كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء وبقضاءه كان الإمساء، فالعلم متقدم على المشيئة والمشيئة ثانية والإرادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالإمساء، فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء فإذا وقع القضاء بالإمساء فلا بداء)^(٩٧٦).

وعن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله (ع): (إن الله إذا أراد شيئاً قدره، فإذا قدره قضاه، فإذا قضاه أمضاه)^(٩٧٧).

وعن الإمام الرضا (ع) قال: (المشيئة الاهتمام بالشيء، والإرادة إتمام ذلك الشيء)^(٩٧٨).

وفي رواية يونس عن الرضا (ع) ما رواه محمد بن إسحاق قال: إنه (ع) قال ليونس مولى علي بن يقطين: (يا يونس، لا تتكلّم بالقدر، قال: إني لا أتكلّم بالقدر ولكنني أقول: لا يكون إلا ما أراد الله وشاء وقضى وقدر، فقال: ليس هكذا أقول، ولكنني أقول لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، ثم قال: أتدرى ما المشيئة؟ فقال لا، فقال: همّه بالشيء،

^(٩٧٤) الحasan: ص ٤٤ ب ٢٥ ح ٢٣٧.

^(٩٧٥) أي التطلب.

^(٩٧٦) بحار الأنوار: ج ٥ ص ١٠٢ ب ٣ ح ٢٧٠.

^(٩٧٧) الحasan: ص ٤٣ ب ٢٥ ح ٢٣٥.

^(٩٧٨) أعلام الدين: ص ٧٣٠.

أوتدرى ما أراد؟ قال: لا، قال: إتمامه على المشيئة، فقال: أو تدرى ما قدر؟ قال: لا، فقال: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء، ثم قال: إن الله إذا شاء شيئاً أراده وإذا أراده قدره وإذا قدره قضاه وإذا قضاه أمضاه^{٩٧٩} الحديث.

أقول: «ال الهندسة» م ureb «أندازه» باللغة الفارسية، وليس المراد بها . في هذا الحديث . أو بما أشبهها: الطول والعرض والعمق فقط، فقد تكون في المعنويات وقد تكون في الماديّات وقد تكون بالنسبة إلى الشرائط والدوافع والموانع والزمان والمكان وغير ذلك، فإن رعاية جموع هذه الأمور تسمى بال الهندسة أو التقدير أو (اندازه) . باللغة الفارسية . أو ما أشبه ذلك.

^{٩٧٩} الحasan: ص ٤٤ ب ٢٥ ح ٢٣٨ .

لا للتفسير

مسألة: في قبال قول الجبرية . وهم الأشاعرة ومن إليهم . قول آخر بالتفويض . وهو قول المعتزلة . بأنه تعالى أوجد العباد وأقدرهم على أعمالهم وفوض إليهم الاختيار المطلق وهم مستقلون بإيجادها على وفق مشيئتهم وقدرهم وليس الله سبحانه في أعمالهم صنع إطلاقاً . واستدلّوا لذلك بما يجده الإنسان من أنه مطلق في أمره الاختيارية من فكر أو كلام أو عمل .

ونحن لا نقول بهذا ولا بذلك، بل بالأمر بين بالأمرین، كما دلت عليه الآيات والروايات: ففي العيون بإسناده عن يزيد بن عمير قال: (دخلت على علي بن موسى الرضا (ع) بمنبره، فقلت له: يا بن رسول الله روي لنا عن الصادق (ع) أنه قال: لا جبر ولا تفسير بل أمر بين أمرین، فما معناه؟ فقال (ع): من زعم أن الله تعالى يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله عزّ وجلّ فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه (ع) فقد قال بالتفويض، والقاتل بالجبر كافر والقاتل بالتفويض مشرك، فقلت له: يا بن رسول الله فما أمر بين أمرین؟ فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه، فقلت له: فهل لله عزّ وجلّ مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال: فأما الطاعات فإرادة الله ومشيئته فيها: الأمر بها والرضى لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاشي: النهي عنها والسطح لها والخذلان عليها، قلت: فهل لله عزّ وجلّ فيها القضاء؟ قال: نعم، ما من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلا والله تعالى فيه قضاء، قلت: ما معنى هذا القضاء؟ قال: الحكم عليهم بما يستحقونه على أعمالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة) ^(٩٨٠) .

لكن لا يخفى أن التفسير المنفي في هذا الحديث غير التفسير الذي يقول به المعتزلة وإن كان هذا التفسير أيضاً منفي، وهو من مصاديق الغلو.

أما التفسير القائل به المعتزلة . في قبال الجبر القائل به الأشاعرة . معناه: إن الله سبحانه

^(٩٨٠) عيون أخبار الرضا (ع): ج ١ ص ١٢٤ ب ١١ ح ١٧ .

وتعالى خلق الخلق ثم استراح . كما قالته اليهود . فلا شأن له في أعمال العباد إطلاقاً .

والحاصل: إن التفويض المردود عندنا، هو التفويض الذي قالت به المعتزلة، فإنهم أفرطوا من الجانب الآخر حيث ذهبوا إلى أنه تعالى لا مدخلية له في أعمال العباد أصلاً سوى خلق الآلات والتمكين والإقدار، حتى أن بعضهم قال: بأن الله لا يقدر على غير مقدور العبد، وبعضهم قال: لا يقدر على مثله أيضاً، فهم عزلوا الله عن سلطانه وكأنهم أخرجوا الله عن ملكه وأشركوا من حيث لا يعلمون ..

فالمعتزلة لم يريدوا أن ينكروا البديهيات من الآلات والأدوات وما أشبه، وإنما أنكروا مدخلية الله سبحانه وتعالى في أفعال العباد، فقالوا: إن العباد يعملون بملء إرادتكم عملاً مستقلاً عن الله إطلاقاً، وهذا مردود عليهم نقاً وعقلاً:

الرد عقلاً

أما عقلاً: فلوضوح أن حقيقة الإنسان . كسائر الموجودات . شيء قائم بالغير، فهو في كل آن محتاج في شيئته وبقائه إليه تعالى، لا مثل احتياج الكهرباء إلى الماكنة فإن ذلك بغير اختيار وإنما الاحتياج بالاختيار، فإن الإنسان بعد وجوده وتكوينه وخصوصياته الجسدية من ذكر أو أنشى وبلاهة وذكاء وما أشبه ذلك، فاقد بذاته لجميع الكمالات من الحياة والشعور والفهم والعقل والقدرة والقدرة وما أشبه ذلك، ومحاج في وجدانه لها وفي بقائه له في كل آن إليه سبحانه وتعالى.

فالإنسان كما ذكره بعض المتكلمين مثاله مثال الصور الذهنية التي إذا صرف الشخص ذهنه عنها انفقدت وانفتح إطلاقاً ..

بالإضافة إلى أن الإنسان محتاج في أعماله القلبية والبدنية إلى الآلات والأسباب وكلها في وجودها وقيؤها له محتاجة إليه سبحانه وتعالى وهذا واضح جداً، فكلام المفوضة كالمشبهة في قبال البديهة، كما أن كلام المجرة كذلك.

الرد نقاً

أما نقاً .. فآيات ورويات تدل على نفي التفويض وهي أيضاً كثيرة: مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاء﴾^(٩٨١). وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٩٨٢). وقوله سبحانه: ﴿يَرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾^(٩٨٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصِحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُغْوِيْكُمْ﴾^(٩٨٤). أقول: معنى إرادة الله إغواههم انه لم يهدهم بالهداية الخاصة وإنما منحهم الهداية العامة وحيث لم يقبلوا تلك العامة لم يفضل عليهم بال الخاصة. وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَرِدُ اللَّهُ فَتَتْهِ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدْ اللَّهُ أَنْ يَطْهَرْ قُلُوبَهُمْ﴾^(٩٨٥). إلى غير ذلك..

^(٩٨١) سورة القصص: ٥٦.

^(٩٨٢) سورة يونس: ١٠٠.

^(٩٨٣) سورة آل عمران: ١٧٦.

^(٩٨٤) سورة هود: ٣٤.

^(٩٨٥) سورة المائدة: ٤١.

الأمر بين الأمرين

كما أن الروايات ظاهرة بل صريحة على أنه (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين) ^(٩٨٦).

فكما أن نفي الجبر بمعنى: نفي كون أعمال الإنسان من فعل الله عزوجل أجرها بيد العبد وإن كان حصولها بقدرة الله من غير مدخلية لقدرة العبد وإرادته، فنفي التفويض معناه: نفي القول بأن الله خلق العباد وأقدارهم على أعمالهم من دون مدخلية وفوض إليهم اختيارها على وفق مشيئتهم من غير أن يكون له تعالى فيهم صنع اطلاقا، فالواقع أمر بين الأمرين.

والقول بالأمر بين الأمرين لا يوجب نسبة الظلم إلى الله تعالى، بأن يقال أحبرهم على المعاصي وعدّبهم عليها كما قالت به المحبّرة، ولا استقلال العباد واستغناهم في حركاتهم وسكناتهم عن الله ونسبة الوهن إليه تعالى وعزله عن ملكه كما قالت به المفوضة، وقبل ذلك قالت به اليهود كما ورد في القرآن: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ ^(٩٨٧).

^(٩٨٦) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٩٧ ب ٣ ح ٢، وراجع الكافي : ج ١ ص ١٦٠ ح ١٣، وفيه: (عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين).

^(٩٨٧) سورة المائدة: ٦٤.

التفويض والولاية التكوينية والتشريعية

أما التفويض بالمعنى الصحيح الوارد في الآيات والروايات تشعرياً وتكونيناً مثل قوله سبحانه: **﴿وَأَنِي أَخْلَقَ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةَ الطِّيرِ فَأَنْفَخْ فِيهِ فَيَكُونُ طِيرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** (٩٨٨).

وما في الرواية: (إن الله أدب نبيه بآدابه ففوض إليه دينه) (٩٨٩).

فهذا التفويض هو الذي دلّ عليه الشرع ولم ينكّر العقل.

وحيث ذكرنا تفصيل هذا التفويض . وهو ما يعبر عنه بالولاية التكوينية والتشريعية . في البيع (٩٩٠) ومن فقه الزهراء (عليها السلام) (٩٩١) مفصلاً فلا حاجة إلى التكرار هنا، نقول: إنهم . عليهم أفضـل الصلة والسلام . في أمورهم التـفوـيـضـيـةـ مـثـلـهـمـ مـثـلـ ماـ فـوـضـ إـلـيـهـ كـبـارـ مـلـائـكـتـهـ كـعـزـرـائـيلـ (عـ) حـيـثـ يـمـيـتـ الـأـحـيـاءـ، لـأـنـ اللـهـ قـدـ فـوـضـ إـلـيـهـ هـذـهـ الـإـمـاـتـةـ وـلـاـ تـوـجـبـ الـاسـقـالـلـ أـوـ الـاسـتـغـنـاءـ عـنـ اللـهـ عـزـوجـلـ.

وكذلك يظهر من جملة من الروايات تفويض كثير من الأشياء إلى الملائكة أيضاً.

فعن أبي خالد الصيقل عن أبي جعفر (ع) قال: (إن الله فوّض الأمر إلى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياء، فلما رأى الأشياء قد انقادت له قال: من مثلـيـ؟ـ فـأـرـسـلـ اللـهـ إـلـيـهـ نـوـيـرـةـ مـنـ نـارـ، قـلـتـ: وـمـاـ نـوـيـرـةـ مـنـ نـارـ؟ـ قـالـ: نـارـ أـنـمـلـةـ، فـاسـتـقـبـلـهـاـ بـجـمـيـعـ مـاـ خـلـقـ حـتـىـ وـصـلـتـ إـلـيـهـ لـمـاـ دـخـلـهـ الـعـجـبـ) (٩٩٢).

(٩٨٨) سورة آل عمران: ٤٩.

(٩٨٩) راجع الكافي: ج ١ ص ٢٦٧ ح ١، وفيه: (عن أبي عبد الله ع قال: إن الله تبارك وتعالى أدب نبيه) فلما انتهى به إلى ما أراد قال له (إنك لعلى خلق عظيم) ففوض إليه دينه).

(٩٩٠) راجع موسوعة الفقه: كتاب البيع، المجلد الرابع والخامس.

(٩٩١) راجع موسوعة الفقه: من فقه الزهراء ، المجلد الأول، المقدمة. والمجلد الثاني أيضاً.

(٩٩٢) ثواب الأعمال: ص ٢٥١.

لا استقلال ولا استغناء عنه تعالى

أما الروايات التي ظاهرها التنافي لما ذكرناه من الأمر بين الأمرين أو التفويض بمعنى الولاية التكوبينية أو التشريعية فالمراد بها . بقرينة سائر الروايات وما تقدم من الآيات والأدلة العقلية .
نفي الاستقلال الكلي ، ولذا قال (ع) : إن القائل بذلك مشرك .

ثم لا يخفى عدم المنافاة بين التفويض وبين قوله سبحانه : ﴿وَمَا يَنْطَقُ عَنِ الْهُوَ﴾
إن هو إلا وحي يوحى﴾^(٩٩٣) إذ كل ما يقوله الرسول الأعظم (ص) وحي إما بإرسال حبرئيل ، أو بتكليم الله سبحانه له كما في ليلة المعراج ، أو بإلقائه في ذهنه الشريف لأنه أيضاً وحي أو ما أشبه ، كما يحتمل أن يكون من باب إذا علم المعلم تلميذه كليات الحساب ، مثل الأعمال الأربعه والجبر والمقابلة والخطفين وما أشبه ذلك ، ثم عمل التلميذ حسب كليات أستاذه ، صح للأستاذ أن يقول : كلّما يحلّه التلميذ من الحسابات هو حسب ما قلت له ، وإن لم يقل له هذا الجزئي الخاص وذلك الجزئي الخاص .

إذا عمل حسب المصلحة المفاضة على ذهنه في الأخذ والترك و مختلف الأوجه ، مثلاً :
قال لفرد حكم السفر حيث علم أنه مسافر ، ولاخر حكم الحضر ، ولثالث حكم الاختيار ،
ولرابع حكم الاضطرار ، كان كلّه من قاعدة :

﴿هذا عطاونا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾^(٩٩٤) كما ورد الحكم بذلك حسب المصالح الواقعية في الروايات ، وكما فعل أمير المؤمنين علي (ع) لستة زنوا فقال لكل حكماً غير الآخر .

هذا بالإضافة إلى انهم (عليهم السلام) أوعية مشيئة الله عزوجل ، كما في الروايات^(٩٩٥) .
وفي كل ما ذكرناه آيات وروايات ، مثلاً : قوله تعالى : ﴿عَفِيَ اللَّهُ عَنْكَ لَمْ أَذْنْتُ لَهُم﴾^(٩٩٦) فهو من هذا القبيل ، مع زيادة احتمال آخر هو أن يكون ذلك تعرضاً لهم لا له

^(٩٩٣) سورة النجم : ٤٣ و ٤ .

^(٩٩٤) سورة ص : ٣٩ .

^(٩٩٥) بحار الأنوار : ج ٢٥ ص ٣٣٦ ب ١٠ ح ١٦ ، وفيه : (عن أبي محمد لا . إلى أن قال . : بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله فإذا شاء شيئاً و الله يقول : ﴿وَمَا تَشَاؤنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾) . الخبر .

^(٩٩٦) سورة التوبه : ٤٣ .

(ص)، مثل قوله سبحانه في قصة موسى (ع): ﴿وَأَخْذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرِهِ إِلَيْهِ﴾^{٩٩٧} ولم يكن ذلك غضباً على هارون وإنما كان غضباً عليهم بهذه الصورة، كما يجرّ أحدنا يد صديقه أو ملابسه ليبتعد عن المناوئين له، فإنه ليس إهانة لأخيه أو صديقه وإنما إهانة لهم بهذه الصورة.

^{٩٩٧} سورة الأعراف: ١٥٠.

الوجوه المختلفة في كلماتهم

وما ذكرنا يعلم قوله (ع) بانصراف كلماتهم إلى سبعين وجهًا، والسبعين من باب المثال وإلاً فيمكن أن يكون أكثر..

مثل حديث الكرخي عن الصادق (ع) قال: (حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقهياً حتى يعرف معارض كلامنا، وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهًا لها من جميعها المخرج) ^(٩٩٨).

ومثل ذلك: حديث علي بن أبي حمزة، وأبي الصباح، والأحول، وأبي بصير، وعبد الأعلى، وغيرها من الأحاديث التي هي فوق التواتر.

وهذا أيضاً وارد بالنسبة إلى العقلاء وكلماتهم فكيف بهم (ع) وهم سادة العقلاء؟ فقد يكون الحكم بالنسبة إلى الرجل، وقد يكون بالنسبة إلى المرأة، ثم قد يكون بالنسبة إلى الحر، وقد يكون بالنسبة إلى العبد، ثم قد يكون بالنسبة إلى السفر وقد يكون بالنسبة إلى الحضر، ثم قد يكون بالنسبة إلى البالغ، وقد يكون بالنسبة إلى غير البالغ، وهذا إذا ضربت بعضها في بعض، والمجموع في الاختيار والاضطرار والإكراه، والجهل التقصيرى والجهل القصوى يبلغ ما يقارب المائة لا السبعين بهذا العدد الخاص، فالسبعين في كلماتهم (ع) من قبيل: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّة﴾ ^(٩٩٩).

هذا بالإضافة إلى أنه قد يكون الحكم استحباباً أو كراهةً أو تخيراً، وهذه الثلاثة باب وسيع مذكور في محله.

ومن المحتمل أن تكون روایات علاج المعارضين من هذا القبيل، حيث أن مقتضى بعضها التخيير في الأخذ بأيهمَا شئت، ومقتضى البعض الأخذ بما فيه المزية، والمزيات المذكورة في الروایات مختلفة، والتقيية نوع من الاضطرار كما هو واضح إما بالنسبة إلى الإمام

^(٩٩٨) معاني الأخبار: ص ٢ ح ٣.

^(٩٩٩) سورة التوبة: ٨٠.

(ع) أو بالنسبة إلى السامع أو بالنسبة إلى من ينقل إليه الكلام.
وتفصيل الكلام في هذه الأمور مما لا يسعه المقام، والأمثلة عليها كثيرة أيضاً حتى
بالنسبة إلى العقلاء العاديين فكيف بهم (ع)، وحيث البناء في هذا الكتاب الاختصار
والإشارة إلى رؤوس المطالب نتركها للمفصلات..
وللتفصيل يمكن مراجعة كتاب البحار ومصابيح الأنوار وكفاية الموحّدين وأبواب التعادل
والتراجيح من الأصول وما أشبه.

البداء

مسألة: من الاعتقادات المسلمة البداء، وقد دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع منا والعقل.

دلالة الكتاب

قال سبحانه: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١٠٠٠).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدُهُمْ مَبْسُوتَتٌ يَنْفَقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(١٠٠١).

وقال سبحانه: ﴿يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾^(١٠٠٢).

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ﴾^(١٠٠٣).

والمراد به: الإظهار بعد الاحفاء، وإلا فالله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء منذ القدم حيث كان جلّ قدرته بلا أول وإلى الأزل، ولا آخر له، فإنه عالم بجميع الأنواع الممكنة من المخلوقات وأطوارها وكيفياتها وخصوصياتها وزيادتها ونقصتها وتغييرها وتبديلها وشرائطها وخصوصياتها وعللها ومعلولاً لها و...
وفي الروايات ما يدل على ذلك كما ستأتي.

دلالة العقل

^(١٠٠٠) سورة الرعد: ٣٩.

^(١٠٠١) سورة المائدة: ٦٤.

^(١٠٠٢) سورة فاطر: ١.

^(١٠٠٣) سورة الروم: ٤.

كما دل عليه الدليل العقلي أيضاً، فإنه تعالى عالم حيث لا معلوم وقدر حيث لا مقدر، فليس علمه وقدرته عبارة عن الإضافة الاشرافية للوجود إليها، كما قاله بعض الإشرافيين، حتى في زمان وجود المعلوم والمقدر، فكيف بما قبله، بل «العلم» عبارة عن النور الذي تكشف به المعلومات قبل كونها وبعد كونها، و«القدرة» عبارة عن السلطنة على إيجادها وإعدامها، وعلى أن يفعل وأن لا يفعل، وعلى أن يعدم الموجود وأن لا يوجد الموجود، سواء أوجدها أو لم يوجدها..

وهذا . العلم والقدرة . عين ذاته سبحانه وتعالى ، مثل سائر صفات الذات ، فله سبحانه القدرة المطلقة واللامحدودية في قدرته تكويناً مع عدم تناهي مقدوراته الممكن إيجادها، وهكذا في علمه المطلق، بل كما في الأول أعدم وأوجد كذلك في الأخير يعدم ويوجد.. وليس مرادنا في الأول والأخير أوليته وآخريته تعالى بل أولية الشيء وآخريته، والمراد بالإيجاد والإعدام وما أشبه ذلك هو مشيئته تعالى ، فإن كان ذاته لولا مشيئته كافياً في وجود المقدر لزم وجود جميعها وإلا لزم عدم وجود شيء منها، فلا مخصوص للشيء الموجود إلا المشيئه، وإنما يظهر شيئاً ثم يتركه إلى غيره، كما قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَبْثُتُ وَعِنْهُ أَمُّ الْكِتَابِ﴾^(١٠٠٤)، وذلك لأجل بعض المصالح مثل امتحان الناس وما أشبهه..

(١٠٠٤) سورة الرعد: ٣٩.

كلام العالمة المجلسي

وقد قال العالمة المجلسي (رحمه الله): (إنهم بـ بالغوا في البداء ردًّا على اليهود الذين يقولون إن الله قد فرغ من الأمر، وعلى النّظام وبعض المعتزلة الذين يقولون إن الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً ولم يتقدّم خلق آدم على خلق أولاده، والتقدّم إنما يقع في ظهورها لا في حدوثها ووجودها، وإنما أخذوا هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة، وعلى بعض الفلاسفة القائلين بالعقل والنفوس الفلكية وبأن الله تعالى لم يؤثر حقيقة إلا في العقل الأول فهم يعزّلونه تعالى عن ملكه وينسبون الحوادث إلى هؤلاء)^(١٠٠٥) وعلى آخرين منهم قالوا إن الله سبحانه وتعالى أوجد جميع مخلوقاته دفعة واحدة دهريّة لا ترتيب فيها باعتبار الصدور بل إنما ترتيبها في الأزمان فقط كما أنه لا ترتيب في الأجسام المجمّعة زماناً وإنما ترتيبها في المكان فقط، (ففروا ع) ذلك وأثبتوا أنه تعالى كل يوم في شأن من إعدام شيء وإحداث آخر وإماتة شخص وإحياء آخر إلى غير ذلك، لئلا يتركوا العباد التضرع إلى الله ومسئلته وطاعته والتقرب إليه بما يصلح أمور دنياهم وعقباهم ويرجوا عند التصدق على الفقراء وصلة الأرحام وبر الوالدين والمعروف والاحسان ما وعدوا عليها من طول العمر وزيادة الرزق وغير ذلك)^(١٠٠٦) إنتهى كلامه رفع مقامه.

لا يقال: إذا كان عنده علم الكتاب فهو يعلم أن زيداً يموت يوم كذا مثلاً فألف دعاءٍ
ودعاء لا يؤثر، أو يعلم أن زيداً لا يموت فالدعاء لا فائدة فيه بل يكون لغواً محضاً.
لأنه يقال: إن الله يعلم أنه يموت إذا لم يدع وأنه لا يموت إذا دعا، فالدعاء من الشرائط
كما أن الدواء من الشرائط، وإلاّ ورد الاشكال نفسه في الدواء أيضاً حيث يقال: إنه إن

^(١٠٠٥) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٣٠ ب ٣.

^(١٠٠٦) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٣٠ ب ٣.

علم أنه يموت فلان فلا فائدة في الدواء وإن علم أنه لا يموت فالدواء لغو محض.

معنى يمحو الله

ومعنى **﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾**^(١٠٠٧) هو أن النبي (ع) يخبر . مثلا . الملائكة يرون في اللوح أن العروس تموت في هذه الليلة، ثم تتصدق هي فلا تموت، وإنما كان الإخبار من النبي (ع) والإثبات في اللوح بموتها على نحو الاقتضاء لا العلة التامة، أما في ألم الكتاب فالله يعلم أنها تتصدق ولا تموت، فالإظهار المخالف هو للمصلحة، مثلاً: في قصة العروس . كما في الخبر^(١٠٠٨) المروي عن عيسى (ع) إذا لم تمت وأظهر عيسى (ع) أنه بسبب الصدقة .
تسارع الناس إلى التصدق .

إلى غير ذلك من الأمثلة..

وبذلك ظهر حال دلالة العقل على البداء، لأنه مقتضى الجمع بين علم الله وقدرته وبين المصلحة .

^(١٠٠٧) سورة الرعد: ٣٩ .

^(١٠٠٨) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٩٤ ب ٣ ح ١ .

دلالة الروايات

أما ثاني الأدلة: فهو الروايات المتواترة، فمعنى «بَدَا لَهُ سَبْحَانَهُ»: الإبداء، لا البداء لذاته المقدسة.

فعن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله (ع) قال: (مَا بَدَا لَهُ بَدَاءٌ أَعْظَمُ مِنْ بَدَاءٍ بَدَأَ لَهُ فِي إِسْمَاعِيلَ إِبْنِي) ^(١٠٠٩).

وعن علي بن جعفر قال: كنت حاضراً عند أبي الحسن (ع) لما توفي إبنه محمد، فقال للحسن: (يَا بْنِي، أَحَدَثُ اللَّهَ شُكْرًا فَقَدْ أَحَدَثَ فِيكَ أَمْرًا) ^(١٠١٠).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: (أَدْعُ اللَّهَ وَلَا تَقُلْ إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ فَرَغَ مِنْهُ، إِنْ عِنْدَ اللَّهِ مِنْزَلَةً لَا تَنْالُ إِلَّا بِمَسَأَلَةٍ) ^(١٠١١).

وفي رواية أخرى قال (ع): (الدُّعَاءُ يَرْدُّ الْقَضَاءَ وَقَدْ أَبْرَمَ إِبْرَامًا) ^(١٠١٢).

وعن أبي الحسن الموسى (ع): (عَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ إِنَّ الدُّعَاءَ وَالْمُطَلَّبُ إِلَى اللَّهِ يَرْدُّ الْبَلَاءَ وَقَدْ قَدَرَ وَقَضَى فَلَمْ يَقِنْ إِلَّا إِمْضَاوَهُ، فَإِذَا دَعَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَ وَسَأَلَ صِرَاطَ الْبَلَاءِ صِرَاطًا) ^(١٠١٣).

وعن عمر بن يزيد قال: سمعت أبي الحسن (ع) يقول: (إِنَّ الدُّعَاءَ يَرْدُّ مَا قَدَرَ وَمَا لَمْ يَقْدِرْ، قَالَ: قَلْتَ: وَمَا قَدْ قَدَرَ فَقَدْ عَرَفَهُ، فَمَا لَمْ يَقْدِرْ؟ قَالَ: حَتَّى لَا يَكُونَ) ^(١٠١٤).

وعن إسحاق بن عمّار عن أبي عبد الله (ع) قال: (كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ نَبِيٌّ وَعَدَ اللَّهُ أَنْ يَنْصُرَهُ إِلَى خَمْسَ عَشَرَةِ لَيْلَةٍ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ قَوْمَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ إِذَا كَانَ لِيَفْعَلُنَّ وَلِيَفْعَلُنَّ فَأَخْرِهُ

^(١٠٠٩) كمال الدين: ص ٦٩.

^(١٠١٠) الإرشاد: ج ٢ ص ٣١٥.

^(١٠١١) عدة الداعي: ص ٢٩ ب ١.

^(١٠١٢) عدة الداعي: ص ١٦ ب ١.

^(١٠١٣) مكارم الأخلاق: ص ٣٨٨.

^(١٠١٤) عدة الداعي: ص ١٧ ب ١.

الله إلى خمس عشرة سنة، وكان فيهم من وعده الله النصرة إلى خمس عشرة سنة، فأخبر بذلك النبي قومه فقالوا: ما شاء الله فعجله الله لهم في خمس عشرة ليلة^(١٠١٥).

وعن زراة عن أحدهما ○ قال: (ما عبد الله عزوجل بشيءٍ مثل البداء)^(١٠١٦).

وعن هشام بن سالم عن الصادق (ع): (ما عظم الله عزوجل به مثل البداء)^(١٠١٧).

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (ع) قال: (ما بعث الله عزوجل نبياً حتى يأخذ عليه بثلاث خصال: الإقرار بالعبودية وخلع الأنداد وأن الله يقدّم ما يشاء ويؤخر ما يشاء)^(١٠١٨).

وعن مرازم قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (ما تبأّ نبيّ قط حتى يقرّ الله عزوجل بخمس: بالبداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة)^(١٠١٩)، والمراد بالمشيئة الاعتراف بأن الله مرید وليس مجبوراً كما يقوله بعض الفلاسفة.

وعن الرّيان بن الصلت قال: سمعت الرضا (ع) يقول: (ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وإن يقرّ له بالبداء)^(١٠٢٠).

وعن مالك الجهني قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (لو يعلم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه)^(١٠٢١).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال: (ما بدا الله في شيء إلا كان في علمه قبل أن ييدو له)^(١٠٢٢).

^(١٠١٥) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١١٢ ب ٣ ح ٣٢.

^(١٠١٦) التوحيد: ص ٣٣١ ب ٥٤ ح ١.

^(١٠١٧) التوحيد: ص ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٢.

^(١٠١٨) التوحيد: ص ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٣.

^(١٠١٩) التوحيد: ص ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٥.

^(١٠٢٠) التوحيد: ص ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٦.

^(١٠٢١) التوحيد: ص ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٧.

^(١٠٢٢) الكافي: ج ١ ص ١٤٨ ح ٩.

وعن الجهمي عن الصادق (ع) قال: (إن الله لم يهد له من جهل) ^(١٠٢٣).

وعن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله (ع) هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: (لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيمة أليس في علم الله؟ قال: بل قبل أن يخلق الخلق) ^(١٠٢٤).

وعن جهم بن أبي جهمة عمن حدثه عن الصادق (ع) قال: (إن الله عزوجل أخبر محمدًا (ص) بما كان منذ كانت الدنيا وبما يكون إلى انقضاء الدنيا، وأخبره بالمحظى من ذلك واستثنى عليه فيما سواه) ^(١٠٢٥).

وعن إكمال الدين عن الصادق (ع) قال: (من زعم أن الله عزوجل يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤوا منه) ^(١٠٢٦).

وعن إسحاق عمن حدثه عن أبي عبد الله (ع) إنه قال: (في قول الله عزوجل: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ لم يعنوا أنه هكذا، ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جل جلاله تكذيباً لقولهم: ﴿غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ ^(١٠٢٧) ألم تسمع الله عزوجل يقول: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنه ألم الكتاب﴾ ^(١٠٢٨) ^(١٠٢٩).

أقول: وإنما قال: ﴿يداه مبسوطتان﴾ كناية عن منتهاء القدرة وإلا فالله سبحانه وتعالى ليس بجسم كما هو واضح.

وعن تفسير العياشي قال أبو حمزة: فقلت لأبي جعفر (ع): (إن علياً ^(ع) كان يقول: إلى

^(١٠٢٣) الكافي: ج ١ ص ١٤٨ ح ١٠.

^(١٠٢٤) التوحيد: ص ٣٣٤ ب ٥ ح ٨.

^(١٠٢٥) الكافي: ج ١ ص ١٤٨ ح ١٤.

^(١٠٢٦) كمال الدين: ص ٧٠.

^(١٠٢٧) سورة المائدة: ٦٤.

^(١٠٢٨) سورة الرعد: ٣٩.

^(١٠٢٩) التوحيد: ص ١٦٧ ب ٢٥ ح ١.

السبعين بلاء وبعد السبعين رحاء وقد مضت السبعون ولم يروا رحاء، فقال لي أبو جعفر (ع): يا ثابت إن الله كان قد وقّت هذا الأمر في السبعين، فلما قتل الحسين (ع) إشتدّ غضب الله على أهل الأرض فأحرّه إلى أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع الستر فأحرّه الله ولم يجعل لذلك عندنا وقتاً، ثم قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَشْتَتُ وَعِنْهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١٠٣٠) .

وعن حمران قال: سألت أبا عبد الله (ع) ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَشْتَتُ وَعِنْهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فقال: يا حمران، إنه إذا كان ليلة القدر ونزلت الملائكة الكتبة إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يقضى في تلك السنة من أمر، فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره أو ينقص منه أو يزيد أمر الملك فمحما ما يشاء ثم أثبت الذي أراد، قال: فقلت له: عند ذلك فكل شيء يكون فهو عند الله في كتاب؟ قال: نعم، قلت: فيكون كذا وكذا ثم كذا وكذا حتى ينتهي إلى آخره؟ قال: نعم، قلت فأي شيء يكون بيده بعده؟ قال: سبحانه الله، ثم يحدث الله أيضاً ما شاء تبارك وتعالى^(١٠٣٢) .

وعن أبي عبيدة عن أبي جعفر (ع) قال سأله عن قول الله عزوجل: ﴿الْمَلَكُ غَلَبَ الرُّومَ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾^(١٠٣٣) . قال: (يا أبو عبيدة إن لهذا تأويلاً لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم من الأئمة ^ن، إن رسول الله (ص) لما هاجر إلى المدينة وقد ظهر الإسلام كتب إلى ملك الروم كتاباً وبعث إليه رسولًا يدعوه إلى الإسلام، وكتب إلى ملك فارس كتاباً وبعث إليه رسولًا يدعوه إلى الإسلام، فأما ملك الروم فإنه عظيم كتاب رسول الله (ص) وأكرم رسوله، وأما ملك فارس فإنه متّقد كتابه واستخفّ برسول رسول الله (ص)، وكان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الروم، وكان المسلمون يهبون أن يغلب ملك الروم ملك

^(١٠٣٠) سورة الرعد: ٣٩.

^(١٠٣١) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢١٨ من سورة الرعد: ح ٦٩.

^(١٠٣٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢١٦ من سورة الرعد ح ٦٢.

^(١٠٣٣) سورة الروم: ٣١.

فارس، وكانوا لناحية ملك الروم أرجا منهم ملك فارس، فلما غلب ملك فارس ملك الروم بكى لذلك المسلمين واغتموا فأنزل الله: ﴿الَّمْ ۖ غُلْبَتِ الرُّومُ ۖ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ يعني غلبتها فارس في أدنى الأرض وهي الشامات وما حولها، ثم قال: وفارس ﴿مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ ۖ الرُّومُ ۖ سِيَغْلِبُونَ ۖ﴾ في بضع سنين، قوله: ﴿الَّهُ أَلْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ﴾ أن يأمر ﴿وَمِنْ بَعْدِ﴾ أن يقضي بما يشاء، قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ بِنَصْرِ اللَّهِ يُنْصَرُ مِنْ يَشَاءُ﴾.

قلت: أليس الله عزوجل يقول: ﴿فِي بَضْعِ سَنِينٍ﴾ وقد مضى لل المسلمين سنون كثيرة مع رسول الله (ص) وفي إمارة أبي بكر وإنما غلب المؤمنون فارس في إمارة عمر؟ فقال: ألم أقل لك إن لهذا تأويلاً وتفسيراً، والقرآن يا أبا عبيدة ناسخ ومنسوخ، أما تسمع قوله ﴿الَّهُ أَلْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ﴾ يعني إليه المشيئة في القول أن يؤخر ما قدّم ويقدم ما أخر إلى يوم يحتمم القضاء بنزول النصر فيه على المؤمنين وذلك قوله عزوجل: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ بِنَصْرِ اللَّهِ يُنْصَرُ مِنْ يَشَاءُ﴾^(١٠٣٤).

أقول: ﴿الَّهُ أَلْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ﴾ حيث حذف المتعلق احتمل فيه احتمالات متعددة، وقد ذكر الإمام (ع) أحد الاحتمالات بمناسبة المقام في كلامه مع السائل. وفي مكالمة سليمان المروزي في أمر البداء قال (ع): (وما أنكرت من البداء يا سليمان، والله عزوجل يقول: ﴿أَوْلَا يَذَكِّرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئاً﴾^(١٠٣٥) ويقول عزوجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدِأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِدُه﴾^(١٠٣٦) ويقول: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ﴾

^(١٠٣٤) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٠٠ ب ٣ ح ١٠، وتفسير القمي: ج ٢ ص ١٥٢ و ١٥٣ من سورة الروم.

^(١٠٣٥) سورة الروم: ٥٠١.

^(١٠٣٦) سورة مرثيم: ٦٧.

^(١٠٣٧) سورة الروم: ٢٧.

والأرض》^(١٠٣٨) ويقول: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾^(١٠٣٩) ويقول: ﴿وَبِدَا خَلْقُ الْإِنْسَانِ
مِنْ طِينٍ﴾^(١٠٤٠) ويقول عزوجل: ﴿وَآخْرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ إِمَّا يَتُوبُ
عَلَيْهِمْ﴾^(١٠٤١) ويقول عزوجل: ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي
كِتَابٍ﴾^(١٠٤٢) ..

قال سليمان: هل رويت في ذلك عن آبائك؟ قال: نعم رويت عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: إن الله عزوجل علمنا علماً مخزوناً مكتوناً لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلماً علّمه ملائكته ورسله، فالعلماء من أهل بيته نبينا يعلموه، قال سليمان: أحب أن تنزعه لي من كتاب الله عزوجل، قال: قول الله عزوجل لنبيه (ص): ﴿فَتُوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ
بِمُلْوُمٍ﴾^(١٠٤٣) أراد هلاكهم ثم بدا الله تعالى فقال: ﴿وَذَكِّرْ فِي إِنَّ الذَّكْرَى تَنْفَعُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٠٤٤).

قال سليمان: زدني جعلت فداك..

قال الرضا (ع): لقد أخبرني أبي عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله (ص) قال: إن الله عزوجل أوحى إلى نبي من أنبيائه أن اخبر فلاناً الملك أني متوفيه إلى كذا وكذا فأتاه ذلك النبي فأخبره فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير وقال: يا رب أجلني حتى يشّبّ طفلي وقضى^(١٠٤٥) أمري، فأوحى الله عزوجل إلى ذلك النبي أن ائت فلاناً الملك فأعلم^(١٠٤٦) أني

(١٠٣٨) سورة البقرة: ١١٧ وسورة الأنعام: ١٠١.

(١٠٣٩) سورة فاطر: ١.

(١٠٤٠) سورة السجدة: ٧.

(١٠٤١) سورة التوبه: ١٠٦.

(١٠٤٢) سورة فاطر: ١١.

(١٠٤٣) سورة الذاريات: ٥٤.

(١٠٤٤) سورة الذاريات: ٥٥.

(١٠٤٥) وفي بحار الأنوار: (أقضى).

(١٠٤٦) وفي بحار الأنوار: (فأعلم).

قد أنسى في أجله وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة، فقال ذلك النبي: يا رب إنك لتعلم أني لم أكذب قط فأوحى الله عزوجل إليه إنما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك والله لا يسأل عما يفعل.

ثم التفت إلى سليمان فقال: أحسبك ضاحيتك اليهود في هذا الباب، قال: أعوذ بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود: **﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾**^(١٠٤٧) يعني أن الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً، فقال الله عزوجل: **﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا﴾**^(..) إلى آخر الخبر المذكور في العيون والبحار^(١٠٤٨).

وعن زراة عن أبي جعفر (ع) قال: (كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: لولا آية في كتاب الله لحدثكم بما يكون إلى يوم القيمة، فقلت له: آية آية؟ قال: قول الله: **﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَثْبِتُ وَعِنْهُ أُمُّ الْكِتَاب﴾**^(١٠٤٩)).

وسأله بن صالح أبا محمد (ع) عن قوله تعالى: **﴿اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْد﴾**^(١٠٥١) فقال: (له الأمر من قبل أن يأمر به وله الأمر من بعد أن يأمر به بما يشاء)^(١٠٥٢).

وعن فضيل ابن يسار عن أبي عبد الله (ع) قال: (إن الله كتب كتاباً فيه ما كان وما هو كائن فوضعه بين يديه فما شاء منه قدّم وما شاء منه أخر، وما شاء منه حما وما شاء منه أثبّت، وما شاء كان وما لم يشأ منه لم يكن)^(١٠٥٣).

^(١٠٤٧) سورة المائدة: ٦٤.

^(١٠٤٨) عيون أخبار الرضا ع : ج ١ ص ١٨١ و ١٨٢ ب ١٣ ح ١، وبحار الأنوار: ج ٤ ص ٩٥ ب ٣ ح ٢.

^(١٠٤٩) سورة الرعد: ٣٩.

^(١٠٥٠) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢١٥ (سورة الرعد).

^(١٠٥١) سورة الروم: ٤.

^(١٠٥٢) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١١٥ ب ٣ ح ٤١.

^(١٠٥٣) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢١٦ ح ٦٤ من سورة الرعد.

بين علم المعصومين والبداء

وبذلك يظهر وجه الجمع بين أنهم (ع) يعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيمة، وبين مثل: أن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لا يعلم بنفسه أيضاً وقت ظهوره، وبين مثل قوله سبحانه: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾^(١٠٥٤) وما أشبهه ذلك..

فيحتمل أنهم (ع) يعلمون غير ما فيه البداء الذي هو من أئم الكتاب الخاص بعلم الله سبحانه وتعالى كما أشار إلى ذلك قوله (ع): (لولا آية من كتاب الله)^(١٠٥٥) ويحتمل غير ذلك.

^(١٠٥٤) سورة الأعراف: ١٨٨.

^(١٠٥٥) إرشاد القلوب: ص ٣٧٤ مكالمته ٢٤ مع رأس اليهود.

من آثار معرفة البداء

والحاصل: إن وجود البداء يفتح على الإنسان باب الخوف والرجاء، والإنابة والدعاء، والمواظبة على الطاعة وترك المعصية، والخوف من سوء العاقبة والتوبة، وابتغاء الوسيلة إليه سبحانه وتعالى، وصلة الأرحام، والصدقة، والاجتهاد في العبادة، والتضرع إليه تعالى شأنه، وغير ذلك من الأمور التي تجعل العبد بين الخوف والرجاء..

فإن مثل ذلك يوجب كمال الإنسان، فإن المطمئن بالعاقبة الحسنة قد لا يعتمد على الله حق الاعتماد في الدعاء وما أشبه، كما أن المطمئن على العاقبة السيئة لا يرجو الله ولا يعمل حتى ينقد نفسه من عذابه سبحانه، وقد ذكرنا في أول هذا المبحث أن البداء يدل عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وإنما لا يقول بالبداء غير الموالين لهم (ع) وإن قالوا به في الجملة أيضاً.

الآجال المعلقة

ثم لا يخفى إن الآجال المعلقة . كما في ألسنة الناس . من قبيل: **﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَشْتَتُ﴾**^(١٠٥٦) ، فإنه يستفاد من الآيات والأخبار: أن للإنسان أجلين: أجلاً محتوماً، وأجلاً غير محتوم، وسيّي بالأجل المعلق والأجل الموقف، وهذا الأجل الثاني يقدّمه الله ويؤخّره ويزيد فيه وينقصه بطاعة أو معصية أو صلة رحم أو دعاء أو صدقة أو عمل بـ أو ما أشبه ذلك.. كما قال علي (ع): (وصنائع المعروف فإنها تدفع ميّة السوء)^(١٠٥٧) ، وهذا الكلام وإن كان المحتمل منه الموت الحسن في مقابل الموت السيء، لكنه يتحمل أيضاً الأعم من ذلك

^(١٠٥٦) سورة الرعد: ٣٩.

^(١٠٥٧) معدن الجواهر: ص ٧٠.

بأصل الموت وعده، وقد تقدمت قصة عيسى (ع) مع تلك العروس^(١٠٥٨)، حتى إذا أخذ بظاهر كلام أمير المؤمنين (ع) فإن ميّة السوء كانت مقدّرة لولا صنائع المعروف.

وبالنسبة إلى الأجل المحتوم قال سبحانه: **﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾**^(١٠٥٩).

وقال تعالى: **﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾**^(١٠٦٠).

وقال سبحانه: **﴿لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة﴾**^(١٠٦١).

وقال تعالى: **﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾**^(١٠٦٢).

وقال عزوجل: **﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر﴾**^(١٠٦٣).

وبالنسبة إلى الأجل الموقوف أو المعلق: قال سبحانه: **﴿ثم قضى أجالاً واجل مسمىٰ عندك ثم أنت تمترون﴾**^(١٠٦٤).

وعن الصادق (ع) قال: (الأجل المقصي هو المحتوم الذي قضاه الله وحتمه، والمسمى هو الذي فيه البداء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، والمحظى ليس فيه تقديم ولا تأخير)^(١٠٦٥).

وعن أبي بصير عن الباقي (ع) في قوله تعالى: **﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾**^(١٠٦٦) قال: (إن عند الله كتبًا موقوفة يقدم منها ما يشاء ويؤخر، فإذا كان ليلة

^(١٠٥٨) تقدمت في موضوع (معنى يمحو الله).

^(١٠٥٩) سورة الأعراف: ٣٤.

^(١٠٦٠) سورة الحجر: ٥، سورة (المؤمنون): ٤٣.

^(١٠٦١) سورة يونس: ٤٩.

^(١٠٦٢) سورة (المنافقون): ١١.

^(١٠٦٣) سورة نوح: ٤.

^(١٠٦٤) سورة الأنعام: ٢.

^(١٠٦٥) تفسير القرماني: ج ١ ص ١٩٤ سورة الأنعام.

^(١٠٦٦) سورة (المنافقون): ١١.

القدر أُنْزِلَ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ إِلَى مِثْلِهَا^(١٠٦٧) الْحَدِيثُ.

وَعَنْ تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ عَنِ الصَّادِقِ (ع) فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ قُضِيَ أَجْلًا وَأَجْلٌ مُسْمَىٰ عِنْدَهُ﴾^(١٠٦٨) قَالَ: الْأَجْلُ الَّذِي غَيْرُ مُسْمَىٰ مُوقَوفٌ، يَقْدِمُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَيَؤْخِرُ مِنْهُ مَا شَاءَ، وَأَمَّا الْأَجْلُ الْمُسْمَىٰ فَهُوَ الَّذِي يُنْزَلُ مَا يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلَهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١٠٦٩)^(١٠٧٠).

وَعَنِ الصَّادِقِ (ع) فِي حَدِيثِ حَمْرَانَ قَالَ: (الْمُسْمَىٰ): مَا سُمِّيَ مَلْكُ الْمَوْتِ فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلَهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١٠٧١) وَهُوَ الَّذِي قَالَ: سُمِّيَ مَلْكُ الْمَوْتِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَالآخَرُ: لَهُ فِيهِ الْمُشِيَّةُ إِنْ شَاءَ قَدَّمَهُ وَإِنْ شَاءَ أَخْرَهُ^(١٠٧٢).

وَعَنْ حَمْرَانَ عَنِ الصَّادِقِ (ع) سَأَلَتْهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿قُضِيَ أَجْلًا وَأَجْلٌ مُسْمَىٰ عِنْدَهُ﴾^(١٠٧٣) قَالَ: فَقَالَ: هَمَا أَجْلَانِ: أَجْلٌ مُوقَوفٌ يَصْنَعُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، وَأَجْلٌ مُحْتَوِمٌ^(١٠٧٤).

وَفِي رَوَايَةِ أُخْرَى عَنْهُ (ع) قَالَ: (الْأَجْلُ الْأُولُّ هُوَ الَّذِي نَبَذَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَالرَّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَجْلُ الْمُسْمَىٰ عِنْدَهُ هُوَ الَّذِي سَتَرَهُ عَنِ الْخَلَائِقِ)^(١٠٧٥).

^(١٠٦٧) بَحَارُ الْأَنُورَ: ج ٥ ص ١٣٩ ب ٤ ح ٢.

^(١٠٦٨) سُورَةُ الْأَنْعَامَ: ٢.

^(١٠٦٩) سُورَةُ الْأَعْرَافَ: ٣٤، وَسُورَةُ النَّحْلِ: ٦١.

^(١٠٧٠) تَفْسِيرُ الْعِيَاشِيِّ: ج ١ ص ٣٤٥ ح ٥ سُورَةُ الْأَنْعَامَ.

^(١٠٧١) سُورَةُ يُونُسَ: ٤٩.

^(١٠٧٢) بَحَارُ الْأَنُورَ: ج ٥ ص ١٣٩ ب ٤ ح ٤.

^(١٠٧٣) سُورَةُ الْأَنْعَامَ: ٢.

^(١٠٧٤) تَفْسِيرُ الْعِيَاشِيِّ: ج ١ ص ٣٥٤ و ٣٥٥ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامَ ح ٧.

^(١٠٧٥) بَحَارُ الْأَنُورَ: ج ٥ ص ١٤٠ ب ٤ ج ١٠.

وعنه (ع) عن أبيه (ع) عن رسول الله (ص) قال: (إِنَّ الْمَرءَ لِيَصْلُ رَحْمَهُ وَمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا ثَلَاثَ سَنَّينَ فَيَمْدَدُهَا اللَّهُ إِلَى ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ سَنَّةً، وَإِنَّ الْمَرءَ لِيَقْطَعُ رَحْمَهُ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ ثَلَاثَ وَثَلَاثُونَ سَنَّةً فَيَقْصُرُهَا اللَّهُ إِلَى ثَلَاثَ سَنَّينَ أَوْ أَدْنَى) قال الحسين: وكان جعفر (ع) يتلو هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَثْبِتُ عَنْهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١٠٧٦) .
 إلى غيرها من الأخبار الكثيرة الموجودة في البحار^(١٠٧٨) وغيره^(١٠٧٩) .

^(١٠٧٦) سورة الرعد: ٣٩.

^(١٠٧٧) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٢٠ من سورة الرعد ح ٧٥، وفيه: عن الحسين بن زيد بن علي عن جعفر بن محمد عليه السلام.

^(١٠٧٨) بحار الأنوار: ج ٤ ب ٣ ص ٩٢.

^(١٠٧٩) الكافي: ج ١ ص ١٤٦ باب البداء.

هل يجب اللطف على الله تعالى؟

مسألة: كثير من الإمامية وتبعهم المعتزلة ذهبا إلى وجوب اللطف على الله تعالى. وفسروه بـ: ما يقرب العبد إلى طاعته ويعده عن معصيته بغير إجحاء ولا إكراه ولا إجبار ولا اضطرار، فإنه تعالى أعطى كل مكلف القدرة على الفعل والترك فيما كلفهم به إثباتاً أو نفياً، وحيث أراد منهم الأعمال الحسنة وترك الأفعال السيئة فالواجب عليه عقلاً أن يقرّبهم إلى ذلك...، والتقرّب هو اللطف.

وقد قال أحد العلماء:

نصب الإمام حافظ الزمام لطف من الله على الأنام
فإنما مقرب للطاعة وقاد الناس إلى الإطاعة

وفي القرآن الحكيم: ﴿لَا يكْلِفَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسِعَهَا﴾^(١٠٨٠).

وقال سبحانه: ﴿لَا يكْلِفَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^(١٠٨١).

ومن الواضح أن اللطف أمر زائد على ذلك، ويدل عليه العقل والنقل.

^(١٠٨٠) سورة البقرة: ٢٨٦.

^(١٠٨١) سورة الطلاق: ٧.

ففي القرآن الحكيم: ﴿الله لطيف بعباده﴾^(١٠٨٢) أي يفعل ما هو لطف بحالم وهو صادق ولا أصدق من الله سبحانه وتعالى حيث قال سبحانه: ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾^(١٠٨٣)، ونقض الغرض وهو ترك فعل يحصل به غرضه قبيح فلا يتركه تعالى فإنه قادر حكيم علیم.

ثم لا يخفى ان المراد باللطف الواجب ما لا يتم التكليف إلا به، حسب ما سنّه الله في هذه الدنيا، مثل إرسال الرسل وإنزال الكتب ونصب الأئمة والأوصياء وجعل العلماء في كل زمان في الجملة..

أما ما زاد على ذلك فلا يجب مطلقاً، لوضوح أن الله جعل في الدنيا لكل شخص شخص حجة قوية، قال عزوجل: ﴿وهديناهم النجدين﴾^(١٠٨٤) ولكن لم يتزل الملائكة على كل فرد فرد مع أنه نوع من اللطف.

فلو نزل الملائكة على الكل بالأمر والنهي وأرى الناس المفاسد والمصالح الواقعية أو كلّهم الموتى أو أسمعهم أصواتاً من السماء أو من الأرض أو من الجبال لكانوا أقرب إلى الطاعة قطعاً، لكن ذلك يخرج الدنيا عن أسلوبها الخاص وعما وضعه الباري من السنن الكونية ولم يبق مجال للامتحان وما أشبه.

فلا يقتضي اللطف الذي نقول به مثل هذه الأمور، وقد أشار القرآن الحكيم إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿إِن نَّشَأْ نَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِّن السَّمَاوَاتِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقَهُمْ لَهَا حاضِعِينَ﴾^(١٠٨٥).

^(١٠٨٢) سورة الشورى: ١٩.

^(١٠٨٣) سورة النساء: ١٢٢.

^(١٠٨٤) سورة البلد: ١٠.

^(١٠٨٥) سورة الشعراء: ٤.

ثم إن الأمر في اللطف ليس يتم في هذه الدنيا فحسب، بل القبر والقيمة أيضاً محل التكميل والامتحان كما أن الأمر لم يتبدئ بهذه الدنيا.. فكانت عوالم أخرى وقد دلّ على كل ذلك النقل^(١٠٨٦).



وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الكتاب، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به ويشينا عليه ويوفقنا للمزيد من خدمته، وهو الموفق المستعان.
سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

^(١٠٨٦) راجع الكافي: ج ٨ ص ١٧٤ ب ٨ ح ١٩٤.

خاتمة (١٠٨٧)

مسائل في العقائد

^(١٠٨٧) اضفنا هذه الخاتمة (مسائل في العقائد) تتميماً للفائدة.

العقيدة الإسلامية

س: ما هي العقيدة الإسلامية؟

ج: العقيدة الإسلامية تحتوي على أصول ثلاثة وما يتبع تلك الأصول، وهي: التوحيد والعدل والنبوة والإمامنة والمعاد.

س: ما هي الأصول الثلاثة؟

ج: التوحيد والنبوة والمعاد.

س: ما هو التوحيد؟

ج: وهو الاعتقاد بأن لهذا الكون إلهًا قديراً حكيمًا سميعاً بصيراً، كان من الأزل ويقى إلى الأبد، شاملًا لجميع صفات الكمال، خالياً عن كل نقص وعيوب، وهذا الإله واحد لا شريك له، ولا يشبهه شيء من خلقه ولا يمكن رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة.. وقد دلت الأدلة والبراهين على (توحيده).

س: ما هي النبوة؟

ج: النبوة بمعنى أن الله سبحانه أرسل أنبياءً إلى البشر، للهداية إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

س: ما هو المعاد؟

ج: المعاد بمعنى أن الله سبحانه وتعالى بعد فناء العالم، وموت كل ذي روح، يعيد الناس إلى الحياة، ليجزيهم بما عملوا في دار الدنيا فمن آمن وأحسن كان جزاؤه الجنة، ومن كفر أو عصى كان مصيره النار.

س: هل يجب على كل إنسان أن يتدين بدين؟

ج: يجب التدين بدين صحيح.

س: هل تحصيل معرفة خالق الكون واجب أم لا؟

ج: واجب.

س: ما هو الدين الذي يلزم التدين به؟

ج: الإسلام.

س: هل يلزم التأكيد على المسائل العقائدية وبيانها للناس؟

ج: يجب التأكيد على المسائل الاعتقادية وبيانها للناس وتذكيرهم بها، فإن التأكيد على المسائل الاعتقادية مهم جداً، إذ بالاعتقاد يستقيم الإنسان أو ينحرف.

لا تقليل في العقائد

س: هل يجوز التقليل في الأمور العقائدية؟

ج: التقليل في الفروع فقط، ولا يجوز في أصول الاعتقادات على المشهور.

س: هل يجوز التقليل في أصول الدين؟

ج: كلا.

س: لماذا يجب على الإنسان أن يستدل على العقيدة؟

ج: وإنما كل معتقد بشيء يرى صحته، إذا لم يحتاج الأمر إلى دليل.

س: هل يجب تحصيل اليقين في الاعتقادات؟

ج: إذا أسلم الإنسان أو كان مسلماً فالواجب عليه تحصيل اليقين بالله سبحانه وتعالى وسائر شؤونه المرتبطة بأصول الدين إذا لم يكن متيقناً أي كان شاكاً أو ظاناً أو واهماً، بل بدون اليقين لا يكون إيمان فهو من أهم شعب الأصول، والآيات والروايات والإجماع بل العقل أيضاً دل على ذلك.

س: هل يجوز الشك في أصول الدين؟

ج: يحرم الشك في أصول الدين فإن ذلك موجب لللحاد، نعم إذا شك بدون أن يكون بيده كان اللازم عليه إدراك شكه بالتفكير والاستدلال ونحوها.

س: ما هو حكم التعصب في العقائد؟

ج: التعصب للله ولرسوله ولدينه بين مستحب وواجب، أما التعصب للأمور الجاهلية كالقومية والإقليمية والعرقية وما أشبه فهو حرام إذا أبداه.

إلهيات

س: طلما أن معرفة الله سهلة وميسرة إلى هذه الدرجة، لماذا نجد عشرات الأدلة والبراهين ومئات الكتب والمناظرات تكتب كل سنة لإثبات وجود الله؟

ج: أمام المنكرين.

س: ما هي أهمية معرفة الله تعالى؟

ج: إنه أعظم الحقائق، ويوجب الصلاح والإصلاح.

س: لماذا تؤدي معرفة الله إلى الزهد في الدنيا؟

ج: لأن الإنسان يصل إلى ضالة الدنيا.

س: هل ذات الله سبحانه وتعالى مفهوم جزئي لها تحقق خارجي في كل أنحاء الوجود؟

ج: الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان، لكن نحو هذا الوجود فوق إدراك البشر.

س: الله سبحانه وتعالى لا يرى بالعين ولكن يُرى بالقلب، فما معنى رؤيته بالقلب؟

ج: العلم بوجوده وصفاته الكمالية، كعلمنا بالبدويات.

س: كيف تميز الأمور الفطرية عن غيرها؟

ج: إن كمون الإنسان فطرة.

س: لماذا تعتبر عبادة الله أمراً فطرياً؟

ج: لأن باطن الإنسان ينادي به.

س: لماذا نثبت وجود الله؟

ج: حتى يُطاع.

س: هل من الضروري إثبات وجود الله؟

ج: نعم.

س: ما الفرق بين الإثبات والمعرفة.

ج: الإثبات بعد المعرفة.

س: لماذا اعتبر الكتائب أن (لا إله إلا الله) تكمل نصاب التوحيد؟

ج: لا إله إلا الله، هو التوحيد.

س: ما هي الخطوات العملية للارتباط مع الله؟

ج: ذكر الله كثيراً قولًا وعملاً.

س: هناك رواية (تلقوا بأخلاق الله)، ما هي أخلاق الله؟

ج: ما ذكره علماء الأخلاق كما في جامع السعادات.

س: كيف يستطيع الإنسان تقوية الرابطة بينه وبين ربه؟

ج: بكثرة ذكر نعم الله والجنة والنار وما أشبه.

س: ما هوقصد من أن التوحيد أمر فطري؟

ج: لأن فطرة الإنسان تدل على أن الله إله واحد.

س: ما الدليل على وجود الخالق؟

ج: الكون.

س: إذا كان الخالق لهذا العالم هو الله فمن خلق الله؟

ج: الله واجب الوجود فلا خالق له.

س: ما الدليل على أن الخالق لهذا العالم هو الله؟

ج: لأن الأثر يدل على المؤثر، ولا مؤثر ازلي سواه.

س: هل الاعتقاد بالسلطة الغيبية لغير الله معيار التوحيد والشرك؟

ج: كلا.

س: هل طلب الشفاء والإشفاء من غيره سبحانه شرك؟

ج: كلا.

س: هل طلب الشفاعة من عباد الله سبحانه شرك؟

ج: كلا.

س: هل الاستعانة بأولياء الله شرك؟

ج: كلا.

س: هل دعوة الصالحين شرك؟

ج: كلا.

س: هل تعظيم أولياء الله وتخليد ذكرياتهم شرك؟

ج: كلام.

س: ما معنى الألوهية والربوبية؟

ج: الإله هو الخالق، والرب هو المريّ.

س: ما معنى التبرك؟

ج: طلب البركة.

س: هل التبرك بآثار النبي والأولياء شرك؟

ج: كلام.

س: هل البناء على القبور شرك؟

ج: كلام.

س: هل زيارة القبور شرك؟

ج: كلام.

س: هل الصلاة عند قبور الصالحين شرك؟

ج: كلام.

س: هل الحلف بغير الله وأقسامه بمحلوق أو حقه عليه شرك؟

ج: كلام.

س: لماذا الوهابية يعتبرون هذه الأشياء شرك وما هي الأسباب؟

ج: لا دليل لهم.

س: هل إن التوسل بأولياء الله ينافي التوحيد؟ ولماذا؟

ج: كلام، لأن الله أمر بذلك قال عز وجل: **﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾**^(١٠٨٨).

س: ما هي الحكمة في أمر الله تعالى بالتوسل؟

ج: حتى لا ييأس الإنسان.

س: ما هو الكفر المحرم بالنسبة إلى الله عزوجل؟

ج: يحرم الكفر ب مختلف اقسامه، والظاهر إن الكفر شامل لإنكار الله أو جعل الشريك

^(١٠٨٨) سورة المائدة: ٣٥.

معه أو وصفه بما لا يليق به كالتجسيم والظلم وما أشبه ذلك، وكل ذلك من المحرمات الأكيدة المنصوص عليها كتاباً وسنة وإجماعاً ويدل عليه العقل أيضاً بل مثل ذلك من أوضح الضروريات.

س: هل يجوز التكلم في ذات الله؟

ج: لا يجوز التكلم في ذات الله سبحانه وتعالى بأنه كيف وما أشبه.

س: ما هو المقصود من تحريم الالحاد في اسماء الله؟

ج: لا يبعد أن يراد بها الإفراط أو التفريط بأن يسمى الله بالأسماء السيئة أو تسمى الأصنام بأسماء الله سبحانه وتعالى فإن الإلحاد هو الانحراف.

س: ما هو حكم عبادة اشياء باعتبار انها تقرب الى الله زلفى؟

ج: تحريم عبادة النيران وسائر الأوثان بما هي أو بدعوى أنها تقرب الإنسان إلى الله زلفى، فإن عبادة غير الله سبحانه وتعالى محرمة، سواء كان ذلك الغير بشراً أو حيواناً كالبقر أو نباتاً كالشجر أو جماداً كالحجر والنار والماء.

ولا فرق في حرمة عبادة النار والوثن بين مختلف أنواع ما يطلق عليه عبادة عرفاً كالصلوة والركوع والسجود وتقديس القرىان وما أشبه ذلك، كما لا يجوز إذا قصد العبادة ولو بما لا يعد عرفاً عبادة.

س: ما هو حكم انكار الله وصفاته؟

ج: يحرم إنكاره جل وعلا سواء بإنكاره أصل وجوده أم وحدانيته أم بعض صفاته الثبوتية أو السلبية.

س: ما هو حكم من لا يعرف الله عزوجل؟

ج: من لا يعرفه جل وعلا . لشبهة مثلاً . فالواجب عليه الفحص والبحث وجوباً عقلياً وذلك لاحتمال الضرر العظيم في الدنيا والآخرة ودفع الضرر المحتمل في الأمور الخطيرة واجب عقلاً.

س: هل يحرم الشرك الجلي فحسب أم يحرم الشرك الخفي أيضاً؟

ج: يحرم الشرك الخفي أيضاً في الجملة.

س: ما هو حكم التفكير في أفعال الله ومخلوقاته؟

ج: يستحب التفكير في أفعال الخالق جل وعلا وملحقاته وكذلك في شؤونه سبحانه في الجملة، ضمن الإطار الذي بيته الآيات والروايات، وعلى ضوء المنهج الذي رسمه القرآن والعترة عليه السلام، وبنفس المقدار والحد الذي حدوه لنا، وهذا أمر عقلي وعقلائي في كل محدود جاهل يبحث عن مجهول، فعليه أن لا يتعدى الحدود التي رسمها له العالم وان يمشي على ضوء إرشاداته ووفق علاماته وهدايته، وإلا فالملاك مصيره.

س: ما هي آثار التفكير في مخلوقات الله؟

ج: إن التفكير في الكون وعظمته وعظمته خالقه يوجب توثيق الارتباط بالله سبحانه وتعالى والاتصال بالله يسبب استقامة التفكير وسموه وصقل الروح واستحكام النفس الملهمة بالتقوى وغليتها على النفس الأمارة، وإيجاد معانٍ متعلقة أخرى في الإنسان كالتوكل على الله والرضا بقضاءه والتسليم لأمره، وما أشبه ذلك

س: ما هو المقصود بكلمة التوحيد وما معناها؟

ج: كلمة التوحيد هي: (لا إله إلا الله) ومركبة من عقد سلب وعقد إيجاب فنفي الباطل والغير أولاً ثم إثبات الحق المطلق، وهذا يستلزم نفي الجزء أيضاً.

الفلسفة

س: ما معنى هذه العبارة: (الواحد الحقيقى لا يصدر منه إلاّ الواحد الحقيقى غير ذي الإرادة)؟

ج: بمعنى أن البسيط الذى لا تكتر فيه لا خارجاً ولا ذهناً، لا يصدر منه إلاّ واحد، لكن ذلك إنما هو في الفاعل بالجبر، وأما الفاعل بالإرادة . ك الله سبحانه وتعالى . فيصدر عنه الكثير.

س: ما معنى الأمور الحقيقة والاعتبارية والانتزاعية والتي ذكرتموها في بعض مجلدات (الفقه)؟

ج: الأمور الحقيقة هي الموجودة بذاتها كالإنسان، والأمور الانتزاعية هي الموجودة بوجود منشأ انتزاعها، فلا تنافي بفرض الفارض واعتبار المعتبر كزوجية الأربع، والأمور الاعتبارية هي المنوطة باعتبار من بيده الاعتبار كالمملکية والرقية والحرية، بحيث لو لا اعتباره لم يكن لها تتحقق أصلاً.

س: ما رأيكم بالعقول العشرة التي قالها الفلاسفة؟

ج: لا صحة لذلك.

س: ما رأيكم بوحدة الوجود والموجود مما قاله بعض الفلاسفة؟

ج: لا صحة لذلك.

س: هل نشارك نحن مع الله في اصل الوجود؟

ج: وجود الله عين ذاته ويختلف عن وجودنا، كسائر صفاته عزوجل.

س: لقد أمرنا الله تعالى شأنه في آيات عديدة بالاستقامة على التوحيد، فكيف يمكن ذلك؟

ج: بأن لا ينحرف في عقيدة أو عمل.

العدل وصفات الله عزوجل

س: يقول البعض: إننا إذا قبلنا أصل العدالة فبماذا نفسر وجود الحوادث والآفات والزلزال والعواصف وخلق الناس المشوهين والجانيين؟

ج: للإمتحان ولغير ذلك.

س: ما هو معنى الجور؟

ج: الظلم.

س: ما هو معنى كلمتي القضاء والقدر؟

ج: القدر: التقدير، والقضاء: الأمر والنهي.

س: ما هو التقدير التكوي니 الخارجي؟

ج: كبناء الكون بهذه الكيفية.

س: كيف يغير الدعاء القضاء؟

ج: لأن الله قادر عليه.

س: ما معنى كلمة (البداء) وهل البداء هو تغيير القدر؟

ج: البداء إظهار ما خفي قبلًا.

س: ما هي صفات الخالق الشبوية التي يجب أن يوصف بها؟

ج: عالم، قادر، حي، مرشد، مدرك، قديم، متكلم، صادق

س: ما معنى أن الله عالم؟

ج: أنه يعلم كل شيء.

س: ما معنى أنه مختار؟

ج: باختياره يفعل ما يريد، لا بالجبر.

س: ما معنى أنه قادر؟

ج: أنه يتمكن من كل خلق.

س: ما معنى أنه حي؟

ج: أنه ليس بميت.

س: ما معنى مدرك؟

ج: أي يرى ويسمع.. الخ.

س: ما معنى قديم أزلي؟

ج: من الأزل إلى الأبد.

س: ما معنى أبدى؟

ج: دائم.

س: ما معنى متكلم؟

ج: يخلق الكلام.

س: ما معنى أنه صادق؟

ج: لا يكذب.

س: ما تعريف القبيح وما هو؟

ج: كل شيء يقبحه العقل.

س: ما معنى الظلم؟

ج: العمل خلاف الموازين.

س: ما هو اعتقادنا في القضاء والقدر؟

ج: إنهما موجودان.

س: ما هو اعتقادنا في الأرزاق؟

ج: إن الله هو الرزاق.

س: ما معنى اللطف؟

ج: أي يلطف بعباده.

س: هل إن العلم الإلهي الأزلي ينفي اختيار الإنسان؟

ج: كلا.

س: قال الله تعالى: ﴿لَا يُسَأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسَأَلُونَ﴾^(١٠٨٩)، إذا كان الله عالماً بما سيحصل للبشر ولغيره، بأن يكون مصير فلان إلى النار ولا تفيده الدعوة إلى الإسلام، وان مصير ذلك إلى الجنة، فلماذا يكلف الإنسان أصلاً، ومع علم الله بذلك فما هي الغاية حينئذٍ من الإيجاد؟

ج: العلم لا يرتبط بالمعلوم، فإنك إذا علمت بأن يبني المسجد فهل بناؤه مرتبط بك؟!

س: هل يجب الاعتقاد بأن الله تعالى متكلم؟

ج: يجب الاعتقاد بكونه تعالى متكلماً بالمعنى الصحيح لذلك، وقد ثبت في علم الكلام: أن الله سبحانه وتعالى لا يتكلم كتكلمها بضم وشفة لاستحالة ذلك في حقه لأنَّه تعالى ليس بجسم، ولا هواء هناك، إلى غير ذلك من شرائط الكلام المعهود المفروضة في ساحتِه المقدسة. بل يراد بالقول: إما خلق الصوت كما التزموا بذلك، وإما إيجاد عالمة دالة على ذلك في اللوح بسبب القلم.

س: هل يجوز الاعتقاد بالتجسيم بالنسبة إلى الله عزوجل؟

ج: لا يجوز الاعتقاد بتجسم الله سبحانه وتعالى.

هل يجوز الاعتقاد بامكان رؤية الله تعالى؟

ج: يجب الاعتقاد بأن الله تبارك وتعالى ليس بجسم ولا يجل في جسم، وليس في جهة، فإنه سبحانه وتعالى مجرد عن المادة والجيز والجهة والمكان والزمان والمقدار ومضارعاتها ولذلك يستحيل رؤيته.

س: هل يتمكن الإنسان من وصف الله تعالى؟

ج: اللسان عاجز عن وصف الله سبحانه كما هو، لأن مفردات اللغة محدودة وللسان أيضاً محدود كماً وكيفاً، وصفاته تعالى غير محدودة ولا يمكن أن يستوعب المحدود غير المحدود.

س: هل صفات الله عين ذاته؟ وهل يمكن إدراكتها؟

ج: نعم صفاته سبحانه عين ذاته، وكما لا يمكن إدراك كنه ذاته فكذلك صفاته وما يذكر في وصفه تعالى فهو إشارات وعلامات عامة لا غير.

^(١٠٨٩) سورة الأنبياء: ٢٣.

س: ما هو حكم التفكير في ذات الله؟

ج: يكره التفكير في ذات الله وكيفيته وقد يحرم، وسبب الحرمة أن ذلك كثيراً ما يسوق الإنسان إلى الافتراء على الله وإلى أنواع من الانحراف العقائدي.

ومع قطع النظر عن ذلك فإن من الواضح أنه لا يصل فكر الإنسان . مهما أعمله . إلى إدراك كنه ذات الله سبحانه وكيفيته. فإن المحدود لا يعقل أن يستوعب غير المحدود بل إن المحدود الأصغر أو الأضيق لا يستوعب المحدود الأكبر أو الأوسع فكيف بغير المحدود. فلا يمكن أن يصل إلى (كنه) الله سبحانه وتعالى علم ولا ظن ولا وهم إطلاقاً على نحو الإستحالة، وإنما المعرفة تكون بآثار الله سبحانه وتعالى فيعلم أنه موجود وإن له الصفات الشبوانية وأنه منزه عن الصفات السلبية مما يعبر عنه بالبرهان الآني.

س: هل يجب الاعتقاد بقدرة الله تعالى المطلقة؟

ج: يجب الاعتقاد بذلك.

س: هل كان التكوين بالقدرة أم بالآلية؟

ج: إن تكوين الكون كان بالقدرة لا بالآلية . كقطع الحطب بالمنشار . وإن يستلزم عود الكلام إلى خلق تلك الآلة وهكذا فيتسلسل والتسلسل محال.

س: هل يجب الاعتقاد بمشيئة الله وإرادته؟

ج: يجب الاعتقاد بمشيئة الله تعالى وإرادته وأنه الفاعل المختار.

س: هل يجب الاعتقاد بأن الله تعالى هو الغني المطلق ولا يحتاج إلى أي شيء؟

ج: نعم.

س: هل يجب الاعتقاد بأن الله تعالى حكيم؟

ج: نعم.

س: ما هو الدليل على حكمة الله تعالى؟

ج: أصل تكوين الأشياء وتصويرها بتلك الصور والهيئات، كلامها دليل على حكمته حل وعلا، فإن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، وإفاضة الوجود على (الماهيات القابلة) من القادر الكبير وفي الوقت المعين وبمكتنفات معينة وبالأشكال المخصوصة، أكبر دليل على الحكمة اللامتناهية له حل وعلا.

س: هل يلزم بيان حكمة افعال الله تعالى للناس؟

ج: يستحب بل يلزم . في الجملة . السعي لتبيين حكم أفعاله تعالى للناس فإن ذلك يوجب تثبيت إيمان الناس واطمئنان قلوبهم ودفعاً لوساوس الشياطين وشبهات الملحدين.

س: كيف يصف الإنسان ربه؟

ج: ينبغي أن يصف المرء ربه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسالته وأوصيائهم ﷺ ، ويحرم أن يصفه بغير صفاته تعالى .

س: هل يجب الاعتقاد بالقضاء والقدر؟

ج: من اللازم الاعتقاد بالقضاء والقدر الإلهي، وهذا لا ينافي اختيار الإنسان وقدرته، لأنه تعالى قادر ذلك.

س: هل يجب الاعتقاد بعلم الله عزوجل وانه يعلم الغيب؟

ج: يجب الاعتقاد بعلمه تعالى، كما يجب الاعتقاد بأنه عزوجل يعلم الغيب ولا يخفى أن علمه سبحانه من صفات الذات.

النبوة

س: لماذا لا يستغني الناس عن الأنبياء؟

ج: لأنهم لا يعرفون طريق الأمور.

س: لماذا يجب الاعتقاد بالأنبياء السابقين؟

ج: لأنهم حقيقة.

س: ما معنى العصمة؟

ج: معنى العصمة أن الشخص يكون منهاً من المعاصي والخطاء، كبرها وصغرها إطلاقاً.

س: لماذا يجب أن يكون النبي معصوماً؟

ج: لئلا يخطأ.

س: هل تخالف المعجزة قانون العلية؟

ج: نعم.

س: ما الفرق بين المعجزة والكرامة؟

ج: ما يأتي لأجل التحدي وإظهار عجز الناس معجزة، وما ليس كذلك كرامة.

س: ما الفرق بين المعجزة المؤقتة والمعجزة الحالدة؟

ج: المؤقتة كشفاء المريض، والحالدة هي الباقية كالقرآن العظيم.

س: ما هي الإثباتات في القرآن الكريم والحديث الشريف على عصمة الرسول الأعظم

عليه السلام والأئمة عليهم السلام علماً بأن الإخوة السنة لا يعترفون بعصمة الرسول عليه السلام؟

ج: كما في الزيارة الجامعة، وفي القرآن الحكيم: ﴿وَمَا يُنْطِقُ عَنِ الْهُوَ﴾ ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ ^(١٠٩٠)، وقال عزوجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرُّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُظْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ^(١٠٩١).

س: هل أعطى الله النبوة لآدم وبذلك يكون أول الأنبياء؟

ج: نعم.

س: ما الفرق بين النبي والرسول؟

ج: النبي لا يلزم أن يكون رسولاً، والنبي لا يرى جبرائيل عياناً بل حلماً؛ والرسول يراه عياناً.

س: كم عدد الأنبياء؟

ج: عددهم (١٢٤٠٠٠)نبي، ومن أولئك الأنبياء: نوح (ع)، إبراهيم (ع)، موسى (ع)، وعيسى (ع)، وهؤلاء الأنبياء الأربعة مع النبي الإسلام عليه السلام هم أعظم من سائر البشر.

س: من هم أفضل الأنبياء؟

ج: أولوا العزم وأفضلهم رسول الله محمد عليه السلام.

س: لماذا سموا بأولي العزم؟

ج: لأنهم بعثوا إلى شرق الأرض وغربها.

س: كم عدد الكتب المنزلة وما هي؟

^(١٠٩٠) سورة النجم: ٢ و ٣.

^(١٠٩١) سورة الأحزاب: ٣٣.

ج: غير معلوم لنا.

س: ما هي صفات النبي التي يجب أن يتتصف بها؟

ج: العصمة.

س: هل كان النبي يحسن الكتابة والقراءة أم لا؟

ج: يحسن بإعجاز.

س: هل يجب الاعتقاد بنبوة رسول الله محمد ﷺ، وماذا لو لم يعتقد بذلك؟

ج: يجب الاعتقاد بنبوة النبي الأعظم محمد ﷺ ورسالته فإن من لم يعتقد بنبوة رسول الله ﷺ كان كافراً وإن اعتقد بنبوة سابق الأنبياء ﷺ.

س: هل يشترط في النبي والإمام الأمانة؟

ج: نعم فان النبي ﷺ كان أميناً وصفياً وخيرة الله من الخلق بقول مطلق أي من جميع الأبعاد والحيثيات وفي كل الجهات وأنه ﷺ كان المثل الأعلى في الأمانة وأكمل من اصطفاهم الله وخيرة خيرته على الإطلاق.

س: هل يجوز نصب غير المعصوم للنبوة أو الإمامة؟

ج: لا يجوز ولا يحسن من القادر الحكيم نصب غير الأمين من كل الجهات وغير المعصوم من مختلف الحيثيات، نبياً وحجة على العباد.

س: من هو الذي يختار النبي أو الإمام؟

ج: يجب أن يكون اختيار النبي ﷺ من قبل الله تعالى وتعيينه سبحانه وكذلك الإمام الله.

س: هل هناك موصفات خاصة للنبي والامام (ع)؟

ج: يجب أن تتوفر في النبي ﷺ والإمام الله موصفات وشروط مذكورة في علم الكلام، وقد اختار الله رسوله ﷺ وانتقامه لما يحمل من موصفات تؤهله لكي يكون رسولاً لرب العالمين وحجة على الناس أجمعين.

ومن جملة تلك الصفات: العصمة الالزمة عقلاً وشرعأً في النبي ﷺ والإمام الله والتي لا يعرفها إلا الله سبحانه وتعالى.

القرآن الحكيم

س: ما هو رأيكم بالنسبة الى جمع القرآن، متى جمع ومن جمعه؟

ج: القرآن جمعه رسول الله ﷺ وفي عهده وبأمر من الله سبحانه وتعالى بهذه الكيفية الموجودة من دون زيادة ونقصان.

س: ما هو رأيكم بالنسبة الى تحريف القرآن؟

ج: القرآن الموجود باليدينا اليوم هو نفس القرآن الذي أنزله الله على نبينا محمد ﷺ من دون زيادة أو نقيصة حتى في حرف واحد، والأدلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١٠٩٢).

س: ما حكم وضع كتاب دعاء أو غيره فوق القرآن الكريم؟ وهل يعد هتكاً؟

ج: إذا عد هتكاً عرفاً حرم.

س: هل يجوز أن يجلس الإنسان والقرآن وراء ظهره؟

ج: لا يجوز إذا اعتبر هتكاً.

س: الآيات القرآنية الموجودة في الكتب واللوحات وغيرها، هل لها نفس حكم القرآن بحرمة المس لها لغير المتطهر؟

ج: نعم.

س: إذا كانت هناك صحف أو مجلات عليها اسم الحلال، فهل يجوز رميها مع القمامات أو وضع الطعام عليها؟

ج: المحتك لا يجوز.

س: ما هي علاقة أمينة النبي ﷺ بإعجاز القرآن؟

ج: إنه كيف أتى أمي بهذا الشيء المعجز؟

س: كيف يدل عدم الاختلاف في القرآن على أنه معجزة؟

ج: لأنه لو لم يكن إعجازاً كان مختلفاً فيه.

س: هل يجب الاعتقاد بأن القرآن الحكيم من الله تعالى؟

ج: نعم.

^(١٠٩٢) سورة الحجر: ٩.

س: هل يجب الاعتقاد بكون القرآن لم يزد فيه ولم ينقص منه شيئاً، ولم تنته يد التحريف إطلاقاً.

ج: نعم، فإن القرآن الذي بين أيدينا هو القرآن الذي أنزل على رسول الله ﷺ بلا زيادة حرف أو كلمة ولا نقيصة بل ولا زيادة فتحة أو كسرة أو نقطة أو غيرها.

س: كيف يلزم أن يتعامل الإنسان مع القرآن الكريم؟

ج: يجب أن يكون منهج التعامل مع القرآن الحكيم بحيث يعكس على جوانح الإنسان وحوارمه وخلافته لله تعالى في الأرض. وكما يجب تعظيم الله سبحانه وتعزه، كذلك يجب تعظيم خليفته وهو القرآن، وتقديره والالتزام بأوامره ومناهجه.

س: هل يجب الاعتقاد بصدق القرآن في قصصه وأحكامه وأخباره؟

ج: يجب الاعتقاد بأن القرآن صدق صدق مصدق، حدوثاً وبقاءً، فإن القرآن صادق في أحكامه وقصصه، وفي كل ما ذكره تفصيلاً وإجمالاً، وليس بالكذب ولا بالهزل، حتى في كلمة من كلماته.

الإمامية

س: هل الأنمة المعصومون ﷺ يعلمون الغيب؟ وكيف؟

ج: يعلمونه بتعليم الله ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدٌ﴾ ^(١٠٩٣) إلا من ارتضى، والحصول إما بإرسال الرسول أو الإلقاء في القلب أو نحو ذلك مما ذكر في كتب الأخبار.

س: وضع اليد على الرأس عند ذكر الحجة بن الحسن عليه السلام هل مروي برواية معترفة؟

ج: مروي عن الإمام الرضا عليه السلام.

س: هل للإمام المهدي عليه السلام نائب خاص في عصر الغيبة الكبرى؟

ج: في عصر الغيبة الكبرى لا توجد نيابة خاصة عن الإمام المنتظر عليه السلام.

س: ما هي الوظيفة في عصر الغيبة الكبرى بالنسبة لأخذ الأحكام الشرعية؟

ج: يجب الرجوع في عصر الغيبة الكبرى إلى مراجع التقليد الجامعين للشراطط حسب ما

^(١٠٩٣) سورة الجن: ٢٦ و ٢٧.

ورد في الحديث الشريف عن الإمام الحجة (أرواحنا فداه): (أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتكم وأنا حجة الله عليهم) ولا يجوز الرجوع إلى غيرهم في ذلك إطلاقاً.

س: ما هي وظيفة المرجعية الدينية في عصر الغيبة؟

ج: وظيفة المرجعية الدينية هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد وتوجيه الأمة وإدارة العباد والبلاد.

س: هل يجوز الإخبار عن النام الذي يُرى فيه الأئمة المعصومين عليهم السلام؟

ج: نعم.

س: هل عصمة الأئمة عليهم السلام مطلقة أم نسبية، ولماذا لم تتد في ذريتهم؟

ج: مطلقة، والذرية كسائر الناس.

س: هل كان الإمام علي عليه السلام موجود مع النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه عند نزول الوحي عليه أول مرة؟

ج: نعم.

س: كثيرون هم الذين يدعون ارتباطهم بالأئمة عليهم السلام لكنهم يختلفون في فهم معنى الارتباط، ما هو معنى الارتباط من وجهة نظركم؟

ج: بالاتصال روحأً بهم.

س: من هم الأئمة وما صفتهم؟

ج: اثني عشر المشهورون.

س: هل صحيح أن الشيعة تغلو في هؤلاء الأئمة؟

ج: كلا، وإنما تعتقد الشيعة أنهم عباد الله سبحانه وخلفاء لرسوله.

س: ما هي الآيات القرآنية الدالة على لزوم توفر شروط خاصة في الإمام؟

ج: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ذَرَيْتِي، قَالَ لَا يَنْالَ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١٠٩٤).

س: ما هي الأوصمة التي منحها الله تعالى للإمام علي عليه السلام على لسان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه؟

ج: كثيرة، منها ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أَنْزَلْتِ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

^(١٠٩٤) سورة البقرة: ١٢٤.

س: ما الطريق إلى معرفة الإمام المهدى ﷺ حين ظهوره؟

ج: معجزاته والله المستعان.

س: ما هو الفرق بين العصمة والعدالة؟ وكيف يتم تعين الإمام المعصوم؟

ج: العصمة فوق العدالة، ويتم التعيين من قبل الله بواسطة النبي ﷺ.

س: ما هو نظركم في الرجعة، أصلها، نسبتها، وإلى أي واحد من المعصومين ﷺ؟

ج: الرجعة ثابتة بالأدلة المعتبرة، أصلها من القرآن الكريم ونسبتها لجميع المعصومين

الأربعة عشر ﷺ وبدأ بعد ظهور الإمام الثاني عشر المهدى المنتظر ﷺ.

س: هل الدليل على إمامية المهدى ﷺ يختلف عن دليل إمامية الأئمة الآخرين ﷺ أم

لا؟

ج: كلا.. لا اختلاف، فإن هناك أدلة مشتركة على إمامية الأئمة الإثنى عشر ﷺ، وهي عشرات الآيات القرآنية المأولة . حسب الروايات المعتبرة والمتواترة . بالأئمة الإثنى عشر ﷺ ومتواتر الروايات و مختلف الأدلة العقلية القاطعة، كما أن هناك أدلة عقلية ونقلية خاصة على إمامية كل واحد من الأئمة الإثنى عشر ﷺ وكذلك الإمام المهدى ﷺ فقد ورد بشأنه آلاف الروايات في مئات الكتب، إضافة إلى الأدلة العقلية القائمة على إمامته صلوات الله عليه.

س: هل الحديث الشريف المروي عن رسول الله ﷺ: (الأئمة بعدي إثنا عشر) متواتر عندكم؟ وهل هناك شبهة في ولادة الثاني عشر منهم، وهو الإمام المهدى عليه الصلاة والسلام؟

ج: الحديث متواتر، ولا شبهة في ولادة الإمام الثاني عشر ﷺ والأدلة عليها كثيرة، فإنه لولا الحجة لساحت الأرض بأهلها، وإنه لو كان اثنان يعيشون على الأرض لكان أحدهما الحجة، كما ورد بذلك متواتر الروايات بالدلائل المتعددة.

س: هل يجب التمسك بمذهب آل البيت ﷺ، أم يكون الإنسان مخيراً بينه وبين سائر المذاهب؟

ج: يجب التمسك بمذهب آل بيته عليه السلام فإن شيعتهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، كما قاله رسول الله عليه السلام.

س: هل يجب الاعتقاد بإمامية أهل البيت عليه السلام وهل يلزم إرشاد الناس لذلك؟.

ج: نعم.

س: هل يلزم التعرف على حياة المعصومين عليهم السلام؟

ج: يستحب . وقد يجب . تتبع حالات المعصومين عليهم السلام وآثارهم وخصوصيات سيرتهم وحياتهم كما يدل على ذلك جملة من الأدلة.

س: هل تحب محاربة من حارب أهل البيت عليه السلام؟

ج: تحب محاربة من حارب أهل البيت عليه السلام، فمن حارب علياً أو فاطمة أو الحسن أو الحسين عليهم السلام فقد حارب رسول الله عليه السلام، ومن حارب رسول الله فقد حارب الله، كما في الحديث الشريف. وكما تحب محاربة من حارب أهل البيت عليه السلام بأحسادهم، تحب محاربة من حاربهم في أفكارهم ومناهجهم.

س: هل يجب الاعتقاد بأن أهل البيت عليه السلام متصفون بجميع الفضائل والكمالات وأعلى مراتب الطهارة.

ج: نعم.

س: هل يحرم نصب العداوة لآل محمد عليهم السلام؟

ج: لا إشكال في حرمة ذلك، وكذا الانبياء عليهم السلام وكذلك بالنسبة إلى البتول أم عيسى والصديقة الطاهرة (عليهما الصلاة والسلام) بل وكذلك بالنسبة إلى المحترمين من أهل البيت كرينب وعلى الأكبر والعباس والسيدة معصومة ومن أشباههم عليهم السلام وهو بالنسبة إلى الانبياء والزهراء والأئمة عليهم السلام يوجب الخروج عن الدين. أما بالنسبة إلى الأطهار من آلهم فذلك محرم قطعي وقد وردت روايات متواترة من الطريقين على حرمة النصب فهو من شؤون أصول الدين.

س: ما هو حكم المنكر لأحد الأئمة عليهم السلام؟

ج: إن منكر أحد الأئمة عليهم السلام كان كمنكرهم جميعاً.

س: ما هو حكم الدفاع عن ولاية أمير المؤمنين؟

ج: يستحب بل يجب . حسب اختلاف الموارد . الاهتمام بما يرتبط بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام والذب عن حرّيّهم .

س: هل يحرم إيداء أهل البيت عليهم السلام؟

ج: انه من أشد المحرمات وكذا منعهم عن حقوقهم، كما يحرم التمهيد لذلك.

س: ما هو حكم البكاء لفقد المعصومين ومصابيهم؟

ج: يستحب البكاء لفقد المعصوم عليه السلام ومصابيّه، كما بكت الزهراء عليها السلام على رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بل يستحب البكاء عالياً في مصيّبتهم. كما يستحب تشكيل مجالس للبكاء عليهم عليهم السلام فهو نوع من المواساة ومن الانتصار للمظلوم، ومن سبل تثبيت محبة آل البيت عليهم السلام في قلوب الناس .

فاطمة الزهراء عليها السلام

س: ما معنى العبارة الواردة في الزهراء عليها السلام: (امتحنك الله قبل أن يخلقك)؟

ج: أي قبل خلقها في هذه الدنيا كانت متحنة في عالم الأرواح .

س: ما هو اعتقاد الشيعة حول فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه؟

ج: اعتقادهم أنها صديقة طاهرة نزلت في شأنها و شأن أبيها وبعلها وبنيها (آية التطهير) .

س: هل ان فاطمة الزهراء عليها السلام حجة الله على الخلق؟

ج: نعم، وان لم تكن اماما بالمعنى المصطلح، لكنه يستفاد من الأدلة أن فاطمة الزهراء عليها السلام حجة الله، فيكون قولها و فعلها و تقريرها حجة .

س: لماذا جعل الله عزوجل فاطمة الزهراء عليها السلام محورا في حديث الكسأء؟

ج: لعل السر في ذلك أن الملائكة كانوا قد عرفوا فاطمة عليها السلام حين كانوا في الظلمة ثم برّكة نور فاطمة عليها السلام خرجوا إلى النور .

س: هل النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام والأئمة الإثنان عشر عليهم السلام معصومون؟ وما هي عصمتهم؟ هل هي عن المعصية فقط، أم عنها وعن الخطأ والنسيان، أم عنها وعن النوم الغالب حتى يمضي وقت الصلاة؟

ج: النبي الأعظم وابنته فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين والأئمة الأحد عشر من ذريتهم عليهم السلام كلهم معصومون عن كل معصية وكل خطأ ونسيان وعن النوم الغالب حتى يضي وقت الصلاة بل إنهم معصومون حتى من ترك الأولى، وقد تحدثنا عن الأدلة العقلية والنقلية على هذه العصمة في العديد من كتبنا في أصول الاعتقاد والفقه.

س: هل نسبة العصمة عند المعصومين الأربع عشر عليهم السلام واحدة أم مختلفة؟

ج: درجات عصمتهم عليهم السلام بنسبة واحدة ومتساوية.

س: ذكرتم في كتابكم القيم (من فقه الزهراء عليها السلام) . أكثر من مرة . أن للزهراء عليها السلام مرتبة عالية، فما هي حدود هذه المرتبة؟ هل تفوق الأئمة عليهم السلام جميعاً، أم بعضهم، أم أن الأئمة عليهم السلام يفوقونها في المرتبة؟

ج: نعم إن لفاطمة الزهراء عليها السلام مرتبة عالية لكن دون مرتبة أبيها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وهي كفؤ لبعلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفوق مرتبة بناتها الأئمة الأحد عشر (عليهم الصلاة والسلام).

س: هل تعتقدون بالولاية التكوبينية والتشريعية لفاطمة الزهراء عليها السلام؟

ج: نعم ثبت ذلك بالادلة، كما ذكرناه في (فقه الزهراء عليها السلام).

س: ذكرتم أيضاً في نفس المصدر بعض الحوادث التي حصلت بعد ارتحال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، فما هو نظركم فيها؟

ج: قد أخبر القرآن الكريم عن ذلك، حيث قال: ﴿أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (١٠٩٦).

س: هل أن فاطمة الزهراء عليها السلام شهيدة؟ وقد ذكرتم في كتابكم القيم (من فقه الزهراء عليها السلام) أنها استشهدت؟

ج: نعم ورد ذلك في روايات صحيحة وقد ذكر في كتب التاريخ أيضاً.

س: هل أنها عليها السلام كانت صديقة، كما قال القرآن الكريم عن مريم بنت عمران بأنها كانت صديقة؟

ج: نعم ورد في الأثر المعتبر بأنها عليها السلام كانت صديقة، ولذا غسلها كفؤها الإمام أمير

(١٠٩٦) سورة آل عمران: ١٤٤ .

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع وجود امرأة كان يمكنها أن تقوم بذلك، حيث أن الصديق لا يتولى غسله إلا صديق، وهي عليها السلام أفضل من مريم الصديقة عليها السلام كما صرخ بذلك المتواتر من الروايات الشريفة.

س: ما هو تقييمكم للتاريخ التي ذكرت ضرب الزهراء عليها السلام، وغضب فدكها، وعصرها بين الحائط والباب، واسقطها محسنة عليها السلام، وأمثال ذلك؟

ج: كل ذلك ثابت وصحيح.

س: ما هو نظركم بالنسبة إلى الولاية التكوينية والتشريعية للمعصومين الأربع عشر عليهم السلام بصورة عامة، ولفاطمة الزهراء عليها السلام بصورة خاصة، وقد نوهتم عنهم في كتابكم القيم (من فقه الزهراء عليها السلام)؟

ج: دلت الأدلة المعتبرة المؤيدة بالموارد الكثيرة: أن فاطمة الزهراء وسائر المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) لهم جميعاً الولاية التكوينية والتشريعية معاً، وقد جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام التي قال عنها الشيخ الصدوق عليه الرحمة: (إنما اصح زياراته عليه السلام رواية) ما يلي: (إرادة الرب في مقدار أمره تحيط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عما فصل من أحكام العباد).

س: ذكرتم في كتابكم القيم (من فقه الزهراء عليها السلام) اهتمامها صلوات الله عليها بالدفاع عن ولاية بعلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبنيها الأئمة الأحد عشر عليهم السلام، فما هو حدود ذلك؟ وهل يجب علينا أيضاً ذلك في هذا الزمان؟

ج: لقد كانت فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) المدافعة الأولى بعد أبيها النبي الأعظم عليه السلام عن ولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفي هذا السبيل ضحت بنفسها وابنها المحسن عليه السلام وما تركت مجالاً يمكن الانتصار من خلاله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وإنبات حقه إلا استفادت منه، والواجب على المؤمنين الاقتداء بها (صلوات الله وسلامه عليها)، وذلك بما يناسب كل زمان ومكان وحسب الشروط الشرعية المذكورة في كتب الفقه، فإن كل قول وعمل وتقرير منها حجة شرعية.

س: ذكرتم في المصدر نفسه أيضاً: استحباب رواية خطبة فدك، لرواية عدد من المعصومين عليهم السلام لها، فهل ترون أيضاً استحباب ذكر كل ما يتعلق بفاطمة الزهراء عليها السلام مما جرى

عليها بعد أبيها رسول الله ﷺ؟

ج: نعم يستحب ذلك جيئاً، وكله لا يخلو من كونه من قوله ﷺ أو فعلها أو تقريرها، وكلها حجة كما ذكرنا، وما خرج عن ذلك مما يتعلق بفضائلها ومناقبها (صلوات الله وسلامه عليها)، فلا إشكال في استحباب ذكره ونقله ونشره، بل قد يجب ذلك إذا كان مصداقاً للواجب من الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير وترويج الدين الحنيف.

س: ذكرتم في الجزء الأول من كتابكم القيم (من فقه الزهراء) أنها صلوات الله عليها كانت من فرض الله طاعتهم على جميع الخلائق، واستندتم في ذلك إلى بعض الروايات، فهل هذه الروايات بنظركم الكريم معتبرة؟

يرجى من سماحتكم الجواب ولكم من الله حزيل الأجر والثواب.

ج: نعم إن هذه الروايات معتبرة وقد أكدنا اعتبارها في الكتاب المذكور وذكرنا غيرها من الأدلة الأخرى هناك أيضاً، كما وقد ذكرنا تفصيلاً لبعض المذكورات في كتابنا (الفقه: البيع) وفي العديد من كتبنا الأخرى.

ولاية الفقيه

س: هل للفقيه ولاية على فقيه آخر أو على غير مقلديه في الفتوى والحكم؟

ج: الفقيه حجة على مقلديه لا على فقيه آخر ومقلديه ولا فرق بين الفتوى والحكم.

س: إذا كان الفقيه حاكماً على بلاد المسلمين وبيده زمام السلطة هل يجب على غيره من الفقهاء أن يطيعوا حكمه؟

ج: لا وإنما اللازم شورى الفقهاء المراجع.

س: هل ترون الولاية للفقيه أم للفقهاء؟

ج: للفقهاء.

س: هل ولاية الفقيه مطلقة أو مقيدة؟

ج: مقيدة بالإطار الإسلامي.

س: هل ولاية الفقيه ثابتة في إطار الشريعة، أم تثبت حتى خارج هذا الإطار؟

ج: بل في إطار الشريعة فقط.

س: هل يحق لفقيه منع فقيه آخر من إبداء وجهة نظره في المسائل الفقهية والاجتماعية

والسياسية؟

ج: لا يجوز إطلاقاً.

س: هل للمرجعية الدينية أن تفرض على الشيعة نظاماً سياسياً معيناً؟

ج: لشورى الفقهاء المراجع المقلدين من قبل الأمة مع استشارة أهل الخبرة ملاحظة وتشخيص الأصلح بحال المسلمين من الأنظمة السياسية وغيرها، وقد فصلنا الحديث عن ذلك في كتاب (الفقه السياسية).

س: هل يجوز الرد على مراجع التقليد؟

ج: لا يجوز الرد على المراجع الذين هم نواب الأئمة (عليهم السلام) فالراد عليهم كالراد على الأئمة وهو على حد الكفر بالله سبحانه وتعالى.

المعاد وعالمن الموت

س: ما هي العوالم التي ينتقل فيها الإنسان بعد الموت؟

ج: عالم البرزخ (القبر)، وعالم المحشر (القيامة)، وعالم الآخرة (الجنة والنار).

س: ما هي أهم آثار الاعتقاد بالمعاد؟

ج: حفظ الإنسان عن الانزلاق.

س: ما فائدة زيارة القبور وهل تبقى الروح في القبر إلى يوم القيمة؟

ج: الثواب للزائر والأنس للميت.

س: يوجد في بعض الأماكن المقدسة من يمنعنا أن نمسح أو نقبل ضريح الرسول ﷺ ما رأيكم الشريفي؟

ج: المنع غير صحيح، للأدلة على ذلك.

س: لماذا يصر فريق من المسلمين على اعتبار زيارة القبور وتقبيل الأضرحة شرك؟

ج: لا دليل لهم.

س: ما رأيكم بالمعاد الجسماني؟

ج: صحيح وقد دلت عليه الأدلة الأربع.

س: ما رأيكم بشبهة الآكل والماكول؟

ج: الشبهة غير واردة، وذكرنا تفصيل الكلام في كتابنا الكلامية.

س: كيف يجوز الخلود في النار، أليس ذلك منافياً لعدالة الله؟

ج: الخلود بالنسبة إلى من يستحقه لا غير.

س: ما هو أجل الحياة وما أجل الموت والقتل؟

ج: مدهما.

س: ما هو الصراط؟

ج: بين المحسن والجنة.

س: ما هو الميزان؟

ج: يوزن فيه الأعمال.

س: ما معنى تكلم الجوارح؟

ج: كما يتكلم اللسان.

س: ما معنى تطوير الكتب؟

ج: يلقى من فوق الإنسان.

س: ما معنى حساب القبر؟

ج: روح الميت يحاسب في القبر.

س: ما معنى حساب البعث؟

ج: يوم القيمة يحاسب الإنسان.

س: ما هي الجنة؟

ج: قصور وبساتين وحور وولدان وسائر الخيرات.

س: ما هي النار؟

ج: جهنم وفيها النيران والعذاب.

س: ما هي الشفاعة ولمن تكون؟

ج: يشفع النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام ومن إليهم، للعصاة.

س: ما هو الحوض؟

ج: يشرب منه الناس يوم الحشر.

س: ما هي كتابة الأعمال؟

ج: كل عمل عمله الإنسان تكتبه الملائكة فيعطي كتابه في الحشر.

س: هل يمكن رؤية الله في الآخرة؟

ج: كلا، فإنه تعالى ليس بجسم.

س: هل حوض الكوثر في يوم القيمة لرسول الله ﷺ ام لأمير المؤمنين(ع).

ج: لا منافاة بين أن يكون الحوض للرسول ﷺ في الحشر وبين أن يكون علي عليه السلام هو الساقي وبين أن يكون الحسن عليه السلام صاحبه، إذ قد تكون للشيء الواحد إضافات ونسب متعددة، و الظاهر إنهم جميعاً عليه السلام يسوقون الناس من ذلك الحوض.

س: ماذا يعمل الإنسان في يوم الحشر قبل أن يذهب إلى الجنة أو النار، علماً بأن ذلك اليوم مقداره خمسون الف سنة؟

ج: ورد في بعض الأحاديث: أن أرض الحشر يتحول . بإذن الله . إلى شيء من المأكول فيما كل منه الناس، كما أنه لا يستبعد أن يكون هناك مختلف أنواع الفواكه والمأكولات والمشارب تحت ظل العرش للمؤمنين، وكذلك من المحتمل أن يكون هناك الزواج أيضاً لوضوح أن الإنسان يحتاج حسب طبيعته إلى الزوج والزوجة طيلة خمسين ألف سنة، ويفيد ما ورد من وجود الحور العين في القبر وفي الجنة.

الشيعة ومعتقداتهم

س: ما هو اعتقاد الشيعة حول القرآن؟

ج: اعتقاد الشيعة أن القرآن كلام الله المنزل على نبيه بقصد الإعجاز والتحدي، وأنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتعتقد أنه مصدر الأحكام، وأنه لم يزد فيه ولم ينقص.

س: ما هو اعتقاد الشيعة حول الإسلام؟

ج: اعتقاد الشيعة أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، وإنما أكمل الرسالة نبي الإسلام

محمد ﷺ، وأنه باق إلى يوم القيمة ﴿وَمَن يَتَّبِعُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١٠٩٧).

س: ما هو اعتقاد الشيعة حول الجبر والتفسير؟

ج: اعتقاد الشيعة أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركب فيه القوى، وأرشده إلى الخير وبين له السبل، فمن عصى أو كفر كان من نفسه، ومن آمن واهتدى وأطاع كان بفضل الله وحسن اختياره، كما ورد في الحديث: (لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين).

س: ما هو اعتقاد الشيعة حول التفقيه؟

ج: اعتقاد الشيعة هو ما بيّنه القرآن الحكيم بقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَقَوَّمُهُمْ تَقَوَّةً﴾^(١٠٩٨)، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقْلَبَهُ مَطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ﴾^(١٠٩٩)، فعلى الإنسان أن يعمل حسب قوانين الإسلام إلا إذا كان هناك ضرر أو حرج، مما أباح الشارع خلاف ذلك، كما قال سبحانه: ﴿يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١١٠٠)، وقال الرسول ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام).

س: ما هو اعتقاد الشيعة حول الكفر والإسلام؟

ج: اعتقاد الشيعة أن (المسلم) هو من شهد الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله) و(أشهد أن محمداً رسول الله) والتزم بأحكام الإسلام التي جاء بها النبي ﷺ من عند ربه، وأن هذا الشخص محقون دمه محفوظ ماله وعرضه، ظاهر، له ما لل المسلمين وعليه ما عليهم، وأن (الكافر) هو من أنكر إحدى الشهادتين، أو ضرورياً من ضروريات الإسلام مما علم من دين النبي ﷺ.

س: من هم المعصومون عند الشيعة؟

ج: هم الأنبياء، والأئمة الاثنا عشر، والصادقة الطاهرة، والملائكة كما قال سبحانه

^(١٠٩٧) سورة آل عمران: ٨٥.

^(١٠٩٨) سورة آل عمران: ٢٨.

^(١٠٩٩) سورة التحليل: ١٠٦.

^(١١٠٠) سورة البقرة: ١٨٥.

بالنسبة إلى الملائكة ﴿لَا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾^(١١٠١).

س: ما هي الأصول والفروع عند الشيعة؟

ج: تعتقد الشيعة بالله ربّاً عادلاً لا شريك له، وبمحمدٍ نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلةً، وبأنّ ما جاء به محمد من عند ربّه حقّ، وبأنّ الله يبعث من في القبور، وأنّ الجنة والنار حقّ، وأنّ الإنسان مخير في الحياة (بدون جبر ولا تفويض) فإنّ أحسن فله الثواب وإنّ أساء فعليه العقاب.

س: ما هي الإمامة عند الشيعة؟

ج: تعتقد الشيعة بأنّ رسول الإسلام محمدًّا (ص) عيّن من بعده اثني عشر إماماً، وقال: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)^(١١٠٢)، وقد سمي الرسول (ص) الأئمة بِسْمِ اللَّهِ بأسمائهم^(١١٠٣)، وهم: (عليٌّ أمير المؤمنين، الحسن، الحسين، عليٌّ، محمد، جعفر، موسى، عليٌّ، محمد، عليٌّ، الحسن، المهدى) عليهم الصلاة والسلام.

س: ما هو رأي الشيعة بالنسبة إلى القرآن الحكيم؟

ج: تعتقد الشيعة أنّ القرآن الحكيم، هو الكتاب المنزّل على رسول الإسلام (ص)، هداية البشر من الظلمات إلى النور، لم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأنّ جمعه بهذا الأسلوب (أوله الفاتحة وآخره الناس) هو جمع الرسول (ص) بأمر الله تعالى فلا تحرير ولا تبديل ولا تقدّس ولا تأخير فيه.

س: ما هي مصادر التشريع عند الشيعة؟

(١١٠١) سورة التحريم: ٦.

(١١٠٢) المناقب: ج ٣ ص ٢١٧ . وفي مسنّد أحمد، مسنّد الشاميين الحديث ١٦٢٧١ قال رسول الله (ص): (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية). وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: (من مات بغير إمام فقد مات ميتة جاهلية) حلية الأولياء: ج ٣ ص ٢٢٤ .

(١١٠٣) راجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ص ٥٢٩ الباب السادس والسبعين في بيان الأئمة الاثني عشر بأسمائهم. وأيضاً فرائد السبطين: ج ٢ ص ١٣٢ الحديث ٤٣١ . وغاية المرام : ص ٧٤٣ الحديث ٥٧ . وانظر أيضاً بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٧٩ ب ٤١ ح ١١١ .

ج: تعتقد الشيعة أن (القرآن الحكيم) و(السنة المطهرة) و(الإجماع) و(العقل) هو مصدر التشريع الإسلامي، وأن أي تشريع آخر باطل، لقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١١٠٤).

فلا يحق لفرد أو جماعة أن يشرع قانوناً يخالف هذه الأدلة الأربعة.

س: ما هي فروع الدين عند الشيعة؟

ج: تعتقد الشيعة بوجوب الصلاة، والصيام، والخمس، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتولى لله وأوليائه، والتبري من أعداء الله وأعداء أوليائه. كما تعتقد بلزوم تطبيق كافة الأمور الفردية والاجتماعية على قوانين الإسلام، في السياسة، والاقتصاد، والدولة، والأمة، والأخلاق، والآداب، والمعاملة، والمعاشة، والقضاء، والشهادة، والنكاح، والطلاق، والجرائم، والعقوبات، وغيرها.

س: ما هو رأي الشيعة في الشفاعة؟

ج: الشيعة تعتقد بصحة الشفاعة التي قال الله عنها: ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى﴾^(١١٠٥).

س: ما هو رأي الشيعة في التوسل؟

ج: الشيعة تعتقد بصحة التوسل الذي قال الله عنه: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(١١٠٦).

س: ما هو رأي الشيعة في السجود على الأرض؟

ج: الشيعة تعتقد بصحة السجود على الأرض وما أنبت، حيث قال النبي(ص): (جعلت لي الأرض مسجداً)^(١١٠٧)، ومن هنا يحتفظون بقطعة من تراب طاهر ليسجدوا

(١١٠٤) سورة المائدة: ٤٤ .

(١١٠٥) سورة الأنبياء: ٢٨ .

(١١٠٦) سورة المائدة: ٣٥ .

(١١٠٧) أمالى الصدوق: ص ٢١٦ ح ٦ .

صحيح النسائي: ح ٣٢٣، ٤١٩، ٤١٠، ٨١٢، وصحيف مسلم: ح ٨١٢، وسنن الترمذى: ح ١٤٧٤، وسنن النسائي: ح ٤٢٩، ٧٢٨، وسنن ابن ماجة: ح ٥٦٠، ومسند أحمد: ح ٢١٤٤، ٢٦٠٦، وسنن النسائي: ح ١٣٧٤٥، ٩٣٢٨، ٧٠٩٦، و١٨٩٠٢، و٢٠٣٣٧، و٢٠٣٥٢، و٢٠٤٦٣، و٦٧٧١.

عليها.

س: ما هو رأي الشيعة في المتعة؟

ج: الشيعة تعتقد بصحة نكاح المتعة الذي قال الله تعالى عنه: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجْوَرَهُنَّ﴾^(١١٠٨).

س: ما هو رأي الشيعة في زيارة قبر الرسول والائمة؟

ج: الشيعة تعتقد بصحة زيارة قبر الرسول (ص) وآلـهـ الطـيـبـين ﷺ وأصحابـهـ الـخـيـرـينـ والـشـهـداءـ،ـ لأنـهـمـ أـحـيـاءـ عـنـدـ رـبـهـمـ يـرـزـقـونـ.ـ كـمـاـ وـرـدـ^(١١٠٩)ـ فـيـ الـقـرـآنـ الـحـكـيمـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ الشـهـداءـ وـمـنـ الـمـعـلـومـ أـنـ الرـسـوـلـ وـذـوـيـهـ أـفـضـلـ مـنـ الشـهـداءـ.

س: ما هو رأي الشيعة في بناء الأضرحة؟

ج: الشيعة تعتقد بأن بناء الأضرحة والقباب على مراقد الأنبياء والأئمة عليهم السلام والشخصيات الإسلامية من أفضل المقربات إلى الله سبحانه. فإنها داخلة في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَىِ الْقُلُوبِ﴾^(١١١٠).

س: ما هو رأي الشيعة في تقبيل الأضرحة؟

ج: الشيعة تعتقد بأن تقبيل الأضرحة المطهرة مثله مثل تقبيل الحجر الأسود الذي قبله رسول الله (ص) وفيه ثواب وقربة.

س: ما هو رأي الشيعة في الصلاة في البقع؟

ج: الشيعة تعتقد بأن الصلاة في البقع أو في مراقد الأنبياء والأئمة والصالحين عليهم السلام مستحبة شرعاً فقد قال سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَخَذُنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾^(١١١١).

وسنن الدرامي: ح ١٣٥٣. حسب ترقيم العالمية.

^(١١٠٨) سورة النساء: ٢٤.

^(١١٠٩) قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾ سورة آل عمران: ١٦٩.

^(١١١٠) سورة الحج: ٣٢.

^(١١١١) سورة الكهف: ٢١.

س: ما هو رأي الشيعة في دخول النساء إلى البقيع وسائر المقامات والمقابر؟

ج: الشيعة تعتقد بأن دخول النساء في البقيع أو في سائر مراقد الأنبياء والأئمة والصالحين عليهم السلام مستحب شرعاً لاستواء الرجال والنساء في الأحكام الشرعية إلا ما خرج بالدليل القطعي ولا دليل في المقام على عدم الجواز.

س: هل يجوز السلام على الأموات؟

ج: نعم.

ما هو معنى السلام على الأموات؟

ج: السلام بالنسبة إلى الأموات فالظاهر أنه إما تحيه محضة منسلحة عن معناها اللغوي، وإما بمعنى: السلامة في الآخرة، لأن السلامة في الآخرة أيضاً مطلوبة للإنسان بل المطلوب الواقعي له ذلك، إذا قيس إلى الدنيا، إذ الدنيا مؤقتة وزائلة بينما الآخرة باقية ودائمة، وفي القرآن: ﴿والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ ^(١١١٢).

^(١١١٢) سورة مريم: ٣٣.

متفرقات

بين الأصولي والأخباري

س: هل يجوز للأصولي أن يقلّد الفقيه الأخباري؟ أو أن يعدل من الفقيه الأصولي إلى تقليد الفقيه الأخباري إن تبين له أن الأخير أعلم.

ج: لا فرق بين المحتهد بين أن يكون أصولياً أو أخبارياً فما نقوله في الأصولي نقوله في الأخباري المحتهد والله العالم.

الغاية لا تبرر الوسيلة

س: (الغاية تبرر الوسيلة) هل هذه المقوله صحيحة أم لا؟

ج: هذه المقوله غير صحيحة، نعم قاعدة الأهم والمهم صحيحة شرعاً وعقلاً.

المخلوقات الأخرى

س: هل يوجد في الأجرام السماوية أناسٌ أو مخلوقات أخرى؟

ج: يظهر من بعض الروايات ذلك.

عالم الذر

س: هل عالم الذر ثابت عندكم وصحيح؟

ج: عالم الذر ممكن (ذاتاً) و(وقوعاً)، ودلل القرآن الكريم وجملة من الروايات المأثورة الصالحة على وقوعه.

التوبة

س: ارتكاب المعصية، ثم الاستغفار، ثم العودة، ثم التوبة منها بندم، هكذا لعدة مرات..

فيرتكب المعصية لا حباً وقادياً في العصيان بل لضعف النفس للسيطرة على بعض الشهوات.. وقد يعتريه اليأس و يؤذيه ويُقلل من عباداته التطوعية، هل يعتبر هذا استهانه منه لله تعالى؟

ج: لا ييأس من روح الله، ولا يعده ما ذكرتم استهانه.

أسس التربية الروحية

س: ما هي أساس التربية الروحية؟

ج: أن يربى الروح على الفضائل.

ما يؤدي إلى الكمالات الروحية

س: ما هي الأفعال التي تؤدي إلى الكمالات الروحية؟

ج: الإتيان بالمستحبات والنوافل.

الصلوة من دون خشوع

س: ما حكم الصلاة والقرآن والأدعية بدون خشوع وكيف يأتي الخشوع حينئذ؟

ج: الخشوع يكون بالتمرين.

احترام السادة

س: هل من المفروض احترام الشخص الذي ينتمي إلى آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى لو كان منحرفاً؟
ج: كلا، بل إذا لم يكن منحرفاً.

حديث الكسائ

س: ما مدى صحة رواية أهل الكسائ؟

ج: صحيح.

الأحاديث القدسية

س: ما هي الأحاديث القدسية؟

ج: مذكورة في البحار^(١١١).

الجفر

س: ما هو الجفر المنسوب إلى أهل البيت عليهم السلام؟

ج: جلد فيه وداع وكتابات.

ارض كربلاء

س: يقال إن أرض كربلاء أفضل من أرض مكة.. والسجدة على التربة الحسينية أفضل من السجدة على أرض الحرم.. هل هذا صحيح؟

ج: نعم.

من لم يوال أهل البيت عليهم السلام

س: في قول الإمام علي عليه السلام: (شييعتنا من أطاع الله)، هناك رجل مؤمن يطيع الله ورسوله ولكنه لا يوالى آل الرسول عليهم السلام هل يعتبر أنه قد أطاع الله ورسوله؟

ج: لا.

كتاب مصباح الشريعة

س: ما مدى صحة كتاب (مصباح الشريعة) في نسبته إلى الإمام الصادق عليه السلام؟

ج: يحتاج إلى دليل.

زيد بن علي (ع)

س: كيف يكون الإمام زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام من أهل السنة والجماعة؟

^(١١١) راجع أيضاً (فاطمة الزهراء (عليها السلام) من محاضرات الإمام المؤلف.

ج: ليس من أهل السنة.

س: من منطلق المصطلحات المتعارف عليها اليوم.. هل كان الإمام زيد سنّياً أم شيعياً؟

ج: شيعي.

الزيدية

س: ما نظرية الزيدية إلى الإمامة؟

ج: لا يعتقدون ببعض الأئمة.

العلويون

س: هل العلويون يعتقدون بأصول الدين؟

ج: نعم إنهم شيعة أهل البيت (عليهم السلام).

بناء قبور الأولياء

س: هل البناء على قبور الأولياء تعظيم للشاعرية الإلهية؟

ج: نعم.

زيارة النساء للقبور

س: هل يجوز للنساء زيارة القبور؟

ج: نعم.

الرجعة والبداء

س: هل تعد الرجعة أو البداء من ضروريات الدين، وإنكارهما يعد كفراً؟

ج: ضروريان.

ما هو الإيمان

س: هل الإيمان قناعة أم شعور، وهل له صلة بالقلب أو العقل، وهل العقل هو القلب؟

ج: قناعة، بكليهما، كلا.

الشهادة الثالثة

س: ما هو رأيكم في الشهادة الثالثة في الأذان؟

ج: أنها من أجزاء الأذان والإقامة.

الشعائر الحسينية

س: ما هو رأيكم في الشعائر الحسينية؟

ج: جميع أنواع الشعائر المتعارفة عند الشيعة جائزة بل مستحبة.

التوراة والإنجيل

س: بالنسبة للكتب المقدسة عند اليهود والنصارى: التوراة والإنجيل، قيل إن فيها شيئاً بسيطاً من الصحة من قول الله تعالى، فعلى هذا القول هل لها شيء من الاحترام في عقيدتنا . نحن المسلمين . أو لا احترام لها ولا قدسيّة؟

ج: نعم، لهما بعض الاحترام.

لا اصل لهذا الكلام

س: ما هو تعليقكم على مقوله (خذ الإسلام كله أو دعه كله)؟

ج: لا أصل لهذا الكلام.

ابن الزنا

س: المعروف هو أن ابن الزنا يمنع من التصدّي لبعض الأعمال رغم التزامه بالإسلام، فلماذا ذلك، ألا يشمله قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءِكُم﴾^(١١٤)، إذ ما ذنبه إذا كان أبوه المذنبين، فلماذا لا يكون المقياس هو تقوى الله تعالى؟

^(١١٤) سورة الحجرات: ١٣.

ج: ذلك للاحتياط في عدم شيوع الزنا فهل أنت تختبأ الأبرص لذنبه أو لئلا يسري هذا المرض.

بين العقل والدين

س: قرأنا في كتاب العالمة الشيخ محمد جواد معنية (الشيعة في الميزان): إن الدين في دائرة والعقل في دائرة أخرى، وهذا يعني أن بعض التشريعات الدينية لا تخضع للعقل، فلماذا لا تخضع له؟

ج: لأن العقل لا يصل إلى حكمة بعض التشريعات، وإنما فليس في الشرع ما يخالفه العقل.

اسم الجلالة

س: هل يلزم أن يرادف اسم الجلالة بما يدل على التحليل والتعظيم مثل الكلمة (عز وجل) أو (سبحانه وتعالى)؟

ج: يستحب ذلك.

الإيمان بالله فطري

س: هل وجوب الإيمان بالله فطري أم عقلي أم شرعي؟

ج: إن وجوب الإيمان بالله تعالى فطري وعقلي وشرعي. وما ورد من إيجاب ذلك . في الكتاب والسنة . إرشاد أو إلفاف.

المنكر لوجود الله

س: ما هو حكم المنكر لوجود الله عزوجل؟

ج: المنكر لوجود الله تعالى كافر، فإن كان معتقداً به سبحانه فيما سبق ثم أنكر كان مرتدًا والمرتد فطري و ملي.

الإيمان

س: هل يجب الإيمان بأصول الدين؟

ج: يجب الإيمان بالأصول وقد دل على ذلك العقل والنقل.

مركز الإيمان

س: هل يكفي الإيمان في القلب؟

ج: للإيمان مركزان: القلب واللسان، فإذا كان الإيمان لساناً بلا قلب فهو نفاق وإذا كان قليلاً بلا لسان فهو كفر، أما العمل فهو من توابع الإيمان.

الفرق بين الإيمان والإسلام

س: ما هو الفرق بين الإيمان والإسلام؟

ج: إن الإيمان قد يكون بمعنى الإسلام وقد يكون أخص منه.

الإسلام من دون إيمان

س: هل هناك فائدة للإسلام بلا إيمان؟

ج: لا فائدة في إسلام بدون إيمان في الآخرة إذا كان عن عمد وربما نفع إذا لم يكن عن عمد لأن كان جاهلاً بالإيمان، فالمسلم غير المؤمن القاصر يمتحن في الآخرة.

حب الله ورسوله وأوليائه

س: هل يجب حب الله ورسوله وأوليائه وبغض أعدائهم؟

ج: يجب ذلك، وفي حسنة الفضل عن الرضا عليه السلام في كتابه إلى المؤمن؛ قال: (وحب أولياء الله واجب وكذلك بغض أعداء الله والبراءة منهم ومن أئمته). لكن بالنسبة للعوام الذين لا يعرفون الأئمة بالتفصيل يكفي الحب الإجمالي وكذلك بالنسبة إلى بغض أعداء الله سبحانه.

التسليم لله ولرسوله وخلفائه

س: هل يجب التسليم إلى الله ورسوله وخلفائه؟

ج: لا إشكال في وجوب التسليم لله عزوجل ورسوله ﷺ والأئمة المعصومين وفاطمة الزهراء ؓ في أوامرهم ونواهيهم.

إطاعة أولي الأمر

س: هل يجب طاعة أولي الأمر؟

ج: يجب على الإنسان أن يطيع أوامر الله الواجبة وكذلك أوامر الرسول ﷺ والأئمة الطاهرين ؓ والعلماء الراشدين الذين هم نوابهم.

حسن الظن بالله

س: هل يجب حسن الظن بالله وبالأنبياء والأئمة؟

ج: يجب الظن الحسن بالله، وكذلك الظن الحسن بالأنبياء والأئمة ؓ فانها من أصول الدين.

المشرك عن قصور

س: ما هو حكم المشرك عن قصور؟

ج: المشرك عن قصور يمتحن في الآخرة فإذا نجح كان من أهل الجنة، وإن عاند كان من أهل النار لعناده، وهكذا من عاند في الدنيا بعد العلم.

الرغبة عن الدين

س: هل يجوز الرغبة عن الدين؟

ج: لا تجوز الرغبة عن الدين الصحيح أما الرغبة عن الأديان الباطلة أو الأديان المنسوبة فلا إشكال في وجوبها.

عداوة الرسل والملائكة

س: هل يجوز أن يعادي أحد الانبياء أو الملائكة كعزرايل مثلاً؟

ج: تحريم عداوة الله والرسل والملائكة فانها توجب الكفر وكذلك عداوة الأئمة الطاهرين

لأنهم امتداد للرسول.

الإخلاص

س: هل يجب الأخلاص في الاعتقادات؟

ج: يجب الإخلاص في الاعتقادات، فإن الإنسان يجب أن يعقد قلبه على الإيمان بأصول الدين مخلصاً غير مشوب بذلك بشيء.

مجرد العلم لا يكفي

س: هل يكفي في الاعتقاد مجرد العلم؟

ج: الاعتقاد من عقد القلب فلا يكفي مجرد العلم بذلك بل ينبغي عقد القلب عليه.

بيان الفضائل

س: هل من المستحب بيان فضائل رسول الله وأهل بيته الطاهرين؟

ج: يستحب أو يجب . كل في مورده . بيان فضائل الرسول ﷺ والأنبياء والأئمة عليهم السلام وحتى بالنسبة إلى العلماء والصالحين أيضاً.

التلبيغ وإرشاد الناس

س: هل يجب تبليغ رسالات الله إلى الناس على رجال الدين فقط؟

ج: هو واجب كفاية على كل مكلف قادر على إرشاد الجاهم وتنبيه الغافل وبيان مسؤوليات الناس لهم في الجملة.

هداية المشركين

هل تجب هداية المشركين؟

ج: نعم، فإن من الواجب السعي لهداية المشركين كلاً أو بعضاً، هداية كاملة كماً وكيفاً، حسب المقدور والميسور. والمراد بالمشركين: الأعم من الكافر الذي لا يعتقد بالله إطلاقاً ومن المشرك الذي يجعل له سبحانه شريكاً.

هل المادة أزلية

س: هل المادة أزلية؟

ج: لا يعقل أن تكون المادة أزلية، لأن كل متغير حادث، فإن المتغير لا يكون قدِّيماً، كما إن القديم لا يكون متغيراً.

العلة المادية والصورية

س: هل العلة المادية في خلوقات الله عزوجل مخلوقة أم العلة الصورية؟

ج: العلة المادية والعلة الصورية للشيء كلاهما مخلوقان لله تعالى.



قم المقدسة

محمد الشيرازي

من مصادر التهميش

القرآن الحكيم
نحو البلاغة
الصحيفة السجادية
الصحيفة السجادية الجامعة
إرشاد القلوب
أمالی الشیخ الطوسي
أمالی الشیخ الصدوق
احقاق الحق وازهاق الباطل
الأسفار
الأصول / للإمام الشیرازی
الإقبال
الأمان من أخطار الأسفار والأزمان
الاحتجاج
الاختصاص
الاستبصار
البلاغة
البلد الأمين
التوحید
الجواهر السنیة في الأحادیث القدسیة
الخرائج والجرائح

الخصال

الدعاء والزيارة / للإمام الشيرازي

تفسير الإمام الحسن العسكري (ع)

الطرائف

الفضيلة الإسلامية / للإمام الشيرازي

القواعد الفقهية / للإمام الشيرازي

القول السديد في شرح التجريد / للإمام الشيرازي

الكافي

الثالثي المنتظمة

المحاسن

المقدمات / للإمام الشيرازي

المناقب

المنصورية / للإمام الشيرازي

الوافي

الوصائل إلى الرسائل

الوصول إلى كفاية الأصول

بحار الأنوار

بشاره المصطفى لشيعة المرتضى

بصائر الدرجات

تأويل الآيات الظاهرة

تحف العقول

تصحيح الاعتقاد

تفسير العياشي

تفسير القمي

تفسير فرات الكوفي

تقریب القرآن الى الأذهان / للإمام الشیرازی

تحذیب الاحکام

حق الیقین

خلاصة العروض / للإمام الشیرازی

دراسات حول کربلاء ودورها الحضاري

روضۃ الوعاظین

سفینۃ البحار

شرح التحرید

شرح منظومة السبزواری / للإمام الشیرازی

صحیفة الرضا (ع)

صفات الشیعۃ

عدۃ الداعی

علل الشرائع

عوالم العلوم / مجلد فاطمة الزهراء ع

عيون أخبار الرضا (ع)

غرر الحكم ودرر الكلم

غرر الفوائد (قسم الفلسفة من شرح المنظومة) للسبزواری

غولی اللئالی

فاطمة الزهراء (عليها السلام) / للإمام الشیرازی

فرائد الأصول

فضل الكوفة ومساجدها

فقہ الرضا (ع)

كشف الغمة

کفایة الأثر

كمال الدين

كتنر الفوائد	لسان العرب
متشابه القرآن	مجمع البحرين
مختصر تاريخ كربلاء	مرآة العقول
مسائل في العقائد / للإمام الشيرازي	مستدرك الوسائل
مشكاة الأنوار	مصباح الكفعمي
معاني الأخبار	مصباح المتهجد
معدن الجواهر	مفاتيح الجنان
مقاتل الطالبيين	مكارم الأخلاق
من لا يحضره الفقيه	منية المريد
موسوعة الفقه: كتاب البيع / للإمام الشيرازي	موسوعة الفقه: كتاب الطهارة / للإمام الشيرازي
موسوعة الفقه: من فقه الزهراء <small>عليها السلام</small> / للإمام الشيرازي	نزهة النواظر وتنبيه الخواطر
نقد نظريات فرويد / للإمام الشيرازي	والدتي / للإمام الشيرازي
وسائل الشيعة	

الفهرس

٥	المقدمة
٧	العقائد والأدلة الأربعة
٩	الوجود المجرد
١٤	خلق العذب والأجاج
١٦	سؤال وجواب
١٧	بحث في العقاب
١٩	دنيا الأسباب والمسبّبات
٢٠	تبيّل السنن
٢٢	خلق الأرواح
٢٥	بطون الآيات
٢٧	بين الروح والبدن
٢٩	عالم الذر
٣٠	كيفية الامتحان
٣٥	خلق آدم (ع)
٣٦	هل عصى آدم (ع)؟
٣٨	أخذ الميثاق ثانية
٣٩	المتشابهات في الروايات
٤٠	كيفية جمع الذر

٤٢	لا مجرد غير الله.....
٤٧	المناسبات الأرواح.....
٤٨	مع السيد القمي (٥).....
٤٩	من آثار الولاء.....
٥٠	كيفية رد الروح في القبر.....
٥٢	بين الروح والجسد.....
٥٣	بين الروح والنفس.....
٥٦	الجهل بحقيقة النفس والروح.....
٥٧	القائلون بتجدد النفس.....
٥٧	الاستدلال بالكتاب.....
٥٩	المناقشة في أدلةتهم.....
٦١	الاستدلال بالسنة.....
٦٤	لا دلالة في هذه الروايات.....
٦٧	الاستدلال بالعقل.....
٦٨	الجواب على الأدلة.....
٧١	أول مراحل الآخرة.....
٧٦	فلسفة الموت.....
٧٧	بقاء جسمانية الإنسان.....
٧٨	الماديات الخفيفة وغيرها.....
٧٩	الصعود إلى درجات الكمال.....
٨٣	التكامل فيما بعد الموت.....
٨٥	لا قديم إلا الله.....
٨٩	مما جرى في عالم الذر.....
٩١	بين الروح والذرة.....
٩١	هل الروح بخار البدن.....
٩٢	النوم وخروج الروح.....
٩٤	الإنسان وعالم البرزخ.....
٩٨	في كيفية الخلق.....

الروح وعالم القبر.....	١٠٠
من الأجسام اللطيفة.....	١٠٣
رؤيه الروح.....	١٠٣
رؤيه الملك.....	١٠٤
رؤيه الجن.....	١٠٥
قصة التعبان.....	١٠٥
الروح والبدن المثالي.....	١٠٨
مما يرتبط بالعالم الآخر.....	١١٠
شبهات حول المعاد الجسماني والإجابة عنها.....	١١٤
الشبهة الأولى: إعادة المعدوم.....	١١٤
الشبهة الثانية : بين الفعلية والقدرة.....	١١٧
الشبهة الثالثة : إذا كان الحشر بجميع الأجزاء.....	١١٨
من عوارض الجسم في الآخرة.....	١١٨
المعاد الجسماني.....	١١٩
الشبهة الرابعة : شبهة الأكل والمأكول.....	١٢٢
الشبهة الخامسة : لا حاجة للجسد.....	١٢٤
الشبهة السادسة: قابلية الأرض.....	١٢٥
استطراد.....	١٢٦
شبهتان في الخلود.....	١٢٧
بين العدالة والخلود.....	١٢٧
بين الخلود في الجنة وبرهان التسلسل.....	١٣٥
لو سلمنا.....	١٣٥
تشبيه الإنسان.....	١٣٦
العقل.....	١٣٦
الروح.....	١٣٩
النفس.....	١٤٠
الجسم.....	١٤٠
بين الروح والنفس	١٤٠

١٤٢.....	هل للعقل مراتب؟
١٤٣.....	النقاش في المراتب
١٤٤.....	العقل والمراد منه
١٤٧.....	هل العقل يحكم؟
١٤٧.....	العقل ودفائه
١٤٩.....	الفطنة
١٤٩.....	العقل في الروايات
١٥٤.....	جنود العقل.. و جنود الجهل
١٥٩.....	العلم نور
١٦١.....	روايات في العلم
١٦٤.....	من مصاديق الملازمة
١٦٥.....	بين العلية والاقتضاء
١٦٧.....	معرفة الله عز وجل
١٧١.....	معرفة الرسول (ص) وأهل بيته I
١٧٢.....	فائدة المعرفة
١٧٤.....	الصفات الشبوانية والسلبية
١٧٤.....	الصفات الشبوانية:
١٧٤.....	المختار
١٧٥.....	العالم الحكيم
١٧٦.....	السميع البصير
١٧٧.....	القديم
١٧٨.....	الحبي
١٧٨.....	المدرك
١٧٩.....	المريد الكاره
١٨١.....	المتكلم
١٨١.....	الصادق
١٨٤.....	الصفات السلبية
١٨٩.....	ما استدل به المتكلمون من الآيات والروايات

٢٠٠.....	روايات في هذا الباب.....
٢٠٦.....	مبعث الهدایة.....
٢١٠.....	القرآن والهدایة.....
٢١١.....	أهل البيت ١ والهدایة.....
٢١٥.....	لا هدایة في غير القرآن والعترة.....
٢١٧.....	الهدایة نسبیة.....
٢١٨.....	من أسباب اختلاف المسلمين.....
٢١٩.....	العقل والصفات الشبوئية والسلبية.....
٢١٩.....	ليس كمثله شيء.....
٢٢٨.....	لا يقاس بخلقه.....
٢٢٨.....	مناقشة آراء الفلاسفة.....
٢٢٩.....	لا للقول بالفيض.....
٢٢٩.....	هل أن الواحد لا يصدر منه إلا الواحد.....
٢٢٩.....	لا للقول ببسط الحقيقة.....
٢٣٠.....	لا للقول بوحدة الوجود.....
٢٣٠.....	الإشكال في كلام الأسفار.....
٢٣٧.....	التجلي.....
٢٣٧.....	لا معنى لما قالته الفلاسفة.....
٢٣٩.....	التجلي الخاص.....
٢٤٣.....	التجلي العام.....
٢٤٥.....	لا دلالة على وحدة الوجود.....
٢٤٨.....	المعرفة أمر فطري.....
٢٥٢.....	معنى التجلي.....
٢٥٣.....	هل حجاب بين الله وخلقه؟.....
٢٥٤.....	من آيات الفطرة.....
٢٥٥.....	صبغة الفطرة.....
٢٥٩.....	لا حجية لمكاشفتهم.....
٢٦٢.....	بين القول بوحدة الوجود والسفسطة.....

٢٦٣	بين القدرة والعلم.....
٢٦٥	إيجاد المعدوم وإعدام الموجود.....
٢٦٧	القائلون بالجبر.....
٢٦٧	أدلةهم من الكتاب.....
٢٦٩	أدلةهم من السنة.....
٢٧١	الجواب عن أدلةهم.....
٢٧٤	الروايات النافية للجبر.....
٢٨٣	سؤالان.....
٢٨٤	استدلالهم بالعقل.....
٢٨٤	امور.....
٢٨٨	الكسب ورده.....
٢٩٠	القضاء والقدر.....
٢٩٣	نسبة الأفعال إلى القضاء والقدر.....
٢٩٧	لا للتوفيق.....
٢٩٩	الرد عقلا.....
٣٠٠	الرد نقلا.....
٣٠١	الأمر بين الأمرين.....
٣٠٢	التفويض والولاية التكوبية والتشريعية.....
٣٠٣	لا استقلال ولا استغناء عنه تعالى.....
٣٠٥	الوجوه المختلفة في كلماتهم I.....
٣٠٧	البداء.....
٣٠٧	دلالة الكتاب.....
٣٠٨	دلالة العقل.....
٣٠٩	كلام العالمة المجلسي <small>ح</small>
٣١٠	معنى يمحو الله.....
٣١١	دلالة الروايات.....
٣١٩	بين علم المعصومين والبداء.....
٣٢٠	من آثار معرفة البداء.....

٣٢٠	الآجال المعلقة.....
٣٢٤	هل يجب اللطف على الله تعالى؟
٣٢٧	خاتمة مسائل في العقائد.....
٣٢٩	العقيدة الإسلامية.....
٣٣٠	لا تقليد في العقائد
٣٣١	إلهيات.....
٣٣٧	الفلسفة.....
٣٣٨	العدل وصفات الله عزوجل
٣٤٣	النبوة
٣٤٦	القرآن الحكيم
٣٤٨	الإمامية.....
٣٥٣	فاطمة الزهراء
٣٥٧	ولاية الفقيه.....
٣٥٨	المعاد وعالم الموت.....
٣٦١	الشيعة ومعتقداتهم
٣٦٧	متفرقات.....
٣٦٧	بين الأصولي والأخباري.....
٣٦٧	الغاية لا تبرر الوسيلة.....
٣٦٧	المخلوقات الأخرى
٣٦٧	عالم الذر
٣٦٨	التوبة
٣٦٨	اسس التربية الروحية
٣٦٨	ما يؤدي إلى الكمالات الروحية
٣٦٨	الصلوة من دون خشوع
٣٦٩	احترام السادة
٣٦٩	حديث الكساء
٣٦٩	الأحاديث القدسية

علم الجفر	٣٦٩
ارض كربلاء	٣٧٠
من لم يوال أهل البيت (عليهم السلام)	٣٧٠
كتاب مصباح الشريعة	٣٧٠
زيد بن علي (ع)	٣٧٠
الزيدية	٣٧١
العلويون	٣٧١
بناء قبور الأولياء	٣٧١
زيارة النساء للقبور	٣٧١
الرجعة والبداء	٣٧١
ما هو الإيمان	٣٧٢
الشهادة الثالثة	٣٧٢
الشعائر الحسينية	٣٧٢
التوراة والإنجيل	٣٧٢
لا اصل لهذا الكلام	٣٧٣
ابن الزنا	٣٧٣
بين العقل والدين	٣٧٣
اسم الجلالية	٣٧٤
الإيمان بالله فطري	٣٧٤
المنكر لوجود الله	٣٧٤
الإيمان	٣٧٤
مركز اليمان	٣٧٥
الفرق بين اليمان والاسلام	٣٧٥
الاسلام من دون ايمان	٣٧٥
حب الله ورسوله وأوليائه	٣٧٥
التسليم لله ولرسوله وخلفائه	٣٧٦
إطاعة أولي الأمر	٣٧٦
حسن الظن بالله	٣٧٦

المحرك عن قصور.....	٣٧٦
الرغبة عن الدين.....	٣٧٧
عداوة الرسل والملائكة.....	٣٧٧
الإخلاص	٣٧٧
مجرد العلم لا يكفي.....	٣٧٧
بيان الفضائل.....	٣٧٨
التلبيغ وارشاد الناس.....	٣٧٨
هداية المشركين	٣٧٨
هل المادة أزلية.....	٣٧٨
العلة المادية والصورية	٣٧٩
من مصادر التهميش.....	٣٨١
الفهرس	٣٨٥